رامانا ماهارشي

و درب معرفة الذات

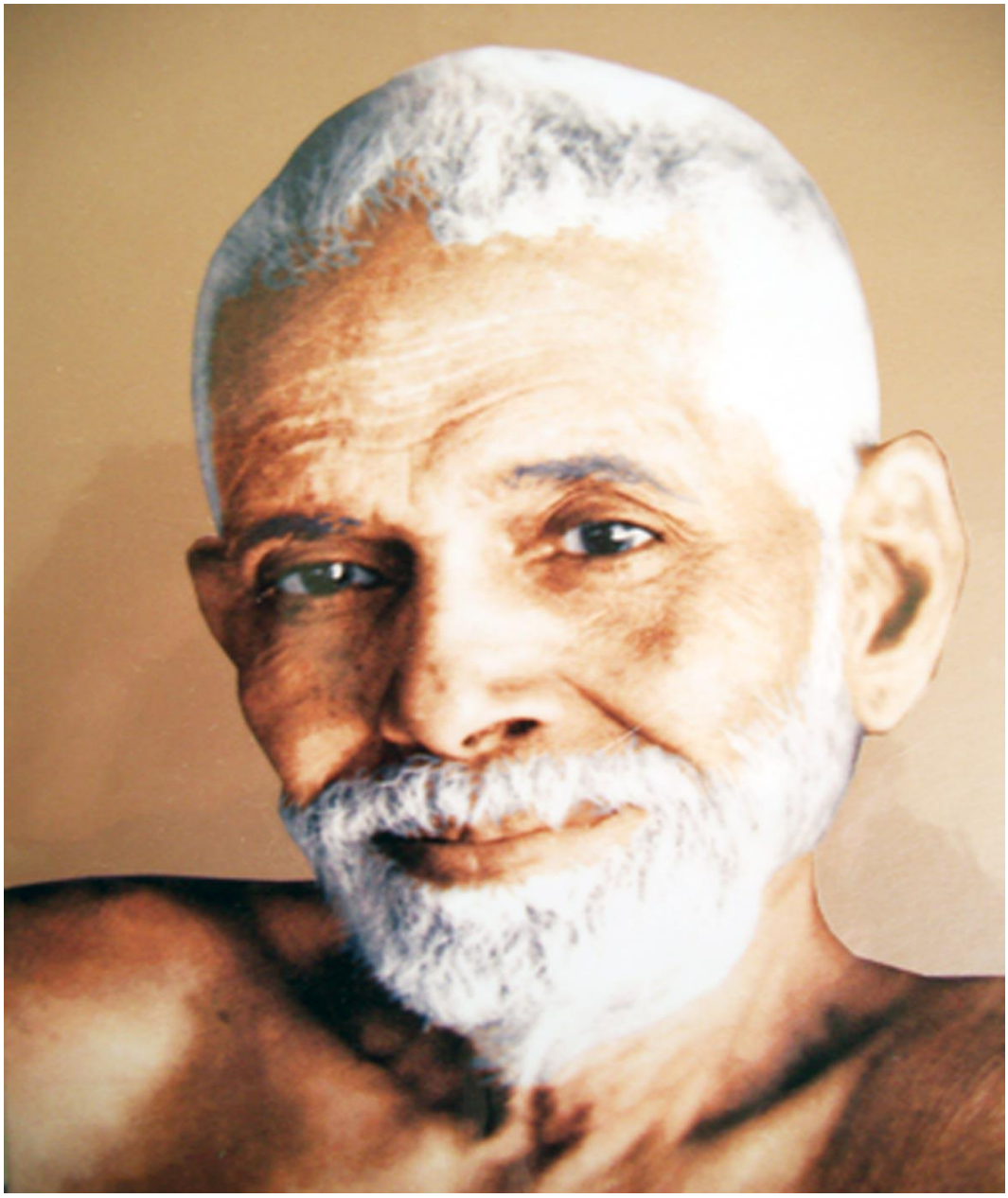

الهند

تيروفاناماالاي

"رامانا ماهارشي و درب معرفة الذات" .

كتب هذه السيرة المؤلف آرثر أوزبورن، ووضع مقدّمتها الدكتور س. رادهاكريشنان نائب رئيس الهند و تمّ نشر الكتاب في راماناشرام، تيروفاناماالاي.

و تم أخذ الإذن الخطي في الترجمة الى العربية و نشر الكتاب على صفحات الإنترنت و تداوله من قبل شخص رئيس مؤسسة رامانا ماهارشي في الهند و بوساطة السيد آلان جايكوبس رئيس الجمعية في إنكلترا.

و العمل الذي بين أيدينا هو نتاج جهود مجموعة أفراد من الدول العربية من مريدي الحكيم رامانا ماهارشي.

الفهرس

١- السنوات الأولى

٢- اليقظة

٣- الرحلة

٤- الممارسات في الظاهر

٥- الإشكال حول موضوع العودة

٦- آروناتشالا

٧- عدم المقاومة

٨- الأم

٩- آدفايتا

١٠- بعض المريدين الأوائل

١١- الحيوانات

١٢- شري راماناشرام

١٣- الحياة مع شري رامانا بهاغافان

١٤- التعاليم

١٥- المريدين

١٦- الأعمال المكتوبة

١٧- الموت الواعي

١٨- الحضور المستمرّ

المقدمة

خلال كتابة هذا الكتاب، حاولت جعل المعاني واضحة من دون استعمال كلمات سنسكريتية بأكثر من ما هو ضروري. و لكن، كل لغة تحتوي على كلمات ليس لها من ترجمة في اللغات الأخرى، و كل علم، روحي و مادي، له عبارات تقنية ليس من اليسير ترجمتها. لهذا السبب كان من الضروري استعمال بعض الكلمات السنسكريتية و بعض الكلمات الأخرى. لقد تمّ شرح تلك الكلمات في النص. بما أن الهدف منه هو مساعدة القارئ في فهمه لهذا الكتاب، لم أعطِ معاني قاموسيه بسيطة. بل قدمت فكرة حول المعنى الذي تستعمل فيه الكلمة و للأثار العقائدية التي تحتويها.

آرثر أوزبورن

تمهيد

أنا سعيد لكتابة مقدمة صغيرة حول سرد السيد أوزبورن لحياة و تعاليم شري رامانا ماهارشي. للأمر فائدة في عصرنا هذا حيث المزاج الطاغي فيه هو التشكيك السلبي و المتردد.

لقد تم منحنا هنا دين من الروح لتمكيننا من التحرر من تعلقنا بالعقائد و الخرافات، الطقوس و الاحتفالات و العيش كأرواح حرّة. أساس الديانات كلّها هو اختبار شخصي داخلي، علاقة شخصية للفرد مع المقدّس. الأمر ليس عبادة بقدر ما هو سعي.

إنه طريقة لأن نخطو أكثر، نحو طريق التحرّر.

تحمل المقولة اليونانية المشهورة ***"اعرف نفسك"*** نفس معنى القول الأوبانيشادي آتمانام فيدهي، ***"اعرف الذات"***.

من خلال مسيرة من التجرد نصل إلى ما وراء طبقات الجسد، العقل و الفكر و نصل إلى الذات الكونية، "النور الحقيقي الذي يشع في كل مرء يأتي إلى العالم".

للحصول على ما هو أفضل، علينا أن نرتقي إلى الحالة الأسمى و أن نُثبت انتباهنا فيها، وأن نطرح الأردية التي لبسناها عندما نزلنا إلى هنا؛ تماماً كما في الأسرار: ***"هؤلاء الذين يسمح لهم في الدخول إلى الغرف الداخلية للحرم المقدس، بعد تطهير أنفسهم، يطرحون جانباً كل رداء و يتقدمون عراة"*** (بلوتينوس: إينيادس، ١، vi، ٦).

نغرق في كينونة بلا حدود أو تصميم. إنها الكينونة الصّرفة حيث لا شيء مناقض للآخر. ليس هنالك من كينونة حيث الغرض يواجه نفسه. ويجعلها تتعارف مع الأشياء والأحداث الواقعة.

الحقيقة تملأ الذات بما أنها لم تعُد محدودةً بسبب الآراء المسبقة و الأشياء التي نفضّلها على تلك التي لا نفضّلها. عندها لا يعُد يمكن لهذه الأشياء أن تعمل كوسيط مشوّش.

الطفل هو الأقرب لرؤية الذات. علينا أن نصبح كالأطفال قبل أن نتمكن من دخول بُعد الحقيقة. لهذا السبب علينا أن نضع جانباً التعقيد الكامن في الثقافة التي قد تعلمناها. الحاجة للولادة من جديد هي موضوعٌ مشدّد عليه. يُقال أن الحكمة التي يملكها الأطفال أعظم من تلك التي يملكها العلماء.

شري رامانا ماهارشي يمنحنا تعاليم موجزة لديانة مبنيّة على المخطوطات الهندية التي هي في الأساس روحية عدا عن أنها منطقية أو أخلاقية أيضاً.

دكتور س. رادهاكريشنان، نائب رئيس الهند

السنوات الأولى لرامانا

الرودرا دارشان، اليوم الذي تمّ فيه رؤية الإله شيفا، هو يوم مقدس جداً لدى أتباع شيفا، لأنه يكرس المناسبة التي أظهر فيها شيفا نفسه لمريديه ك"ناتاراجا"، هذا في الرقصة الكونية لخلق و زوال الكون.

في هذا اليوم من العام ١٨٧٩ عند الغروب في البلدة الصغيرة ل"تيروشوزهي" في أرض التاميل جنوب الهند, خرج أتباع شيفا عراة الأقدام و ذهبوا على الطريق الرملية نحو حوض المعبد، لأن التقليد يقتضي بأن يستحموا قبل حلول الظلام. الشعاع الأحمر للشمس غطى أجساد الرجال السمراء ، الذين يرتدون الدهوتي فقط لا غير، قطعة بيضاء من القطن يلفها المرء على جسده من الخصر و نزولاً، وانعكس على اللون الأحمر و الذهب الذي يتزين به الساري الذي ترتديه النساء و هم ينزلن الدرجات الكبيرة للحوض ليغمروا أنفسهم بالماء. كان الجوّ بارداً ، فالاحتفال يُقام في كانون الأول من كل عام، لكنهم أشخاصاً أقوياء البنية.

البعض غيّر ثيابه تحت الأشجار، في حين كان البعض ينتظر كي تجفّ ثيابه تحت أشعة الشمس التي لا تزال ظاهرة في السماء ثم استمروا بالمشي و المياه تتساقط منهم نحو المعبد القديم للبلدة الصغيرة، التي كان يغني لها سوندارامورتي سوامي، أحد الشعراء الشيفيين الثلاثة و ستين من بلاد التاميل.

كانت صورة الإله شيفا داخل المعبد مزينة بالورود و يتمّ الطواف بها بالتناوب خلال النهار و الليل على صوت الطبل و الترانيم المقدسة. انتهت مراسم الاحتفال عند الساعة الواحدة مساءً و لكن آرودرا دارشان ما زال مستمراً لأن اليوم الهندي يمتدّ من فجر النهار الأول الى فجر اليوم التالي، و ليس من منتصف الليل إلى منصف الليل التالي.

تم إدخال تمثال شيفا من جديد إلى المعبد تماماً كما دخل الطفل فينكاتارامان، و الذي كان شيفا سيتجلى من خلاله ك "شري رامانا"، إلى العالم في منزل سوندارام آييار و زوجته آلاغامال.

يتنوع الاحتفال الهندي مع حقبة القمر، على شاكلة عيد الفصح في الغرب، و في هذه السنة لقد كان أرودرا دارشان في التاسع و العشرين من شهر كانون الأول، و هكذا ولد الفتى الصغير بعد فترة قصيرة، في نفس اليوم و السنة، من تلك التي ولد فيها الفتى المقدس في بيت لحم تقريباً منذ حوالي ألفا سنة سابقاً. الحادثة نفسها كانت علامة نهاية حياته الأرضية أيضاً، لأن شري رامانا غادر جسده عند أمسية الرابع عشر من نيسان، بعد وقت قليل من تاريخ يوم الجمعة العظيمة. وهكذا تناسبت الأوقات بشكل عميق. منتصف الليل و فترة انقلاب الشمس في الشتاء حيث تبدأ الشمس في جلب النور من جديد إلى العالم، و في الربيع عند يتساوى الليل مع النهار ثم يبدأ في تجاوزه.

بدأ سوندارام آييار حياته كمحاسب يتقاضى راتباً ضئيلاً جداً حتى بالنسبة لتلك الأيام، روبيتان اثنتين في الشهر(الروبي هو العملة الهندية)، لذا قرّر أن يكون كاتب عرائض و عندها، بعد بضعة سنين، أخذ الإذن في ممارسة العمل كمدافع غير مرخّص له، كانت هذه وظيفة المحامي في الريف.

تحسنت أحواله و ازدهرت و بنى منزلاً - (هذا المنزل قد تم استملاكه الآن من قبل الأشرام. البوجا اليومية – العبادة الطقوسية – تتم هناك و المكان هو دائماً مفتوح من أجل المريدين الذين يحجون إليه) – الذي ولد فيه الطفل، و خصص قسماً من هذا المنزل لاستقبال الضيوف. فقد كان إنساناً اجتماعياً و مرحباً ، اضافة إلى أنه اتخذ على نفسه عاتق استقبال الزوار الرسميين و الجدد للبلدة داخل منزله – الأمر الذي جعل منه شخصية مدنية مهمة و من دون أي شك ساهم كثيراً في تحسين مصلحته.

بقدر ما كان ناجحاً، كان يحيط بالعائلة قدَر غريب. يُقال أن متنسّك جوّال توقف في احدى المرّات يتسوّل الطعام من منزل أحد أجداده، و عندما رُفض طلبه، قال أنه من الآن و صاعداً في كل جيل، أحد المنحدرين من السلالة سوف يتجوّل و يتسوّل طعامه.

لعنة أم نعمة، لقد تمّ تحقق قول المتنسك الجوال. أحد اعمام سوندارام آييار ارتدى ثوب الرهبان و غادر المنزل و في يده عصا و جرّة للمياه فقط لا غير؛ أخوه الأكبر سناً ذهب في الظاهر لزيارة مكان قريب من المنزل ثمّ هرب سراً ليلتحق بحياة الرهبان، زاهداً في العالم.

كان كل شيء طبيعياً في عائلة سوندارام آييار. نمى فينكاتارامان كأي فتى سليم و معافى. التحق لفترة بالمدرسة المحلية، و عندما كان في الحادية عشرة من عمره، التحق بمدرسة في ديندیغول. كان لديه أخ يكبره بسنتين و يدعى ناغاسوامي.

وأخٌ ثالث يصغره بستّ سنوات، و أختٌ صغيرة ، آلاميلو. كانت عائلته متوسطة الحال و سعيدة.

عندما كان فينكاتارامان في الثانية عشرة من عمره ، توفي أباه سوندارام آييار و تفككت العائلة. ذهب الأولاد للعيش مع عمهم، سوبيير، الذي كان يملك منزلاً في المدينة القريبة مادورا (المنزل الذي حصل فيه شري بهاغافان على التنور. ثم تم الاستحواذ عليه من قبل الأشرام و تم وضع صورة كبيرة لشري بهاغافان هناك. المكان محفوظ كمحجة للمريدين.).

أُرسل فينكاتارامان أولاً إلى مدرسة سكّوت المتوسطة و من بعدها إلى الثانوية الأمريكية. لم يكن هنالك أي دلالة على أنه قد يصبح عالماً. لقد كان رياضياً، من نوع الفتيان الذين يرغبون بالبقاء خارج المنزل و كانت رياضاته المفضلة هي كرة القدم، المصارعة و السباحة. الشيء الثمين الوحيد الذي كان يمتلكه فيما يتعلق بالمدرسة هو ذاكرته الجيدة في حفظ المعلومات، الأمر الذي ساهم بإخفاء كسله، لأنه كان قادراً على إعادة سرد الدرس بأكمله بعد أن يكون قد سمعه و لو لمرة واحدة.

الأمر الوحيد غير المعتاد لدى فتى في عمره، كان نومه العميق. ديفاراجا موداليار، أحد المريدين، يتحدّث في مذكّراته حول محادثة حصلت عندما دخل أحد أقرباء شري رامانا إلى داخل القاعة بعد سنوات عديدة.

"رؤيتك تذكرني بشيء حصل في ديناديغول عندما كنت فتى. عمك، بيريابا سيشاييار، كان يعيش هناك في ذلك الوقت. في أحدى المناسبات، عند المساء، ذهب الجميع إلى المعبد، و بقيتُ وحيداً في المنزل. جلست أقرأ في الغرفة الأمامية، و بعد فترة أقفلتُ الباب و النوافذ و ذهبتُ إلى النوم. عندما عادوا من المعبد، لم ينفع صراخهم وضربهم المستمرّ على الباب في إيقاظي. في النهاية تمكنوا من فتح الباب بواسطة مفتاح موجود لدى البيت المجاور، و من ثم حاولوا إيقاظي عبر ضربي. قام كل الصبية في ضربي حتى شبعوا، و قام عمك بهذا أيضاً، و لكن لم يكن للأمر أي تأثير. لم أعلم أو أشعر بأي شيء حتى رووا لي ما حدث عند الصباح... الأمر ذاته تكرّر أيضاً في مادورا. لم يكن الفتيان يجرؤون على لمسي عندما أكون مستيقظاً، إن كانوا يكنون أي ضغينة لي، بل ينتظرون حتى أنام و يحملوني إلى حيث يشأون و يضربوني بقدر ما يرغبون و من ثمّ يعيدوني إلى السرير ، كأنّ شيئاً لم يكن، و لم أكن أعي شيئاً حتى يخبرونني عند الصباح التالي."

شري بهاغافان لم يعطِ أي تفسير لهذا الأمر باستثناء الصحة الجيدة. كان يستلقي في بعض الأوقات أيضاً في نوع من نصف النوم عند الليل. ربما كان كل من الحالتين علامة من علامات الوعي الروحي الذي حصل معه لاحقاً: النوم العميق، بالرغم من أنه مظلم و سلبي، كالقدرة على ترك العقل و الغوص عميقاً فيما يتعدّى الفكر، و نصف النوم كالقدرة على مراقبة النفس بطريقة موضوعية كشاهد.

لا نملك أي صورة لبهاغافان في سنين الصبى. لقد أخبرنا بطريقة صورية، مليئة بالضحك، كيف تم أخذ صورة جماعية و تمّ إجباره على حمل مجلد كبير ليبدو مجتهداً، و لكن ذبابة استقرت عليه و في اللحظة التي التقطت فيها الصورة رفع يده لإبعادها. و لكن، لم يكن من الممكن الحصول على نسخة من هذه الصورة و من المفترض انه لم يبقَ أي نسخة منها.

أوّل حسّ مسبق لحياته الروحية كان شعاعاً آتٍ من *آروناتشالا* .

فتى المدرسة فينكاتارامان لم يكن قد قرأ ولا أي نظرية روحية. كان يعرف فقط أن *آروناتشالا* مكاناً مقدّساً و أن حساً مسبقاً لقدَره هو الذي حرّكه. قابل في أحد الأيام قريباً للعائلة، كبيراً في السن ، من *تيروشوزهي* و سأله من أين كان آتياً. أجابه الرجل العجوز، "من *آروناتشالا* ." و الإدراك المباشر أن التلة المقدسة هي مكان

حقيقي، و ملموس بإمكان كل إنسان على الأرض زيارته غمر فينكاتارامان برهبةٍ كبيرة لدرجة أنه كان فقط قادراً على النطق برجفة: "ماذا! من آروناتشالا؟ أين هو هذا المكان؟" تعجب العجوز ، بدوره لجهل الفتى الشاب، و شرح له أن *آروناتشالا* هي *تيروفاناماالاي*.

شري بهاغافان أشار لاحقاً لهذا في المقاطع الشعرية الثمانية الأولى ل *آروناتشالا* .

"أصغي! إنه يقف كتلةً جامدةً. عمله غامض، يتخطى الفهم الإنساني. منذ عمر البراءة وعيت في عقلي أن آروناتشالا هو شيءٍ عظيم جداً، و لكن حتى عندما عرفت من خلال شخص آخر أنه هو ذاته تيروفاناماالاي لم أتمكن من إدراك معناه. عندما جذبني نحوه، و جعل عقلي ساكناً، واقتربت منه رأيته واقفاً لا يتحرك."

حصل هذا في تشرين الثاني ١٨٩٥، قبل ذكرى ميلاده السادس عشر حسب التقويم الأوروبي، و السابع عشر حسب التقويم الهندي. الحس المسبق الثاني أتى بعدها بفترة وجيزة، هذه المرة قد أثاره كتاب. كانت فرحته كبيرة عندما أدرك أنه من الممكن إظهار المقدس على الأرض. كان عمه قد استعار نسخة للبيريابورانام، الذي يحتوي على سيرة حياة ثلاثةٌ و ستون قديساً تاميلياً.

تناوله فينكاتارامان، و خلال قراءته الكتاب، غمرته الدهشة بكل فرح أن هكذا إيمان، هكذا حب، هكذا تكريس روحي كان ممكناً، أن هذا النوع من الجمال موجودٌ حقاً في الحياة الإنسانية.

أخبار التنسك الذي يقود الى الحياة الروحية أوحت له بالرهبة و بالرغبة في محاكاتها. شيءٍ أعظم من كل أراضي الأحلام، أعظم من كل طموح، يمكنه أن يكون حقيقياً و ممكناً، و هذا الكشف أثار حماساً كبيراً فيه مع امتنانٍ جميل.

منذ ذلك الوقت بدأ تيار الوعي الذي يدعوه شري بهاغافان و مريديه بالتأمل في الاستيقاظ بداخله. ليس الوعي لشيء من قبل أي أحد، بل الكينونة ما وراء الثنائية للناظر و للغرض، التي هي حالة من الوعي اللطيف الذي يتخطى كل الأبعاد المادية و المعنوية، و لكنه متناسق مع الاستخدام الكامل للقدرات الجسدية و الفكرية.

تحدث شري بهاغافان بطريقة بسيطة حول كيف أن هذا الوعي بدأ يستيقظ في داخله خلال زياراته لمعبد ميناكشي في مادورا. لقد قال، "عند البداية ، ظننت أن الأمر نوع من أنواع الحمى، و قرّرت، إن كان الأمر هكذا، فهي حمى جميلة، إذاً فلتبقى!"

اليقظة (إختبار الموت لدى شري رامانا ماهارشي)

تيار الوعي هذا، إن تمّ تنميته من خلال الجهد المستمرّ، ينمو بشكل قوي و أكثر ثباتاً لحين ما يقود المرء الى إدراك الذات الحقيقية، الساهاجا سامادهي، الحالة حيث صفاء وعي الغبطة هو أمرٌ ثابت وغير منقطع، دون إعاقة حواس الإدراك الطبيعية لدينا و نشاطاتنا اليومية.

إنه بالفعل من النادر جداً الحصول على هذا الاتحاد خلال هذه الحياة على الأرض. في حالة شري بهاغافان، حصل الأمر فقط بعد بضعة أشهر و من دون أدنى بحث، أو سعي، أو تحضير واعي. هو بنفسه قد وصف الموضوع قائلاً :

" قبل حوالي ستة أسابيع من مغادرتي لمادورا إلى الأبد، حصل التغيّر العظيم في حياتي. كان الأمر مفاجأً جداً. كنت جالساً وحدي في غرفة في الطابق الأول لمنزل عمي. نادراً ما كنت أُصاب بالمرض، وكنت في ذلك اليوم بصحةٍ جيدة، و لكن خوفاً فجائياً و عنيفاً من الموت انتابني. لم يكن لدي أي سبب صحي لأشعر بهذا الخوف، و لم أبحث عن السبب وراء هذا الشعور. شعرت فقط "أنني سوف أموت" و بدأت في التفكير ما الذي يجب أن أفعله، لم يخطر لي استشارة طبيب أو أحد أصدقائي و أقربائي الأكبر سناً؛ لقد شعرت أنه علي حّل هذه المشكلة في حينها.

"صدمة الخوف من الموت دفعت عقلي نحو الداخل و قلتُ لنفسي، من دون صياغة كلمات: "الآن قد أتى الموت؛ ماذا يعني هذا؟ ما هو الذي يموت؟ هذا الجسد يموت." و قمتُ في اللحظة ذاتها بتمثيل عملية موت الجسد. استلقيت على ظهري و أطرافي ممدّدة و متيبّسة و كأن تيبّس الموت قد أصابها، و قمت بتقليد الجثة لإضافة المزيد من الواقعية للاستكشاف. حبستُ نفّسي و أبقيت على شفتي مغلقتان بإحكام لكي لا يصدر أي صوت عني، لكي لا تخرج كلمة "أنا" او أي كلمة أخرى. "حسناً الآن،" قلت لنفسي، "هذا الجسد هو ميت. سوف يتمّ نقله متيبساً إلى أرض المحرقة و سوف يُحرق ويتحوّل إلى رماد. و لكن مع موت هذا الجسد هل أنا ميت؟ هل الجسد هو "أنا"؟ هو صامتٌ و جامدٌ، لكنني أشعر بكامل قوة شخصيتي، حتى صوت "الأنا" في داخلي، بمعزل عنه. فإذاً أنا روحٌ تتجاوز الجسد. الجسد يموت و لكن الروح التي تتجاوزه لا يمكن أن يلمسها الموت. هذا يعني أنني أنا الروح التي لا تموت."

كل هذا لم يكن فكراً بليداً؛ لمع في داخلي بقوة كحقيقة حية أدركتها بشكل مباشر، تقريباً من دون أي حضور لعملية الفكر. "الأنا" كانت شيئاً حقيقياً جداً، الأمر الحقيقي الوحيد في حالتي الحالية، و كل النشاطات الواعية المتصلة بجسدي كانت متركزة على هذه "الأنا". من تلك اللحظة و صاعداً "الأنا" أو الذات الحقيقية ركّزت انتباهها على نفسها مع انذهال قوي جداً. الخوف من الموت كان قد اختفى بشكل أبدي. وغرقت في الذات الحقيقية بشكل غير منقطع منذ تلك اللحظة.

الأفكار الأخرى قد تأتي و تذهب كنغمات الموسيقى المختلفة، و لكن "الأنا" استمرت كنغمة الشروتي الأساسية، الموجودة في باطن كل النغمات الأخرى و تتمازج معها (النغم الاحادي الموجود في كل القطع الموسيقية الهندية، كالخيط التي تتعلق به حبوب المسبحة، يمثل الذات الحقيقية الموجودة في كافة أشكال الوجود.) إن كان الجسد منغمساً في الكلام، القراءة أو أي شيء آخر، كنت دائماً ثابتاً في "الأنا". قبل تلك الحادثة لم يكن لدي إدراك واضح للذات الحقيقية و لم أكن منجذباً بشكلٍ واعٍ لها. لم أشعر بأي حس أو اهتمام مباشر فيها، أو أي ميل نحو الركون بشكل دائم فيها."

بسبب هذا الوصف البسيط من دون أي ادعاء أو حشو كلامي، الحالة التي تم ذكرها قد لا تبدو مختلفة عن الغرور، و لكن هذا ناتج بسبب الالتباس في الكلمات "أنا" و "الذات". الفرق ظاهر في مقاربة الموت، لأن المرء الذي يصبّ اهتمامه في الأنا المغرورة، الأنا كفرد منفصل، لديه خوف كبير من الموت الذي يهدد بزوال الأنا المغرورة، في حين أن الخوف من الموت هنا قد اختفى إلى الأبد من خلال ادراك أن "الأنا" هي واحدة مع الذات الكونية التي لا تموت، هي الروح و الذات الحقيقية لكل إنسان. حتى القول أنه كان يعرف أنه واحداً مع الروح هو أمر غير دقيق، بما أنه يقترح أنه هنالك "أنا" مفصولة كانت تعرف هذا، في حين أن "الأنا" في داخله كانت هي نفسها بشكل واعي الروح.

بعد سنوات عديدة، تمّ شرح الفرق بشكل مفصل أكثر من قبل شري بهاغافان للسيد بول برانتون، أحد المريدين من الغرب. (هذا الاقتباس والذي يليه من قبل السيد بول برانتون الذين تم ذكرهم في هذا الكتاب هم مبنيين على كتابه:

A Search in Secret India, published by Rider & Co., London, and reproduced by the Ashram with his permission.)

برانتون: ما هي بالتحديد هذه الذات التي تتحدّث عنها؟ إن كان ما تقوله صحيحاً فلا بد و أن الإنسان لديه ذاتاً أخرى.

شري رامانا: هل من الممكن للمرء أن يكون لديه هويتان، كينونتان؟ لنفهم هذا على المرء قبل كل شيء أن يُحلّل نفسه. فقد اعتاد الانسان منذ زمن طويل، أن يفكّر كما يفكر الآخرين، لم يواجه "أنانيته" بالشكل الصحيح. لا يملك صورة واضحة حول ذاته؛ لقد تعارف لوقت طويل مع الجسد و العقل. لهذا السبب أقول لك تابع هذا الاستفسار، "من أكون أنا؟"

أنت تطلب مني أن أصف هذه الذات الحقيقية لك. ماذا من الممكن قوله؟ إنه ذلك الشيء حيث يصعد حسّ الأنا الشخصية وحيث عليه أن يختفي فيه أيضاً.

برانتون: الاختفاء؟ كيف من الممكن للمرء أن يخسر الشعور بشخصيته؟

شري رامانا: الفكرة الأولى التي تسبق كل باقي الأفكار داخل عقل كل إنسان، هي فكرة ال "أنا." فقط بعد ولادة هذه الفكرة من الممكن للأفكار الأخرى أن تظهر. فقط بعد ظهور الكلمة الشخصية الأولى في العقل، "أنا"، بإمكان الكلمة الشخصية الثانية، "أنت"، أن تُظهر نفسها. إن كان بإمكانك فكرياً أن تتبّع خيط "الأنا" لحين ما يقودك الى مصدره سوف تكتشف أنه، تماماً كما أنه الفكرة الأولى التي تظهر، كذلك هو الفكرة الأخيرة التي تختفي. هذه مسألة من الممكن اختبارها.

برانتون: هل تقصد أنّ بإمكان المرء أن يجري هكذا استفسار فكري على نفسه؟

شري رامانا: بالتأكيد. من الممكن الذهاب داخلياً حتى الفكرة الأخيرة، "الأنا"، تختفي تدريجياً.

برانتون: ما الذي يبقى عندها؟ هل سوف يصبح المرء عندها فاقد الوعي تماماً أم سوف يصبح مغفلاً؟

شري رمانا: كلا؛ على العكس، سوف ينال ذلك الوعي الأزلي، سوف يصبح حكيماً حقيقةً عندما يستيقظ لذاته الحقيقية، التي هي الطبيعة الحقيقية للإنسان.

برانتون: و لكن بالتأكيد يجب على حس "الأنا" أن يتعلق بهذا الأمر أيضاً.

شري رامانا: حس "الأنا" يتعلّق بالشخص، الجسد و العقل. عندما يعرف المرء ذاته الحقيقية للمرّة الأولى، شيء آخر يصعد من أعماق كيانه و يستولي عليه. ذلك الشيء هو وراء العقل؛ هو لا ينتهي، مقدّس، أبدي. البعض يسميه بملكوت السماوات، البعض الآخر يسمّيه الروح، و كذلك الامر هناك آخرون يدعونه بالنيرفانا،

و الهنود يدعونه بالتّحرّر؛ بإمكانك أن تعطيه الاسم الذي تتمناه. عندما يحصل هذا ، المرء لا يفقد ذاته حقيقةً؛ بل بدلاً عن ذلك يجد ذاته.

لحين ما يتناول المرء البحث عن الذات الحقيقية، الشك و عدم اليقين سيتبعان خطواته في كل حياته. أعظم الملوك و رجال الدولة يحاولون حكم الآخرين في حين أنهم يعرفون أنهم غير قادرين على حكم أنفسهم. و لكن أعظم قوة هي تحت طاعة المرء الذي غاص في أعماقه... ما هي الفائدة من معرفة كل شيء آخر عندما تكون ما زلت لا تعرف من أنت؟ البشر يتجنّبون هذا الاستفسار حول الذات الحقيقية، و لكن ماذا يوجد أهم وأجدر من ذلك للقيام به؟

هذه السادهانا كلها قد تناولت حوالي النصف ساعة، و لكن من المهم جداً بالنسبة لنا أنها كانت *سادهانا، سعي نحو النور*، و ليس يقظة من دون جهد؛ لأن الغورو عادةً ما يقود تلاميذه على الدرب الذي قد خطاه هو بنفسه. ما أتمه شري بهاغافان في هذه النصف ساعة ليس مجرد سادهانا تتطلب عمر كامل، بل بالنسبة لمعظم المريدين، هي تتطلب عدة حيوات، و هذا لا يغيّر في الواقع أنها كانت سعي من خلال استفسار الذات، كما وجّه هو تلاميذه لاحقاً. لقد حذرهم أن الاتحاد الذي يقود نحو هذا الاستفسار لا يتم الحصول عادةً عليه بسرعة بل فقط بعد جهد طويل، و لكنه قال أيضاً أن هذه الطريقة "هي اكثر وسيلة مضمونة ،و الوحيدة المباشرة، لإدراك الكائن غير المشروط و المطلق الذي أنت ما هو عليه حقيقةً"

(Maharshi's Gospel, Part II)

يقول أنها تطلق مباشرةً مسيرة التحوّل، بالرغم من أنها قد تتطلب وقتاً طويلاً قبل أن تنتهي. "و لكن في اللحظة التي تبدأ فيها الأنا المغرورة في محاولة إدراك نفسها، تبدأ في الانخراط أقل و أقل في الجسد التي هي منغمسة فيه و أكثر و أكثر في الوعي للذات الحقيقية."

من الجدير بالذكر أيضاً، أنه بالرغم من أنه لم يكن يعرف شيئاً حول نظرية أو ممارسة السادهانا، لقد كان شري رامانا في الواقع يستعمل البرانايامًا أو التحكم بعملية التنفس ليساعد نفسه على التركيز. واعتمدها كوسيلة شرعية لمساعدة هؤلاء الذين يرغبون في التحكم في التفكير، بالرغم من أنه كان لا يشجع على استعمالها إلا لذلك الهدف، و لم يفرضها أبداً.

"التحكّم بالتنفّس هو وسيلة لمساعدتنا. إنه احدى الوسائل المتعددة التي تهدف إلى مساعدتنا في الحصول على التركيز المثبت. من الممكن للتحكم بالتنفس أن يساعد أيضاً في السيطرة على العقل المتجوّل و الحصول على الثّبات في التركيز. لكن لا يجب على المرء أن يتوقف هنا، بعد الحصول على السيطرة على العقل من خلال تمارين التنفس لا يجب على المرء أن يرتاح لأي تجربة قد تنتج عن هذا الأمر، و لكنه يجب أن يُسخّر العقل المنضبط للاستفسار "من أكون أنا؟" لحين ما يندمج العقل في الأنا الحقيقية."

هذا التغيير في نظام الوعي قام بشكل طبيعي في إحداث تغيير في حس القيم لدي فينكاتارامان و عاداته الحياتية. الأشياء التي كانت لها قيمة بالنسبة له في السابق فقدت كل جاذبيتها، الأهداف التقليدية في الحياة أصبحت غير حقيقية، الذي تمّ تجاهله نتج عنه نفور. الاعتياد على الحياة في هذه الحالة الجديدة من الوعي لا يمكن أن يكون سهلاً بالنسبة لفتى لا يزال في المدرسة و كان يفتقر لكل التدريب النظري فيما يتعلق بالحياة الروحية. لم يتحدث مع أي أحد حول الموضوع و لوقت استمر في البقاء ضمن العائلة و في الذهاب إلى المدرسة؛ في الواقع لقد قام بأقل قدر ممكن من التغيير الخارجي. و لكن بالرغم من هذا، لم يكن لعائلته إلا أن تلاحظ التغير في تصرفاته و أن تبدي استياءها من البعض منها. وقد وصف هذا أيضاً:

"لقد تم ملاحظة تبعات هذا الوعي الجديد بعد وقت قليل في حياتي. في البداية، فقدت أي اهتمام كان لدي في علاقاتي الخارجية بأصدقائي و أقربائي و ذهبت لدراساتي بشكل ميكانيكي. كنت أحمل كتاباً مفتوحاً أمامي لكي أقنعهم أنني أدرس، في حين أن انتباهي كان بعيداً عن أي من هذه الأمور السطحية. من خلال معاملتي مع الناس أصبحت ودوداً و خنوعاً.

في السابق كنت أتدمّر وأشتكي إن أوكلوا إلي أعمالاً اضافية، وأبدي استيائي إن أزعجني أحد. لم يكن أي أحد يتجرأ على الهزء مني أو التمادي في تصرفاته معي. الآن وقد تغير كل هذا، أي كان العمل الذي أحصل عليه، و أي كانت التصرفات السيئة التي أتلقّاها من الاخرين، كنت أتحملها بهدوء. الأنا المغرورة السابقة التي كانت تستاء و تشتكي اختفت. توقفت عن الذهاب مع الأصدقاء للعب و فضّلت الوحدة. كنت غالباً ما أجلس وحدي، بشكل خاص في وضعية تناسب التأمل، و أصبح منغمساً في الذات الحقيقية، الروح، القوة او التيار الذي كان هو تصميمي. كنت أستمر في هذا بالرغم من التعليق الساخر لأخي الكبير الذي كان ينادينى بسخرية "بالحكيم" أو "اليوغي" و ينصحني بالذهاب للعيش في الغابة كالريشيين القدامى.

"من علامات التغيير أيضاً هو أنني لم أعُد أفضّل أي نوع من الطعام على الآخر. مهما كان الذي يُقدَّم لي، حلو أو مالح، لذيذ أو سيء، كنت أتناوله دون أي مبالاة.

" احدى ميزات الحالة الجديدة كانت موقفي المتغير من معبد ميناكشي. (المعبد الكبير في مادورا.)

في السابق كنت أذهب الى المعبد في المناسبات مع الأصدقاء للنظر إلى الصور و وضع الرماد و صبغ الزنجفر على جبيني و أعود إلى المنزل شبه غير متأثر. و لكن بعد الوعي كنت أذهب إلى هناك كل ليلة تقريباً. أذهب وحيداً و أقف من دون أي حراك لوقت طويل أمام صورة شيفا أو ميناكشي أو ناتاراجا و القديسين الثلاثة و ستون، و خلال وقوفي هناك كانت تغمرني موجات من المشاعر.

كانت الروح قد تخلّت عن قبضتها للجسد عندما زهدت في فكرة "أنا هو الجسد" و كانت تبحث عن مرسى جديد؛ لهذا السبب كثرت زياراتي إلى المعبد، و كان ينتج عن فيض الروح الكثير من الدموع. كانت هذه هي لعبة الله مع الروح. كنت أقف أمام إيشفارا، المتحكّم في الكون و أقدار الجميع، الكلي القدرة و الكلي الحضور، و أصلّي أحياناً لنزول بركته عليّ كي يزداد تعبدي و يصبح ملموساً مثل تعبّد القديسين الثلاثة و ستون. في أغلب الأوقات كنت لا أصلّي على الإطلاق بل كنت أسمح للعميق الذي في داخلي بالفيض إلى أعمق الأعماق و ما يتعدّاها. الدموع التي كانت هي العلامة في هذا الفيض من الروح لم يرافقها أي حس باللذة أو الألم. لم أكن متشائماً؛ لم أكن أعرف شيئاً حول الحياة و لم أعرف أنها كانت مليئة بالحزن. لم أكن متأثراً بأي رغبة لتجنب عدم الولادة من جديدة أو البحث عن الحرية أو الحصول على الترفع أو الخلاص. لم أقرأ أي كتب باستثناء البيريابورانام، الإنجيل و مقاطع صغيرة من التايومانافار و تيفارام. فكرتي حول ايشفارا (ايشفارا، الكائن المطلق، هو يتوافق مع المفهوم الغربي للإله الشخصي.) كانت شبيهة بتلك الموجودة في البوراناس؛ لم أكن قد سمعت أبداً حول البراهمان (البراهمان هو الحقيقة غير الشخصية التي هي كامنة في اعماق الإله الشخصي، الكون و الإنسان.)، السامسارا (السامسارا هي تناوب عملية الولادة و الموت حياة بعد حياة والتي تنتهي فقط بعد التحرر من خلال إدراك الذات الحقيقية.) و إلى ما هنالك.

لم أكن أعرف بعد وجود جوهر أو حقيقة غير شخصية كامنة في كل شيء و أن ايشفارا و أنا كنا سوية متشابهين فيها. لاحقاً، في تيروفانامالاي، خلال استماعي للريبو غيتا و الكتب المقدسة الأخرى، تعلّمت كل هذا ووجدت أن الكتب كانت تحلل و تسمي الأمر الذي شعرت به حسياً من دون أي تحليل أو اسم. استناداً للغة الكتب يجب أن أصف الحالة التي كنت بها بعد الوعي كسودها ماناس أو فيجنانا أو حاسة المتنور."

كانت مختلفة جداً عن حالة المتصوّف الذي ينتقل الى حالة من النشوة لفترة قصيرة، كانت من بعدها تعود الحيطان المظلمة للعقل في الإطباق عليه من جديد. كان شري بهاغافان بالفعل في حالة مستمرة، و وعي غير منقطع للذات الحقيقية و قد قال بشكل علني أنه لم يعد هنالك أي سادهانا، ولا أي جهد روحي بعد هذا. لم يكن لديه أي سعي نحو البقاء في الذات الحقيقية لأن الأنا المغرورة، التي النقيض هو ما يسبب ولادتها، كانت قد ذابت و لم يكن هنالك أي شيء متبقي منها للسعي بعد الآن.

المزيد من التقدم نحو حياة واعية مستمرة متعارفة مع الذات الحقيقية و تثبيت هذا الأمر في الحياة الخارجية و البركة المشعّة بإتجاه من كان يقترب منه، كانت من حينها طبيعية و لا تتطلب أي جهد؛ و لكن بالرغم من هذا، كان هنالك نوع من التقدم لأن شري بهاغافان قال أن الروح كانت لا تزال تبحث عن مرسى.

الأشياء مثل تقليد القديسين و القلق حول ما كان أهله سوف يفكرون فيه كانت لا تزال تظهر نوع من القبول العملي للثنائية التي إختفت في وقت لاحق. علامة جسدية ظهرت خلال العملية المستمرة، اذ كان يشعر بحس من الإحتراق الداخلي المستمرّ منذ لحظة يقظته لحين اللحظة التي دخل بها الى المزار الداخلي للمعبد في تيروفاناماالاي.

الرحلة إلى آروناتشالا، تيروفاناماالاى

سبّب النمط المتغير في حياة فينكاتارامان بعض المشاكل. أهمل دراسته المدرسية أكثر من أي وقت مضى بسبب الصلاة و التأمل، و بالرغم من هذا السبب وغياب رغبته في اللعب و التسلية، كان عمه و أخوه الأكبر منزعجين بشكل كبير مما كان يبدو بالنسبة لهم كموقف غير عملي. من وجهة نظرهم، كان فينكاتارامان بكل بساطة هو الفتى المراهق لعائلة متوسطة، وعليه أن يعتمد على نفسه و يتعلم ليصبح قادراً لاحقاً على جني المال و مساعدة الآخرين.

في ٢٩ آب، بعد شهرين من اليقظة وقعت المصيبة، كان أمام فينكاتارامان تمرين في اللغة الإنكليزية لينسخه ثلاثة مرات كونه لم يتعلمه. جالساً مع أخيه الأكبر منه سناً في نفس الغرفة عند الظهيرة، قام بنسخ النص مرتين وكان على وشك أن يبدأ في الثالثة عندما أصابه شعور عميق بعدم جدوى هذا الفعل ، فدفع الأوراق بعيداً وجلس متشابك الرجلين، و سلّم نفسه للتأمل. (الكلمة "التأمل" قد تكون مضللة لأن هذا عادة ما يوحي بالفكر و التفكر. لقد تم بالفعل التعليق على استعمالها من قبل شري بهاغافان. من الممكن أن نضيف هنا أنه كان يستعملها من أجل السامادهي، والتي ليس هنالك مرادف لها باللغة الإنكليزية أو العربية و لكنها تعني

التأمل الخالي من الفكر أو الانغماس في الروح. كان يستعملها أيضاً من حيث المعنى "الجهد للحصول على الساماديهي من خلال استفسار الذات، والتي هي لا تتعلق كثيراً بالفكر بل بإطفاء الفكر.)

منزعجاً بسبب المشهد، علق ناغاسوامي بشكل ساخر، "ما هي فائدة كل هذا لشخص مثلك؟" المعنى كان واضحاً: أن المرء الذي يرغب في أن يعيش كناسك لا يحق له التمتع بما توفره الحياة المنزلية. تعرف فينكاتارامان على الحقيقة الواردة في الملاحظة، و من خلال التقبّل الذي لا يرحم للحقيقة (أو العدالة، التي هي الحقيقة المطبقة) الصفة التي كان يتمتع بها، نهض على قدميه لمغادرة المنزل في تلك اللحظة و التّزهد في كل شيء. و بالنسبة له هذا كان يعني تيروفانامالاي و التلة المقدسة. آروناتشالا.

و لكنه كان يعرف أنه عليه أن يستعمل الحيلة، لأن سلطة رب المنزل قوية جداً في الأسر الهندية و كلٍ من عمه و أخوه لن يتركوه يرحل لو عرفوا بذلك وهو بحاجةٍ اذاً إلى حيلة ما، لذا قال أنه عائدٌ إلى المدرسة لحضور صف خاص حول مادة الكهرباء.

من دون أن يدري، قام أخاه بتقديم المال له للقيام برحلته، و قال له " فإذاً قم بأخذ خمسة روبيات من العلبة في أسفل الدرج وادفع لي قسطي المدرسي بطريقك."

لم يكن العمى الروحي هو ما منع عائلة فينكاتارامان من ملاحظة الحال الذي وصل إليه، لم يلحظ أي شخص هذا الأمر. العظمة، القوة، و قدسية حالته كانت ما زالت جميعها مخفية. أحد أصدقائه من المدرسة، رانغا آييار، قام بزيارته بعد سنين عدة في تيروفانامالاي، و اندهش كثيراً و برهبة و انحنى أمام قدميه، و لكنه الآن كان يرى أيضاً فينكاتارامان الذي يعرفه. سأل لاحقاً لماذا كان الأمر هكذا فأجابه شري بهاغافان بكل بساطة أنه لم يلحظ أحد التغيير الذي عاشه.

سأله رانغا آييار أيضاً، "لماذا لم تقل لي أنا على الأقل بأنك سوف تغادر المنزل؟"

فأجابه: "كيف بإمكاني ذلك؟ أنا نفسي لم أكن أعلم."

كانت عمة فينكاتارامان عند أسفل الدرج. أعطته خمسة روبيات و قدمت له وجبة طعام، تناولها على عجل. كان هنالك أطلس ففتحه ووجد أن أقرب محطة من الممكن أن توصله الى تيروفانامالاي كانت عند تينديفانام.

في الواقع، أحد خطوط السكة بُني بالفعل للذهاب إلى تيروفانامالاي، و لكن الأطلس كان قديماً و لم يكشف الأمر. مقدراً أن الروبيات الثلاثة سوف تكفيه من أجل القيام بالرحلة، أخذ هذا القدر فقط. و قام بكتابة رسالة موجهة لأخيه من أجل طمأنته و عدم تشجيعه على اللحاق به و ترك الروبيات الاثنين معه. ورد في الرسالة التالي:

"لقد انطلقت في رحلة سعياً وراء أبي بناءً على طلبٍ منه. قمت بهذا سعياً وراء هدف نبيل، لذا لا تحزنوا بسبب هذا الفعل، و لا تصرفوا أي من المال للقيام بالبحث. أقساطك المدرسية لم تُدفع. اثنين من الروبي موجودين داخل هذه الرسالة."

هذه الحادثة كلها تشرح مقولة بهاغافان حول أن روحه قد تحرّرت من المرسى الذي هو جسده، و كانت لا تزال تبحث عن المرسى الدائم في الذات الحقيقية التي أدرك وحدته معها. حيلة صف الكهرباء، و بالرغم من أنها كانت غير مؤذية البتة، لم تعُد مجدية. ولا فكرة البحث، لأن الذي وُجد لا يبحث عنه. عندما تواضع

المريدين أمام قدميه كان قد صار واحداً مع الأب و لم يعد باحثاً عنه. الرسالة بنفسها تشرح الانتقال من الحب و التعبد في الثنائية إلى نعيم و صفاء الأحدية. هي تبدأ مع ثنائية "الأنا" و "أبي" وعبارات "الطلب" و "البحث"؛ و لكن في الجملة الثانية لا تعود الدلالة للكاتب على أنه "أنا" بل على "هذا". و عند النهاية عندما أتى الوقت للإمضاء، أدرك أنه لم يكن هنالك "أنا مغرورة" و لهذا السبب لم يكن هنالك أي اسم كإمضاء و بدلاً من ذلك كان هناك خط صغير. و لم يقم من بعدها أبداً بكتابة رسالة أو توقيع اسم، بالرغم من أنه قام مرتين بكتابة ما كان عليه اسمه. مرة واحدة أيضاً، بعد سنواتٍ لاحقة، زائر صيني للأشرام كان قد أعطي نسخة لكتاب شري بهاغافان "من أكون أنا؟" و بالطريقة اللبقة و لكن الملحة للصينيين أصر عليه الرجل لكي يضع إمضائه. تناول شري بهاغافان الكتاب و وضع عليه الرمز السانسكريتي أوم، الكلمة الأحادية المقطع المقدسة التي تمثل الصوت الأصلي الكائن داخل كل الخليقة.

أخذ فينكاتارامان ثلاثة روبيات و ترك الاثنتين الباقيتين. وهو أمرٌ ذو أهمية أنه أخذ فقط ما هو ضروري للقيام بالرحلة إلى تيروفانامالاي و ليس أكثر.

عند الظهيرة تقريباً كان قد غادر المنزل. تبعد المحطة عن منزله حوالي مسافة النصف ميل، مشى بسرعة كي يلحق بالقطار المغادر عند الساعة الثانية عشرة. و لكن، بالرغم من تأخّره، وصل قبل أن يصل القطار إلى المحطة. بحث في لوحة الرحلات عن الرحلة الثالثة نحو تينديفانام و وجد أنها تكلف روبيتان و ثلاثون آناس. اشترى البطاقة، و بقي معه ثلاثة آناس.

ولم يقرأ في أسفل اللوح وجود اسم تيروفانامالاي و أن الرحلة نحو البلدة كانت تكلف ثلاثة روبيات بالتحديد.

أحداث الرحلة هي علامات للمسيرة الصعبة التي يقوم بها المريد نحو هدفه: أولاً، عامل العناية الإلهية في توفير المال و الوصول إلى المحطة بالوقت المناسب بالرغم من أنه قد انطلق متأخراً؛ و بعدها تولّت العناية الإلهية القيام بما هو ضروري للوصول إلى الوجهة، و لكن غفلة المريد هي ما سبّب إطالة الرحلة و جعلته يمرّ بالصعوبات و المغامرات على الطريق.

جلس فينكاتارامان صامتاً بين الركاب، ضائعاً في غبطة بحثه. مرّت عدة محطات على هذا الحال. رجل مولوي صاحب لحية بيضاء (صوفي مسلم أو فقيه) ، تبدو عليه ملامح الحكمة و التقاوة استدار نحوه و قال :

"و إلى أين أنت ذاهب أيها السوامي؟"

"إلى تيروفانامالاي."

"وأنا كذلك " أجابه المولوي.

"ماذا! إلى تيروفانامالاي؟"

"ليس تماماً و لكن الى المحطة التالية."

"ما هي المحطة التالية؟"

"تيروكويلار."

عندها متشككاً بالخطأ الذي قام به، قال فينكاتارامان بدهشة: "ماذا! أنت تعني أن القطار ذاهب إلى تيروفانامالاي؟"

"راكب غريب، أنت!" أجابه المولوي. "و إلى أي وجهة اشتريت بطاقتك؟"

"إلى تينديفانام."

"آه يا عزيزي! ليس هنالك من داعٍ للذهاب كل ذلك البعد على الإطلاق، سوف نخرج عند محطة فيلوبورام و نغيّر طريقنا هناك نحو تيروفانامالاي أو تيروكويلار."

بعد أن قدّمت له العناية الإلهية المعلومات اللازمة، استغرق فينكاتارامان مرةٍ جديدة في نعيم السامادهي (الاستغراق). و عند مغيب الشمس كان القطار قد وصل إلى تريشينوبولي (التي تدعى الآن تيروشيرابالي) و بدأ بالإحساس بالجوع، لذا صرف نصف آناس على حبتين إجاص ريفيتين، من النوع الذي ينمو في تلال جنوب الهند. لدهشته كانت شهيته قد اكتفت عند أول قضمه ، بالرغم أنه قبل ذلك كان دائماً يأكل بشهية. استمر في حالة من النعيم و هو واعٍ و لكن جسده نائم لحين ما وصل القطار إلى فيلوبورام عند الساعة الثالثة صباحاً.

بقي في المحطة حتى الصباح و تجوّل بعدها في المدينة بحثاً عن الطريق التي تأخذه إلى تيروفانامالاي، مقرراً السير على الأقدام. ولكنه، لم يجد شيئاً . بعد أن مشى طويلاً، أحسّ بالتعب والجوع ، فدخل إلى فندق و طلب بعض الطعام. بانتظار وجبة طعامه، جلس و دخل في التأمل. بعد تناول الطعام ، قدم اثنين من الآناس كدفعة، و لكن صاحب الفندق اندهش لرؤية هذا البراهمين الشاب ، شعره طويل و يرتدي حلق ذهبي في أذنيه، جالساً أمامه كالمتنسك. بعد أن سأل صاحب الفندق فينكاتارامان كم كان يحمل معه من المال، و سمع بأنه يملك آناسين و نصف فقط ، رفض قبول الدفعة. و شرح له أيضاً أن مامبالاباتو، و هي أحد الأسامي التي رأها فينكاتارامان على احدى الإشارات، كانت على الطريق نحو تيروفانامالاي. عاد من بعدها فينكاتارامان إلى المحطة و اشترى بطاقة إلى مامبالاباتو، التي كانت تبعد بقدر المسافة التي يمكن للآناس المتوفرة معه أخذه إليها.

وصل إلى مامبالاباتو بعد ظهر اليوم، وانطلق في المسير.

سار عشرة أميال حتى حلول المساء. و أمامه كان معبد لآرايانينالور مبنياً على صخرةٍ كبيرة. المسيرة الطويلة، في الشمس الحارقة خلال النهار، قد أتعبته فجلس داخل المعبد من أجل الراحة. و بعد ذلك بفترةٍ قصيرة، أتى أحدهم وفتح المعبد من أجل الكاهن و بعض الآخرين للقيام باليوجا.

دخل فينكاتارامان و جلس في القاعة المليئة بالأعمدة ، في الجزء الوحيد الذي كان لا يزال معتماً بالكامل. و لمح فجأةً نوراً براقاً يشع في المعبد بأكمله. ظناً منه أن مصدر هذا النور هو صورة الله الموجودة في المعبد الداخلي، ذهب للنظر و وجد أن الأمر لم يكن كذلك، و لم يكن أي نور مادي. و عندما اختفى النور جلس من جديد للتأمل.

بعد قليل، قطع تأمله الطاهي، منادياً أن موعد إقفال المعبد قد حان بما أن البوجا كانت قد انتهت. اقترب من الكاهن و سأله إن كانوا يملكون شيئاً كي يتناوله و لكن لم يكن أي شيء متوفراً. فطلب عندها بالبقاء داخل المعبد حتى الصباح و تمّ رفض هذا الطلب أيضاً. البوجاريين (العابدين) قالوا أنهم ذاهبين إلى كيلور، حوالي

ثلاثة أرباع الميل بعيداً من هذا المكان، للقيام بالبوجا في معبد موجود هناك و أنه من بعد البوجا بإمكانه الحصول على شيء يتناوله، لذا قام بمرافقتهم.

في اللحظة التي دخلوا فيها إلى المعبد، كان قد دخل من جديد في الاستغراق بالنعيم الذي يدعى بالسامادهي. عند الساعة التاسعة انتهت البوجا و جلس الجميع لتناول العشاء. طلب فينكاتارامان من جديد. بدا اول الأمر أنه لم يكن سيتوفر أي شيء له، و لكن طبال المعبد الذي اندهش بمظهره و أسلوبه المتعبد، أعطاه حصته. طلب كذلك الماء كي يشرب مع وجبته، و هو حاملاً صحن ورقة الشجرة الممتلئ بالأرز، توجّه إلى منزل أحد الشاستري (متنسك) بالقرب ليعطيه الماء. و هو واقف أمام المنزل، منتظراً الماء، تعثرت خطواته و ثم وقع و استغرق في النوم أو غاب عن الوعي. بعد بضعة دقائق عاد لوعيه ووجد حشداً حوله ينظر إليه باستغراب. تناول الماء، استجمع نفسه و تناول بعض الأرز الذي كان قد أوقعه، و بعدها استلقى على الأرض و نام.

في الصباح التالي، الاثنين، ٣١ آب، كان يوم غوكولاشتامي، عيد مولد شري كريشنا، أحد أكثر الأعياد تميزاً في التقويم الهندي. كانت تيروفانامالاي لا تزال على بعد عشرون ميلاً. تمشى فينكاتارامان لبعض الوقت باحثاً عن الطريق و من جديد بدأ في الشعور بالجوع و التعب. مثل معظم البراهمين في الوقت الذي كانت فيه العادات القديمة لا تزال قائمة أكثر مما هي عليه اليوم، كان يرتدي حلق ذهبي للأذنين، و في حالته كان الحلق مزيناً بأحجار كريمة. فانتزعهم من أجل الحصول على بعض المال واكمال الرحلة على متن القطار، و لكن السؤال كان، أين و من أي شخص؟ فتوقف عند منزل عشوائي اتضح أنه ملك السيد موتهوكريشنا بهاغافاتار و طلب منه الطعام. على الأغلب كانت ربة المنزل قد تأثرت كثيراً بشكل البراهمين الشاب على عتبة منزلها و بتكوينه الجميل و عيناه اللتان تشعان في يوم عيد ولادة كريشنا؛ فأعطته وجبة باردة كبيرة، و لكن تماماً مثل ما حصل معه عند محطة القطار قبل يومين اختفت رغبته للطعام عند اول قضمه من الطعام، فوقفت فوقه أمومية و أجبرته على إنهاء وجبته.

بقيت مسألة حلق الأذنين عالقة . كان لا بد أنهما يساويان حوالي العشرين روبية و لكنه كان يريد قرضاً بقيمة أربعة روبيات فقط ثمنا لهم لتغطية أي مصاريف إضافية قد تصادفه على طريقه. لتجنب إثارة الشك قام بتقديم الحجة أنه كان في رحلة حج و أن حقائبه قد ضاعت منه، الامر الذي تركه بحال من العوز. موتهوكريشنا بهاغافاتار قام بفحص الحلق و بعد التأكد من أنه أصلي، قدم له الروبيات الأربعة. و لكن، أصرّ على أخذ عنوان الفتى الشاب و إعطائه عنوانه من أجل تحصيل الحلق لاحقاً. أبقاه الزوج الطيبان حتى فترة الظهر و قاما بعدها بإعطائه الغذاء، وتغليف بعض الحلويات التي كانت تحضّرها كبوجا من أجل شري كريشنا و لكن لم يكن قد تم تقديمها بعد.

في اللحظة التي قام بها بمغادرة المنزل قام بتلف العنوان، كونه لم يكن لديه أي نية باستعادة الحلق. بعد اكتشافه أنه لم يكن هنالك أي قطار إلى تيروفانامالاي لحين الصباح التالي، نام الليلة في المحطة. لم يكن من الممكن أن ينهي رحلته إلا في الوقت المقدّر له. في صباح الأول من أيلول، ١٨٩٦، ثلاثة أيام بعد مغادرته لمنزله، وصل إلى محطة تيروفانامالاي.

بخطوات سريعة، و قلبه ينبض فرحاً، توجّه نحو المعبد العظيم. بإشارة صامتة من الترحيب، كانت بوابات مجموع المباني الثلاث و كل الأبواب مفتوحة امامه، حتى بوابة المعبد الداخلي كانت مفتوحة. لم يكن هنالك أي أحد آخر في الداخل، لذا قام بالدخول إلى المعبد الداخلي وحيداً و وقف متخذاً أمام أباه آروناتشاليشفار (إيشفارا كان قد ظهر على شكل آروناتشالا). هناك، في نعيم الاتحاد، كان البحث قد تحقق و الرحلة انتهت.

الممارسات في الظاهر

بعد مغادرته المعبد، تجوّل فينكاتارامان في أنحاء البلدة. ناداه أحد ليسأله إن كان يرغب في إزالة خصلة الشعر من الجهة الخلفية لرأسه (طبقة الهنود الأورثوذكس يتركون خصلة شعر تنمو عند الجهة الخلفية من رؤوسهم؛ إزالتها و حلقها يُعتبران كدلالة عن التنسك.) لا بد و أن السؤال كان موحي لأنه لم يكن هنالك أي إشارة خارجية للدلالة على أن هذا الفتى البراهمان كان قد تنسك أو ينوي التزهّد في الدنيا. وافق على الفور و تم أخذه إلى بركة آيانكولام حيث تجمّع الكثير من حلاقي الشعر لممارسة مهنتهم. هناك تم حلق رأسه بالكامل. و بعدها، و هو واقف على رأس البركة رمى بقية أمواله –ثلاثة روبيات أو أكثر بقليل. و لم يتعامل مع المال أبداً من بعدها، رمى أيضاً علبة الحلويات التي كان لا يزال يحملها معه. "لماذا منح الحلويات لقطعة الجسد هذه؟"

كذلك الأمر انتزع عن نفسه الخيط المقدس الذي يدل على أنه ينتمي لطبقة البراهمان و رماه، لأن الذي يزهد في العالم لا يزهد فقط بالمنزل و الممتلكات بل أيضاً بطبقته و كافة حقوقه المدنية.

بعدها انتزع الدوتي (قطعةٍ بيضاء من القماش يتم ارتدائها من الخصر و نزولاً.) التي كان يرتديها، و مزق منها قطعة تكفيه يستعملها كمئزر و رمى الباقي.

و عاد من بعدها إلى المعبد بعد انتهائه من طقوس التنسك. و هو يقترب من المعبد تذكر أن المخطوطات الدينية تنص على أن المرء يجب أن يستحم بعد حلق رأسه، و لكنه قال لنفسه، "لماذا إعطاء قطعة الجسد هذه الرفاهية بأن تستحم؟" فأخذ حمام سريع و قصير جداً قبل الدخول إلى المعبد.

لم يدخل من جديد إلى المعبد الداخلي، لم تدعُه الحاجة إلى ذلك. بالفعل، لم يعد الى هناك الا بعد مرور ثلاثة سنوات. أخذ قاعة الألف عامود كمسكن له، و هي منصة صخرية مرفوعة، مفتوحة من كل الجهات، و السقف مدعوم بغابة من الأعمدة المنحوتة، و جلس هناك منغمساً بنعيم الكينونة. يوماً بعد يوم، ليلة بعد ليلة، جلس من دون أي حركة. لم يعد بحاجةٍ للعالم؛ وجوده الظلي لم يعد يعنيه خلال جلوسه منغمساً في الحق. استمر لبضعة أسابيع أخرى على هذا الحال، بالكاد يتحرك، و لا يتحدث أبداً.

هكذا بدأت المرحلة الثانية من حياته بعد التنور. خلال الأولى، كان المجد مخفيّاً و كان قد تقبّل ظروف الحياة ذاتها كما في السابق، مع نفس الطاعة تجاه المعلمين و الأكبر سناً؛ خلال الثانية كان قد توجّه الى الداخل، متجاهلاً بشكل كامل العالم الخارجي؛ و هذا، كما سوف يتم إظهاره، اتحد بشكل تدريجي في المرحلة الثالثة، التي دامت لأكثر من نصف قرن، والتي خلالها كان لمعانه يشع كالشمس في وسط النهار على كل من يقترب منه. ولكن، هذه المراحل تنطبق فقط على المظاهر الخارجية لحالته: لقد أعلن أكثر من مرة وبشكل واضح أنه لم يكن يختبر أي تغير أبداً أو تطور في حالة الوعي عنده أو اختباره الروحي.

أحد المتنسكين الذي يدعى سيشادري سوامي، والذي كان قد وصل الى تيروفاناماالاي قبل بضعة سنوات، أخذ على عاتقه مسؤولية الاعتناء ب "براهمانا سوامي،" كما بدأت الناس تدعو فينكاتارامان. لم يكن هذا بالكامل من مصلحته، كان يُشاع أنّ سيشادري سوامي مختلٌّ بعض الشيء و لهذا السبب جلب على نفسه اضطهاد فتيان المدرسة. و كانوا قد شدّ اهتمامهم الآن نحو الشخص الذي كان تحت رعايته و حمايته و الذين كانوا يدعونه "سيشادري الصغير." بدأوا برمي الحجارة عليه، بسبب وحشيتهم الصبيانية، وبسبب استغرابهم لرؤية فتى ليس أكبر منهم سناً بكثير جالساً كالتمثال، و كما قال أحدهم في وقت لاحق، أراد أن يعرف إن كان حقيقياً أم لا.

محاولات سيشادري سوامي لإبعادهم لم تكن ناجحة؛ بل كان لديها الأثر المعاكس في بعض الأحيان. لذا بحث براهمانا سوامي عن الملجأ في الباتالا لينغام، سرداب يقع تحت أرض قاعة الألف عمود، مظلماً و رطباً، حيث لا تدخل أشعة الشمس على الإطلاق. نادراً ما كان يدخل أي إنسان الى هذا المكان؛ فقط النمل، الحشرات و البعوض كانوا يتكاثرون هناك.

وكان لحم السوامي مصدر غذاءها، لحين ما غطّت الجروح فخذيه ، وبدأ يخرج منها القيح و الدماء. بقيت هذه الندوب حتى آخر عمره. الأسابيع القليلة التي أمضاها هناك كانت انحداراً نحو الجحيم، و لكن بالرغم من هذا، بسبب انغماسه في نعيم الذات الحقيقية، لم يتأثر بسبب العذاب؛ كان غير حقيقي بالنسبة له. امرأة تقية، راتنامال، دخلت السرداب لتأتيه ببعض الطعام و ترجته ليترك المكان و يرافقها إلى منزلها، و لكنه لم يظهر

منه أي إشارة على أنه كان قد سمع الكلام. تركت قطعة قماش نظيفة، راجيةً منه الجلوس أو الاستلقاء عليها أو استعمالها ضد الحشرات، و لكنه لم يلمسها.

بسبب خوفهم من الدخول إلى السرداب المظلم، كان الفتيان الذين يعذّبونه يرمون بالحجارة و أوعية الفخار المحطّمة على المدخل والتي كانت تتناثر في كافة أنحاء المكان. كان سيشادري سوامي يحرس المكان، مماً كان يزيد حماستهم.

في أحد الأيام عند الظهيرة، دخل قاعة الألف عمود شخص يدعى فينكاتاشالا مودالي و لدى رؤيته للفتيان و هم يرمون الحجارة استعمل عصا لطردهم من المكان. و عند عودته رأى سيشادري سوامي صاعداً من التجاويف القاتمة للقاعة. تفاجأ للحظة و لكن عاد من بعدها ليسأل سيشادري سوامي إن كان قد أصابه أي أذى. أجابه "كلا"، "و لكن اذهب وانظر الى حال السوامي الصغير في الداخل".

مذهولاً، نزل مودالي أدراج السرداب. تاركاً نور النهار المشع ومتّجهاً نحو الظلمة، لم يتمكن من رؤية شيء عند البداية؛ ولكن، تدريجياً، اعتادت عينيه على الظلام و تمكن من رؤية شكل السوامي الشاب. مصدوماً بسبب ما رآه، ذهب و أخبر الناسك الذي يعمل بالقرب من حديقة الزهور مع بعض الأتباع. فأتوا هم أيضاً للمراقبة. السوامي الشاب لم يتحرك أو يتكلم و بدا كأنه غير مدرك على الإطلاق لوجودهم، لذا رفعوا جسده و حملوه خارجاً. وضعوه أمام مزار للإله سوبرامانيا من دون أن يظهر أي علامة من الوعي لما يحدث (تم تجديد الباتالا لينغام بسبب القدسية التي قد نالتها من الممارسات الروحية التي قام بها شري بهاغافان بداخلها. يتم المحافظة عليها الآن بشكل جيد و هي مضاءة كهربائياً، و تم وضع صور لشري بهاغافان في داخلها.)

لحوالي الشهرين بقي البراهمانا سوامي داخل مزار الإله سوبرامانيا. كان يجلس من دون أي حركة مستغرقاً في السامادهي و في بعض الأحيان كان يوضع الطعام داخل فمه لأنه لم يكن يعير أي انتباه لما يحصل حوله. لبعض الأسابيع لم يهتم حتى بربط قطعة القماش التي على جسده. كان هنالك مّوني سوامي يهتم به (متنسك قد اتخذ نذر الصمت) و كان أيضاً يعيش حياته داخل المزار.

مزار الإلهة أوما داخل المعبد كان يُغسل كل يوم من خلال استعمال خليط من الحليب، الماء، الزعفران الهندي، السكر، الموز و مكونات أخرى، و كان المّوني يأخذ وعاءً من هذا الخليط الغريب إلى السوامي الشاب يومياً. كان يبتلعه من دون الاهتمام بطعمه، و كان هذا هو الغذاء الوحيد الذي يحصل عليه كل يوم. بعد بعض الوقت تنبه الكاهن في المعبد لهذا الأمر و أعطى الأوامر بأن يعطى الحليب الصافي فقط إلى المّوني لكي يمنحه للبراهمانا سوامي.

بعد بضعة أسابيع خرج البراهمانا سوامي إلى حديقة المعبد، المليئة بنبات الدفلي الطويل، البعض منها بطول عشرة أو اثنا عشرة قدماً. جلس هنا أيضاً منغمساً بغبطة السامادهي. كان جسده يتحرك أيضاً و هو في هذا الحال، لأنه عندما يستيقظ، كان يجد نفسه في بعض الأحيان تحت نبتةٍ مختلفة دون التذكر كيف وصل اليها. ذهب من بعدها إلى القاعة المليئة بمركبات المعبد حيث يتم وضع الصور عليها بالتدريج خلال أيام الأعياد المقدسة. هنا أيضاً كان يستيقظ في بعض الأحيان ليجد جسده في مكان مختلف، و قد تجنب العوائق التي على دربه من دون أي أذى بالرغم من أنه لم يكن واعٍ.

بعد ذلك جلس تحت شجرة على طول طريق المعبد عند الحائط الخارجي و كانت هذه الشجرة عادةً ما تستعمل من أجل الاحتفالات الدينية التي تُقام في المعبد. بقي لبعض الوقت هناك و في مزار المانغاي بيللايار. تأتي سنوياً حشودٌ كبيرة من الحجاج إلى تيروفانامالاي من أجل احتفال كارتيكاي، الذي يحصل في تشرين

الثاني و كانون الأول، حيث يتم إضاءة شعلة كبيرة عند قمة جبل آروناتشالا من أجل تكريم العيد الذي ظهر فيه الإله شيفا كعمود من نور، و هذه السنة أتى الكثيرين لمراقبة السوامي الشاب و الانحناء باحترام أمامه. في هذه الفترة أصبح أول مريد متعلقاً به، *أوداندي ناييناار*، الذي إنغمس في الدراسات الروحية و لكنه لم يحصل على السلام بسببها. بعد رؤيته للسوامي الشاب منغمساً في غبطة السامادهي و بشكل ظاهر غير مبالٍ للجسد، شعر أنه يقف أمام شخص مدرك لذاته الحقيقية و أنه من خلاله بإمكانه أن يجد السلام. كان يسعده كثيراً خدمة السوامي و لكن كان هناك القليل جداً كي يقوم به. كان يُبعد حشود المراقبين و يوقف اضطهاد الفتيان. معظم وقته يمضيه في ترديد الأعمال التاميلية التي تشرح عقيدة الأدفايتا (اللاثنائية). أمله العظيم كان بالحصول على الأوباديسا، التعليم الروحي، من السوامي، و لكن السوامي لم يتحدث إليه أبداً و هو لم يكن يرى أنه من اللائق أن يتحدث أولاً و يقطع صمته.

في هذا الوقت، مر شخص يدعى *آنامالاي تامبيرام* قرب الشجرة التي يجلس السوامي الشاب تحتها. تأثر كثيراً بجماله الصافي خلال جلوسه هناك بمفرده، غير متأثر بأي هّم أو فكر، لدرجة أنه سقط على وجهه أمامه و من حينها استمر بالقدوم يومياً للانحناء أمامه. كان متنسكاً يتجوّل في أنحاء المدينة مع بعض رفاقه و هم يغنون الأغاني التعبدية. من خلال الصدقة التي كان يحصل عليها كان يطعم الفقراء و يقوم بالبوجا عند قبر الأدهينا غورو خاصته (مؤسس سلسلة المعلمين التي ينتمي إليها) خارج البلدة.

بعد بعض الوقت خطر على باله أن السوامي الشاب قد يكون بحال أفضل من دون أي إزعاج عند الغورومورتام، كما أصبح اسم ذلك المزار، و كذلك الأمر بما أن الموسم بارد الآن ، فالسوامي الشاب سيكون محمياً أكثر. تردد في اقتراح الأمر و تحدث بدايةً مع *ناييناار*، بما أن أحداً لم يحدّث السوامي من قبل. و أخيراً قام باستجماع شجاعته لطرح الامر. وافق السوامي و في شباط ١٨٩٧، أقل من ستة أشهر على وصوله إلى تيروفاناماالاي، ذهب إلى *غورومورتام*.

هناك، لم يطرأ أي تغيير في طريقة نمط عيشه. أرض المزار كانت مليئة بالنمل و لكن السوامي بدا و كأنه غير مدرك لها و هي تزحف على جسده وتعضّه. بعد فترة قام بوضع منصة عند الزاوية كي يجلس عليها و غمر زواياها بالماء كي لا يتمكن النمل من الوصول، و لكن حين ألقى ظهره على الحائط ، كوّن لها جسراً للعبور.

بسبب جلوس هذا بشكل مستمر ، انطبع ظهره بشكل دائم على الحائط.

بدأ الحجاج و الزّوّار بالتوافد إلى *غورومورتام* و كان العديد منهم ينحني احتراماً أمام السوامي، البعض بسبب الاحترام الصافي و الآخر من أجل الصلاة للحصول على النعم. كانت الحشود كبيرة لدرجة أنه تم بناء حاجز من قصب البامبو حول مقعده لمنع الحشود من لمسه على الأقل.

بدايةً، كان تامبيرام يؤمّن كمية الطعام القليلة الضرورية من خلال الأضاحي والتقديمات عند مزار الغورو خاصته، و لكن بعد فترة غادر تيروفاناماالاي. أخبر ناييناار أنه سوف يعود بعد أسبوع و لكنه بقي بعيداً لأكثر من سنة. بعد بضعة أسابيع اضطر ناييناار أيضاً للذهاب إلى المات خاصته (المعبد الخاص أو المزار) و بقي السوامي من دون أي رعاية. لم تكن المشكلة في تأمين الطعام – في الواقع كان هنالك العديد من المريدين الآن الذين يتمنون تقديم الطعام بشكل يومي و منتظم. الحاجة الملحة أكثر كانت إبعاد حشود المراقبين و الزوار.

لم يمرّ الكثير من الوقت حتى أتى أحد المرافقين المنتظمين. متنسك مالايالي يدعى *بالانيسوامي*، كان مكرساً حياته لعبادة الإله فينياكا. يعيش بزهد عظيم، و يتناول فقط وجبة واحدة في اليوم من التقدمة التي يتم تقديمها إلى الإله خلال البوجا و من دون أي تمليح. أحد أصدقائه ، يدعى سرينيفاسا آيير بالاسم، قال له أحد الأيام: "لماذا تمضي حياتك مع هذا السوامي الحجري؟ هنالك سوامي باللحم و الدم في الغورومورتام. و هو منغمس في الرياضات الروحية (التاباس) كما الدهروفا الشاب في البوراناس. إن ذهبت و قمت بخدمته و تعلقت به فإن حياتك سوف تصل إلى غايتها."

في الوقت نفسه ، أخبره آخرون عن السوامي الشاب و أنه لم يكن هنالك أي شخص للاعتناء به و كم سيكون مباركاً لو قام هو بهذه المهمّة. تبعاً لهذا قام بالذهاب إلى غورومورتام للمشاهدة بأم عينه. تأثر في أعماق أعماقه عند رؤيته السوامي. لبعض الوقت استمر بالقيام بعبادته في معبد فينياكا بسبب حسه بالواجب، و لكن قلبه كان مع السوامي الحّي و بعد مرور بعض الوقت أصبح تعبده له كاملاً. كرس بقية حياته لخدمته، و بقي كخادمه لمدة واحدٍ و عشرين سنة.

لم تكُن مهمّاته كثيرة. تقبل تقديمات الطعام من قبل المريدين و لكن كل ما كان يقبله السوامي هو كوب صغير من الطعام عند فترة الظهيرة من كل يوم، ويتم إعادة الباقي إلى المانحين كبراسادام (بركة بشكل هدية). إن كان يحتاج للذهاب إلى البلدة لسببٍ ما – بالعادة للحصول على كتاب روحي من صديق – كان يقفل المزار و عند عودته يجد السوامي في الوضعية ذاتها كما تركه.

كان جسد السوامي مهملاً بالكامل. لم يعر جسده أي اعتناء. كان غير مغسولاً؛ شعره قد نمى مجدداً و كان كثيفاً و متلبداً ؛ أظافره نمت و أصبحت معكوفة. البعض نظر إلى هذا الامر على أنه علامة عن الكبر بالسن و أنه حافظ على شبوبية جسده من خلال القوى اليوغية. بالواقع، كان جسده قد ضعف حتى الوصول إلى حدود احتماله. عندما كان يحتاج إلى الخروج كان بالكاد يملك القوة للنهوض. كان يرفع نفسه بضعة إنشات و بعدها يغرق من جديد، ضعيفاً و يعاني من الدوار، و كان عليه أن يحاول مرات عديدة قبل أن يقدر على النهوض على قدميه. في أحدى المناسبات، وصل إلى الباب و كان متمسكاً به بيديه عندما اكتشف أن بالانيسوامي كان يدعمه. دائماً باغضاً لتلقي المساعدة، سأله، "لماذا أنت تمسكني؟" فأجابه بالانيسوامي: "كان السوامي على وشك أن يقع فقمت بإسناده لتجنب وقوعه."

المرء الذي يحصل على الاتحاد بالمقدس يتم عبادته في بعض الأحيان بالطريقة ذاتها التي يتم فيها عبادة الصنم في المعبد، من خلال إشعال البخور، و صمغ الصندل، الورود، سكب السوائل و ترديد الأغاني التعبدية. عندما كان تامبيرام في غورومورتام قرر عبادة السوامي بهذه الطريقة. عند اليوم الأول، تفاجأ السوامي بالأمر و حافظ على صمته، في اليوم الثاني عندما جلب تامبيرام كوب الطعام اليومي شاهد كتابة بالفحم على الحائط فوق السوامي بالتاميلي، "هذه الخدمة تكفي من أجل هذا،" ما معناه أن الطعام هو كل ما يجب أن يتم تقديمه لهذا الجسد.

أتى الأمر كمفاجأة بالنسبة لمريديه عندما عرفوا بأن السوامي متعلم وأن بإمكانه الكتابة و القراءة. فقرر أحدهم استعمال هذا الواقع للمعرفة من أين أتى و ما كان اسمه. كان رجلاً كبيراً في السن، اسمه فينكاتاراما آيير، رئيس قسم المحاسبة في مكتب التالوك بالبلدة. كان يأتي عند كل صباح و يجلس لفترة في التأمل بحضرة السوامي قبل الذهاب إلى العمل. عادةً ما يتم احترام نذر الصمت في الهند و بسبب عدم تكلمه كان الظن هو بأن السوامي قد اتخذ هكذا نذر، و لكن الذي لا يتحدث عادةً ما يقوم بكتابة الرسائل، و الآن بما أنه

كان يعلم أن السوامي كان قادراً على الكتابة، كان فينكاتاراما مصراً. وضع أمامه ورقة و قلم على أحد الكتب التي كان بالانيسوامي قد جلبها إلى هناك و ترجاه لكي يكتب اسمه و اسم المكان الذي أتى منه.

لم يقم السوامي بأي رد فعل تجاه طلباته لحين ما أعلن في النهاية أنه لن يأكل أو يذهب إلى مكتبه لحين الحصول على المعلومات التي يرغب بها. عندها كتب بالإنكليزية "فينكاتارامان، تيروشوزهي". معرفته للإنكليزية أتت كمفاجأة إضافية و لكن فينكاتاراما كان بحيرة بعض الشيء لعدم قدرته على فهم أحد الأحرف باللغة الإنكليزية.

فأمسك السوامي الكتاب الذي كانت موضوعة عليه قطعة الورق للبحث عن الحرف و بعد أن اكتشف أنه البيريابورانام، الكتاب الذي كان له أثر كبير عليه قبل يقظته الروحية، بحث عن المقطع الذي تم فيه ذكر تيروشوزهي على أنها البلدة المكرمة في الأغاني من قبل سوندارامورتي سوامي و آراها لفينكاتاراما آيير.

في شهر أيار ١٨٩٨، بعد فترةٍ سنة أو أكثر من اقامته في غوروموورتام، انتقل السوامي إلى حديقة اشجار مانغا مجاورة. مالكها، فينكاتاراما نايكير، اقترح التغيير على بالانيسوامي بما أنه من الممكن إقفال الحديقة، الأمر الذي يؤمن المزيد من الحرمة. قام كل من السوامي و بالانيسوامي بالسكن في أحد ملاجئ المراقبة هناك، و قام المالك بإعطاء الحدائقي أوامر صارمة على أنه ممنوع على أي شخص الدخول من دون أخذ الإذن من بالانيسوامي.

بقي لحوالي الستة أشهر، و في هذا المكان بدأ بتكوين المعرفة الواسعة. و لم يكن الامر بسبب أي رغبة في التعلم و لكن من أجل مساعدة أحد المريدين. كان بالانيسوامي يجلب الكتب الروحية و الفلسفية لدراستها و لكن الوحيدة التي كان بإمكانه الحصول عليها هي تلك التي باللغة التاميلية، لغةٍ كان يعرف عنها القليل، لذا سبب له هذا الأمر الكثير من العناء. بسبب شعوره بمعاناته هذه ، التقط السوامي الكتب، و بدأ بقرأتها له و أعطاه ملخص مفيد لكلٍ من التعاليم الأساسية. خبرته الروحية السابقة سمحت له بفهم النصوص مباشرةً و ذاكرته القوية عندما كان يقرأ احتفظت بكل شيء، لذا أصبح واسع المعرفة من دون الكثير من العناء.
بالطريقة ذاتها، تعلم لاحقاً السنسكريتية، التيلوغو و المالايالام من خلال قراءة الكتب التي تم جلبها اليه بتلك اللغات و إجابة الأسئلة الكامنة في داخلها.

العودة

عندما غادر فينكاتارامان الشاب المنزل، كان الأمر مفاجأةً لأهله. بالرغم من تصرفه المتغير و بالرغم من قدر العائلة، لم يتوقع أي أحد رحيله. تم القيام بالبحث و الاستفسارات دون تضييع الوقت. والدته، التي كانت تسكن في ذلك الوقت لدى أقارب في مانامادورا، كانت هي الأكثر قلقاً حول ولدها. ترجت إخوان زوجها، سوبيير و نيلليابيير، كي يخرجا و لا يتوقفا عن البحث حتى يجدوه. تم سماع شائعة أنه انضم الى فرقة مسرحية تقوم بتقديم العروض الدينية التقليدية في منطقة تريفاندروم. نيلليابيير ذهب على الفور إلى هناك و قام باستفسار كافة الفرق المسرحية و لكن بالطبع من دون نتيجة. و لكن بالرغم من هذا لم تقبل آلاغامال بالفشل و أصرت عليه أن يذهب مرةٍ أخرى و يأخذها معه. في الواقع رأت في تريفاندروم شاب بعمر و طول فينكاتارامان و شعر مشابه كان قد أدار لها ظهره و رحل. بعد شعورها بالاقتناع أن هذا الفتى هو فينكاتارامان ، رجعت الى المنزل و هي تشعر بأنه تم رفضها.

سوبيير، العم الذي بقي معه فينكاتارامان في مادورا، توفي في آب ١٨٩٨. نيلليابيير و عائلته ذهبوا لحضور الدفن، و هناك عرفوا أول خبر عن فينكاتارامان المفقود. رجل شاب كان موجوداً في الدفن تحدث عن زيارة مؤخرة له لمّات (معبد خاص) في مادورا حيث سمع من شخص يدعى آنامالاي تامبيرام يتحدث بإجلال كبير

لسوامي شاب في تيروفانامالاي. بعد سماعه أن السوامي كان اتياً من تيروشوزهي، قام بطرح المزيد من الأسئلة لمعرفة تفاصيل أكثر و عرف أن اسم السوامي هو فينكاتارامان. فاستنتج "لا بد و أنه الفينكاتارامان، وهو الآن ينظر له كسوامي."

نيلليابيير كان مرافعاً درجة ثانية و يمارس مهنته في مانامادورا. بعد سماعه لهذا الخبر رحل على الفور مع صديق إلى تيروفانامالاي للتأكد من الأمر. وجدوا طريقهم إلى السوامي و لكنه كان يسكن في ذلك الوقت عند حديقة المانغا، و مالكها فينكاتاراما نايكير رفض السماح لهم بالدخول: "هو مّوني (أخذ نذر الصمت)؛ لماذا الدخول و إزعاجه؟" حتى عندما ترجوه و قالوا له أنهم أقرباء له، أقصى ما سمح به هو إيصال رسالة مكتوبة إليه. نيلليابيير كتب على قطعة ورق كانت معه، "نيلليابيير، مرافع مانامادورا، يرغب برؤيتك."

أظهر السوامي بالفعل لإدراك حاد للأمور العلمانية مع انفصال كامل عنها في الوقت ذاته، الأمر الذي كان احد أكثر صفاته البارزة و الذي أدهش مريديه في الوقت ذاته. لاحظ أن الورقة التي تم كتابة الرسالة عليها أتت من مركز التسجيل و كان عليها مسألة مكتبية في الخلف بخط أخوه الأكبر منه سناً، ناغاسوامي، الأمر الذي جعله يستنتج أن ناغاسوامي كان قد أصبح كاتباً في مركز التسجيل. تماماً كما في السنوات اللاحقة، كان دائماً يقلب الرسالة للقراءة من أين أتت و مراقبة الطابع الموضوع عليها.

أعطى الإذن للزوار بالدخول، و لكنه جلس بصمت و تحفظ دون أي أثر للاهتمام الذي كان قد أظهره منذ قليل عند تفحصه للرسالة. أي أثر لاهتمامه كان لقطع الأمل بعودته. نيلليابيير تأثر كثيراً لرؤيته له على هذه الحالة – سوامي و لكن أشعث، غير مغسول، مع شعر معقد و أظافر طويلة. مفترضاً أنه مّوني، قام بالتوجه في كلامه إلى بالانيسوامي و نايكير، و قال لهما أنه يشعر بالفخر كون أحد أفراد عائلته قد وصل الى هذه الحالة السامية و لكن لا يجب تجاهل سبل الراحة.

تمنى أقرباء السوامي تواجده بالقرب منهم. لم يضغطوا عليه لترك نذوره او أسلوب الحياة الذي اعتنقه؛ دعوه إلى الاستمرار بحياته كمّوني (صامت) و كمتنسك، و لكن في مانامادورا، بالقرب من مسكن نيلليابيير ، حيث يوجد مزار لقديس عظيم، و من الممكن له البقاء هناك و الاهتمام بكل حاجاته من دون أي إزعاج. رجاه المرافع بكل لياقة، و لكن من دون فائدة. جلس السوامي جامداً من دون أي إشارة على أنه كان قد سمع حتى. لم يملك نيلليابيير أي خيار سوى القبول بفشله. كتب إلى آلاغامال الخبر السار أنه كان قد وجد ابنها و أرفق بالرسالة خبرين مقلقين أن الفتى كان قد تغير كثيراً و لم يكن يرغب بالعودة معهم. بعد خمسة أيام في تيروفانامالاي، عاد إلى مانامادورا.

بعد فترةٍ قصيرة غادر السوامي حديقة المانغا و ذهب إلى معبدٍ صغير لآروناغيريناثار غرب بركة آيانكولام. دائماً متردد في اعتماده على الآخرين لخدمته، قرر الخروج بشكل يومي كي يتسول طعامه بدل الاعتماد على بالانيسوامي. "اذهب أنت في طريق لتسول طعامك و أنا سوف أذهب في الآخر،" ترجاه؛ "دعنا لا نسكن سوية." شكل الامر ضربة قاسية بالنسبة لبالانيسوامي. التعبد للسوامي كان نمط عبادته. ذهب بمفرده كما قيل له و لكن عند حلول المساء وجد نفسه قد عاد إلى معبد آروناغيريناثار. كيف بإمكانه العيش من دون السوامي خاصته؟ فسمح له بالبقاء.

كان السوامي لا يزال محافظاً على صمته. يقف عند عتبة منزل و يصفّق بيديه و إن تم إعطائه الطعام، يتقبله بأيديه و يتناوله وهو واقف على الطريق. بالرغم من أنه كان يدعى للدخول، كان لا يدخل أبداً إلى أي منزل. يتنقل الى شارع مختلف كل يوم و لم يتسوّل مرتين من المنزل نفسه. قال لاحقاً أنه تسوّل تقريباً في كافة شوارع تيروفانامالاي.

بعد شهر في معبد آروناغيرياثار، اتخذ أحد الأبراج المعبد العظيم كمسكن له و في حديقة آلاري داخل المعبد. كان المريدون يتبعوه بالفعل الى حيث يذهب. بقي في هذا المكان لأسبوع واحد فقط و ذهب من بعدها الى بافالاكونرو، و ثم ذهب الى الجهة الشرقية لآروناتشالا، وبقي في المعبد هناك. كان يجلس كما في السابق، مستغرقاً في السامادهي (نعيم الوجود)، و مغادراً للمكان فقط من أجل تسوّل الطعام عندما يكون بالانيسوامي بعيداً. غالباً ما كان كاهن المعبد يقفل الباب عليه و يغادر بعد أداء البوجا، من دون الانتباه إن كان بالداخل أم لا.

هنا هو المكان حيث وجدت آلاغامال ابنها. بعد تلقي الأخبار من نيلليابيير، انتظرت فرصة عيد الميلاد حيث أصبح ابنها الأكبر، ناغاسوامي، حراً لاصطحابها و ذهبت من بعدها إلى تيروفانامالاي. تعرّفت على فينكاتارامان على الفور، بالرغم من حالة جسده و شعره المعقود. بكل الحب الأمومي بدأت تندب حاله و ترجّته كي يعود معها، و لكنه جلس غير متحرك، دون الإجابة عليها، دون أن يظهر حتى أنه قد سمعها. يوماً بعد يوم كانت تعود، جالبةً معها أشياء لذيذة الطعم كي يتناولها، محاولة التقرب منه بكافة أشكال الترغيب و لكن من دون أي فائدة. في أحد الأيام، لسعت بسبب قلة اهتمامه تجاهها، فبدأت تبكي بغزارة. و لكنه لم يجب عليها حتى، و من أجل تجنب إظهار أي رد فعل عاطفي تجاهها و إعطائها أي أمل، صعد من مكانه و رحل. في يوم آخر قامت بمحاولة استجلاب تعاطف المريدين الذين كانوا قد اجتمعوا حوله، شاكية لهمها أمامهم و مترجيةً لهم التدخل. أحدهم، باشايابا بيللاي، قال للسوامي: "والدتك تبكي و تصلي؛ لماذا لا تعطيها جواباً على الأقل؟ إن كان "أجل" أم "لا" بإمكانك الإجابة عليها. ليس السوامي بحاجة لقطع نذر صمته. تفضل هذا القلم و هذه الورقة؛ بإمكان السوامي على الأقل أن يكتب ما لديه"

تناول القلم و الورقة، و بلغة غير شخصية على الإطلاق، كتب:

" الحق هو من يتحكم بقدر الأرواح بما يتناسب مع البارابدهاكارما خاصتهم (القدر الذي سوف يتم خلال هذه الحياة، والذي هو نتيجة موازين الأفعال التي قد حصلت خلال الحيوات السابقة). ما هو مقدر أن لا يحصل فلن يحصل، حاول مهما استطعت. وما هو مقدر أن يحصل فسوف يحصل، حاول مهما استطعت لمنعه. هذا الامر مؤكد. لهذا، أفضل مسار، هو البقاء صامت."

في الجوهر، هذا الكلام هو ذاته مثل قول المسيح لوالدته: "يا امرأة، ماذا شأني بك؟ ألا تعلمين أنني يجب أن أعمل لأجل والدي؟" بالشكل هذه الجملة شبيهة جداً لما قاله شري بهاغافان، أولاً، أنه يجب عليه أن يكون صامتاً عندما لا يمكن للجواب إلا أن يكون سلبياً، و ثانياً، عندما لم يتم تقبل الصمت، و تحت المزيد من الضغط، فقد أعطى جواباً، كان مزيناً بعبارات عامة لدرجة كونه تعليم عقائدي غير شخصي و في الوقت ذاته جواب محدد طبقاً لحاجات السائل.

شري بهاغافان لم يكن مساوماً على الإطلاق بتعليمه أن ما سوف يحصل سيحصل، في حين أنه بالوقت ذاته كان يعلم أن مهما يحصل هو نتيجة البارابدها، ميزان المرء من القدرية التي تعمل بطريقة مستندة على قانون قاسي جداً مبني على السبب و النتيجة لحد أن كلمة "العدالة" تبدو عاطفية جداً للتعبير عنه. دائماً ما كان يرفض الدخول بالأحاديث حول حرية الإرادة و القدرية، لأن هكذا نظريات، بالرغم من أنها متناقضة في البعد الفكري، قد يعكس كلٍ منها نواحي للحقيقة. كان يقول "اكتشف ما هو مقدر أو من يملك حرية الإرادة."

قالها صراحةً: "كل الأفعال التي يقوم بها الجسد قد تم تحديدها بالفعل عند لحظة قدومه إلى الوجود: الحرية الوحيدة التي تملكها هي التعارف مع الجسد أو عدمه." إن قام المرء بلعب دور في المسرحية، الجزء بكامله الذي يقوم به هو مكتوب أصلاً و المرء يلعبه بالكامل إن كان قيصر الذي قد تم طعنه أو إن كان بروتس الذي

يطعن، من دون التأثر بالأمر لأن المرء يعرف أنه ليس ذلك الشخص. بالطريقة ذاتها، المرء الذي يدرك هويته على أنه الذات التي لا تموت يمثل دوره على مسرح البشر من دون أي خوف أو قلق، أمل أو ندم، من دون أن يتأثر بالدور الذي يلعبه. إن كان المرء ليسأل ما هي الحقيقة التي يملكها عندما تكون كل أفعاله مقدرة، هذا الامر سوف يقود الى السؤال: من، عندها، أكون أنا؟ إن كانت الأنا المغرورة التي تظن أنها تقوم بالخيارات هي ليست حقيقية و بالرغم من هذا أنا أدرك أنني موجود، ما هي حقيقتي؟ هذا الامر هو فقط تحضيري، النسخة الفكرية للبحث الذي كان شري بهاغافان ينصح به، و لكنه تحضير ممتاز من أجل البحث الحقيقي.

و بالرغم من هذا، وجهة النظر المناقضة التي تقول أن المرء هو من يحدد مصيره هي لست أقل حقيقةً، بما أن كل شيء يحصل بسبب قانون السبب و النتيجة و كل فكرة، كلمة أو فعل ينتج عنه تبعاته. كان شري بهاغافان صارماً في هذا الموضوع كما الكثير من المعلمين الآخرين. قال لأحد المريدين، شيفابراكاسام بيللاي، بجواب تم استعماله في المقطع العاشر، "بما أن المخلوقات تحصد ثمار أعمالها انسجاماً مع قوانين الله، المسؤولية هي عليهم، و ليس عليه." كان دائماً يردّد ضرورة الحاجة للمجاهدة.

لقد تم التدوين في إنجيل الماهارشي أن أحد المريدين تذمّر: "بعد مغادرتي للأشرام في شهر تشرين الأول، كنت متيقظاً للسلام الذي يطغى بحضرة شري بهاغافان و الذي غمرني لفترة عشرة أيام. في كافة الأوقات، خلال قيامي بعملي، كان تيار داخلي يسري لذلك السلام في الوحدة؛ كان الأمر كالوعي الثنائي الذي يختبره المرء و هو نصف نائم خلال حصة دروس مملة. و ثم زال الأمر بشكل كامل و عادت التفاهات السابقة بدلاً عنه." فأجاب شري بهاغافان: "إن قمت بتقوية العقل، ذلك السلام سوف يصبح ثابت. مدته تتناسب بقدر القوة التي قد اكتسبها العقل من خلال الممارسة المتكررة." في التعاليم الروحية أشار أحد المريدين بشكل خاص إلى التناقض ما بين القدر و المجهود: "إن، كما يُقال، كل شيء يحصل استناداً للقدر، حتى العقبات التي تؤخر المرء و تمنعه من النجاح في ممارسة التأمل من الممكن اعتبارها لا تقهر، بما أنها قد تم وضعها من قبل قدر غير قابل للتعديل. فإذاً كيف بإمكان المرء أن يأمل بتخطيهم؟" و على هذا السؤال أجاب بهاغافان: "ذلك الذي يدعى ب"القدر"، والذي يمنع التأمل، هو موجود فقط بالنسبة للعقل المتوجّه للخارج و ليس ذلك الذي قد انعكس للداخل. لهذا السبب، المرء الذي يبحث في داخله عن الذات الحقيقية، ثابتاً على ما هو عليه، لا يخاف من أي عقبة قد تبدو كأنها واقفة بطريق قيامه بممارسة التأمل خاصته. فكرة وجود هكذا عوائق هي أكبر عقبة على الدرب."

خلاصة ما كتبه في الرسالة هو – "لهذا السبب، أفضل مسار، هو، التزام الصمت" – مطبقاً ذلك بشكل خاص على والدته بما أنها كانت تسأل ما لا يمكن منحه. الأمر ينطبق أيضاً على الأشخاص بالمطلق بمعنى "لا يوجد جدوى في ركل الحجارة"، قدر معاكس لا يمكن التعديل فيه؛ و لكن هذا لا يعني أنه لا يجب أن يقوم المرء بأي جهد. المرء الذي يقول، "كل شيء مقدر، لهذا السبب لن أقوم بأي جهد،" هو يعرف الافتراض الخاطئ "و أنا أعرف ما هو الذي مقدر" – لربما هو طرف في جزء حيث يجب القيام بالجهد. كما قال شري كريشنا لأرجونا في البهاغافاد غيتا، طبيعته هي التي سوف تدفعه على القيام بالجهد.

عادت الوالدة إلى المنزل و بقي السوامي على ما كان عليه سابقاً. و لكن ليس تماماً. خلال العامين و ربع اللذان أمضاهما في المعابد و المزارات داخل تيروفاناماالاي بدأت تظهر عليه العلامات الخارجية للعودة إلى الحياة الخارجية. لقد بدأ بالفعل بتناول الطعام يومياً عند ساعة محددة، و لكي لا يعتمد على أحد، بدأ نفسه بالخروج للبحث عن الطعام. لقد تحدث بضعة مرات. بدأ بالاستجابة لمريديه، بقراءة الكتب و التوسع بشرح جوهر التعاليم في داخلها.

عندما أتى بدايةً إلى تيروفانامالاي، جلس مستغرقاً في نعيم الذات الحقيقية، متجاهلاً بشكل كامل العالم و الجسد. كان يأخذ الطعام فقط لو تم جلبه إلى يديه أو فمه و حتى عندها كان بالكاد يتناول ما يقيت جسده. تم وصف هذا على أنه تاباس (ممارسات روحية)، و لكن الكلمة تاباس تغطي معنى مركب جداً. هي تدل على أن التركيز يؤدي إلى الزهد، عادةً التفكير عند الانغماسات الحسية القديمة و إزالة كافة أنواع الرغبات من جذورها من أجل عدم تكرارها و منع الطاقة التي تحاول أن تجد لها منفذ في العقل و الحواس من الخروج. هذا ما معناه أن التاباس عادةً ما تعني المجاهدة من أجل التحقق من خلال التوبة و الزهد. في حالة بهاغافان عوامل الصراع، التكفير عن الخطايا و مخالفة النفس كانت ناقصة بالكامل، بما أن التعارف الخاطئ مع "الأنا المغرورة" مع الجسد و التعلقات الناتجة عن هذا التعارف قد تم قطعها بالكامل. لم يكن هنالك حتى أي زهد من وجهة نظره، بما أنه قد توقف بالكامل عن التعارف مع الجسد الذي كان يمر بأعمال الزهد. لمّح إلى هذا في السنوات اللاحقة عندما قال، "عندما لم أكل، كانوا يقولون عني أنني صائم؛ عندما لم أتكلم، قالوا أنني كنت مّوني." لوضع الأمر بكل بساطة، الزهد الذي كان يبدو ظاهراً لم يكن في سبيل السعي وراء التنور بل كان نتيجةً للتنور. قال بوضوح لم يعد هنالك أي سادهانا (بحث أو مثابرة) بعد اليقظة الروحية في منزل عمه في مادورا.

لهذا السبب أيضاً، لم يكن شري بهاغافان مّوني بالمعنى التقليدي حيث يراقب المرء نذر الصمت في سبيل منع نفسه عن التواصل مع الآخرين. من دون أن يكون له أي حاجات مادية، بكل بساطة لم يكن لديه أي حاجة للتكلم؛ كذلك الأمر، لقد شرح ، أنه لدى رؤيته مّوني، خطر له أن عدم التكلم قد يكون فكرة جيدة لتجنب الانزعاج.

خلال الأشهر الأولى، الاستغراق في النعيم كان غالباً ما يغلق إدراكه للعالم الظاهر. لقد أشار لهذا بأسلوبه الخاص:

"في بعض الأحيان كنت أفتح عيني و أرى أن الوقت صباحاً، و في أوقات أخرى مساءً: لم أكن أعرف متى تصعد الشمس أو تنزل." إلى حدٍ ما استمر هذا الأمر، و لكنه أصبح نادراً بدل أن يكون الأمر المعتاد. في السنوات اللاحقة قال شري بهاغافان خلال أحدى المرات أنه كان غالباً ما يسمع بداية ترديد البارانايام (غناء الفيداس) و من بعدها النهاية، لأنه كان مستغرقاً لدرجة أنه لم يكن يسمع شيء فيما بين البداية و النهاية و كان يتسائل كيف وصلوا إلى النهاية بهذه السرعة و إن كانوا قد نَسَوا تريد شيء ما. و لكن، حتى خلال الأشهر الأولى في تيروفانامالاي، كان هنالك مراقبة كاملة للأحداث و في السنوات اللاحقة كان يتكلم عن أشياء حصلت خلال تلك الفترة، و كان الأشخاص برفقته ذلك الوقت ظانين أنه غير واعٍ لها.

الاستغراق الكامل في الذات الحقيقية مع الاختفاء عن العالم الظاهر يدعى بالنيرفيكالبا سامادهي. هذه هي حالة النعيم التجاوزي و لكنها ليست دائمة. قارنها شري بهاغافان (في إنجيل الماهارشي) بوعاء من الماء تمّ إنزاله داخل البئر. في الوعاء يوجد الماء (العقل) الذي هو متمازج مع ذلك الموجود داخل البئر (الذات الحقيقية)، و لكن الحبل و الوعاء (الأنا المغرورة) ما زالوا موجودين لسحبه إلى الخارج من جديد. الحالة الأسمى، الكاملة و النهائية، هي الساهاجا سامادهي، والتي تم الإشارة إليها بشكل مختصر عند المقطع الثاني. هذا هو الوعي غير المنقطع، والذي يتجاوز البعد العقلي و الجسدي و بالرغم من هذا مع وعي كامل للعالم الظاهر و استعمال كامل للنواحي الفكرية و الجسدية، حالة من التوازن الكامل، تناغم كامل، فيما يتعدى حتى النعيم. قارن هذا بمياه نهر متمازج بالمياه الموجودة داخل محيط. في هذه الحالة الأنا المغرورة مع كل محدودياتها تذوب بشكل كامل و دائم في الذات الحقيقية. هذه هي الحرية المطلقة، الوعي الصافي، الأنا الحقيقية الصافية لم تعد محدودة في الجسد و الفردية.

كان شري بهاغافان بالفعل في هذه الحالة المطلقة بالرغم من أن الوعي الخارجي كان غير مستمراً بشكل دائم.

العودة إلى النشاط الخارجي والذي أتى في وقت لاحق كان ظاهراً فقط و لم يتضمن أي تغير حقيقي. كما شرح في إنجيل الماهارشي:

"في حالة الجناني (المتنور) صعود أو وجود الأنا المغرورة هو فقط ظاهر و هو يتمتع بحالته التجاوزية غير المنقطعة بالرغم من هذا الصعود أو الوجود الظاهر، محافظاً على انتباهه بشكل دائم على المصدر. هذه الأنا المغرورة هي غير مؤذية؛ هي كالهيكل العظمي لحبل محروق – بالرغم من أنها تملك شكل فانه لا فائدة من ربط أي شيء من خلالها."

آروناتشالا

هناك نوع من الحدة فيما يتعلق بهذا المشهد، الحدود تبدو كأنها مبعثرة من قبل يد عملاقة. الشوك الناشف و سياج الصبار، و الحقول الجافة بسبب قوة أشعة الشمس، و التلال الصغيرة المنحوتة على أشكال هزيلة؛ و بالرغم من هذا وجود أشجار عملاقة ملقيةً بظلها على طول الطريق المليء بالغبار، هنا و هناك، بركة أو بئر، و الأخضر المليء بالحياة لحقول الأرز. و صاعداً من وسط كل هذا الجمال القاسي جبل آروناتشالا. بالرغم من أنه يعلو ٢,٦٨٢ قدم فقط ، فهو يطغى على الريف. عند جهة الجنوب من ناحية الأشرام، المشهد بسيط جداً– فقط تلة متناسقة و متلاصقة بخاصرتين جبليتين شبه متساويين بالحجم. لجعل التناسق أكثر كمالاً، ترتدي التلة عند كل صباح تاجاً من الغيم الأبيض أو الضباب عند القمة. و لكن من المذهل كيف يتغير المشهد خلال السير حول الجبل على الطريق الذي يبلغ طوله ثمانية أميال، و الذهاب في الطريق المحددة من الجنوب إلى الغرب، مع الجهة اليمنى للمرء مقابل التلة؛ و لكل منحى صفاته الخاصة و رمزيته – حيث يعود الصدى في أحد الأماكن، و حيث بالكاد يرى المرء القمة في أحد النقاط بين التلتين الملاصقتين، كالذات عند النقطة ما بين فكرتين، و كالقمم الخمسة لشيفا و شاكتي و آخرين.

البرك المقدسة تشكل علامةً للاتجاهات الثمانية للمكان و المانتابام (القاعات الصخرية) تقف عند نقاط مختلفة و ذات دلالة. تبرز من بينها الداكشينامورتي مانتابام عند النقطة الجنوبية، لأن داكشينامورتي هو شيفا و هو يعلم بصمت، و هذا هو آروناتشالا.

"ما هو الرأي؟ عندما نظرت إلى الداخل شاهدت اختفاء الرأي و ما بقي من دونه. ولا فكرة ل"أنا رأيت" قد صعدت، لذا كيف من الممكن لفكرة "أنا لم أرى" أن تصعد؟ من لديه القوة ليُعبر عن هذا بالكلمات حتى عندما لم يكن من الممكن القيام بهذا في الأيام القديمة إلا من خلال الصمت (الظهور كداكشينامورتي)؟ فقط من خلال مسايرتك لحالتك من خلال الصمت أنت تقف ككتلة مشعّة من السماء على الأرض." (المقاطع الشعرية الثمانية حول شري آروناتشالا (آروناتشالا آشتاكام) من تأليف شري بهاغافان.)

كان شري بهاغافان يشجع دائماً على القيام بالبراداكشينا (الدوران) حول الجبل. حتى في حالة الكبار في السن و المريضين كان لا يثنيهم عن الامر، بل كان ينصحهم بالسير ببطء حول الجبل. بالفعل، من المفترض القيام بالبراداكشينا ببطء، "كملكة حامل في شهرها التاسع." وإذا كان المرء في تأمل صامت أم كان يضرب على الطبل و يغني التراتيل الروحية، يجب القيام بالأمر سيراً على الأقدام، و ليس بأي وسيلة أخرى، وبالواقع عاري القدمين. الأوقات الأكثر قدسية هي الشيفاراتري، ليلة شيفا، و كارتيكاي، اليوم الذي تكون فيه مجموعة النجوم المتألقة لكارتيكاي (الثريا) ظاهرة بالتزامن مع القمر المكتمل، وهذا ما يحصل عادةً في شهر تشرين الثاني. خلال تلك المناسبات، من الممكن مقارنة الفيض المستمر للمريدين كإكليل من الزهر حوالي الجبل.

في يوم من الأيام، كان أحد العجزة المقعدين يجهد نفسه ليدور حول سفوح الجبل متكّأً على العكازات. غالباً ما كان يفعل هذا خلال البراداكشينا و لكن هذه المرة كان ينوي مغادرة تيروفانامالاي. كان يشعر بأنه يشكل عبئاً على عائلته؛ فبدأت النقاشات الحادة بين أفراد العائلة فيما يتعلق بالموضوع، فقرر مغادرتهم و جني لقمة عيشه بطريقةٍ ما في القرية. فجأة ظهر براهمين شاب أمامه و سحب منه عكازاته و هو يقول، "أنت لا تستحقها." قبل أن يغمره الغضب و يجد الكلمات اللازمة للتعبير، أدرك أن قدميه كانت مستقيمة و أنه لم يعد بحاجة للعكازات. لم يغادر تيروفانامالاي؛ بقي هناك و كان معروفا بصوره جيده في الأنحاء. قام شري بهاغافان بسرد القصة كاملة أمام البعض من أتباعه و لمّح عن الشبه فيها للقصة الموجودة في الآروناتشالا ستهالا بورانا. كان سوامي شاب على التلة عند ذلك الوقت و لكنه لم يقل أبداً أنه كان البراهمين الشاب الذي كان في القصة.

جبل آروناتشالا هو الأقدم و الأكثر قدسية من بين كافة الأماكن المقدسة الموجودة في الهند. أعلن شري بهاغافان أنه قلب الأرض، المركز الروحي للعالم. تحدث شري شانكارا عنه على أنه جبل ميرو. السكاندا بورانا تعلن: "ذلك هو المكان المقدس. من بين الجميع، آروناتشالا هو أكثر الأماكن قدسية. هو قلب العالم. اعلم أنه مركز القلب السري و المقدس للإله شيفا." العديد من القديسين قد عاشوا هناك، مازجوا نقاوتهم بنقاوة الجبل. يُقال، و هذا الأمر أكّد عليه بهاغافان أيضاً، أنه لهذا اليوم السيدهاز (الحكماء الذين يملكون قوى خارقة) يسكنون داخل كهوف الجبل، في أجسادهم أو من دونها، و البعض قال أنه شاهدهم على هيئة أنوار تتحرك حول الجبل خلال فترة الليل.

هناك قصة بورانية حول أصول الجبل. في احدى المرات، دخل فيشنو و براهما في نقاش حاد حول من منهم هو الأعظم. نزاعهم جلب الفوضى إلى الأرض، لذا اقتربت الديفاز من الإله شيفا و ترجوه لحل النزاع. فأظهر شيفا نفسه عندها على شكل عمود من نور و خرج صوت من النور قائلاً: "من هو القادر على اكتشاف الجهة العليا و الجهة السفلى لهذا العمود يكون هو الأعظم." اتخذ فيشنو شكل خنزير بري و بدأ الحفر و الدوران في الأرض من أجل اكتشاف القاعدة، في حين أن براهما اتخذ شكل الوزة و حلّق في الأعالي من أجل البحث عن القمة. فشل فيشنو في الوصول إلى القاعدة و لكن "عند بدايته في رؤية النور الكامن في داخله و داخل الجميع، صار ضائعاً في التأمل، غير واعٍ للجسد المادي و حتى غير واعٍ لنفسه،

الأنا التي كانت تبحث." رأى براهما وردة صنوبر تطوف في الهواء و واقعةً من العلى، ظن أنه من الممكن أن يربح من خلال الغش، فعاد حاملاً لها و أعلن أنه قطفها من القمة.

أقرّ فيشنو بفشله و استدار نحو الرب بالتقدير و الصلاة: "أنت معرفة الذات الحقيقية. أنت الOM. أنت البداية و الوسط و النهاية لكل شيء. أنت كل شيء و تُنير كل شيء." أعلن عظيماً في حين أن براهما خجل من نفسه واعترف بخطأه.

في هذه الأسطورة، فيشنو يمثل الأنا المغرورة أو الفردية و براهما العقل، في حين أن شيفا يمثل الأتما، الروح.

تستمرّ القصة أنه بسبب اللينغام أو عمود النور الساطع جداً ، أظهر شيفا نفسه بدلاً من ذلك على هيئة الجبل آروناتشالا، معلناً: "كما أن القمر يستقي نوره من الشمس، كذلك الأماكن الأخرى سوف تستقي نورها من آروناتشالا. هذا هو المكان الوحيد حيث أخذت هذا الشكل من أجل إفادة هؤلاء الذين يرغبون في عبادتي و الحصول على التنور. آروناتشالا هو OM بحد ذاتها. سوف أظهر على قمة هذا الجبل كل سنة في كارتيكاي على شكل منارة معطائه للسلام. "لا يدلّ هذا على قدسية آروناتشالا وحسب بل أيضاً على سمو رفعة عقيدة الأدفايتا و درب معرفة الذات الذي يشكّل آروناتشالا مركزه. من الممكن للمرء أن يفهم هذه المقولة من خلال قول بهاغافان، "في النهاية يجب على الجميع القدوم الى آروناتشالا."

كان قد مرّ أكثر من سنتين على قدومه الى تيروفانامالاي قبل بدايته في العيش على الجبل. حتى ذلك الحين، كان يبقى في المزارات أو المعابد. حتى نهاية العام ١٨٩٨، عندما اتخذ المعبد الصغير عند بافالاكونرو مسكناً له ، الذي كان قد تقدس منذ مئات السنين في حضرة القديس العظيم غوتاما ريشي، حيث وجدته والدته. و لم يغادر آروناتشالا من بعدها أبداً.

في السنة التالية، انتقل إلى كهف على الجبل نفسه و بقي في كهف واحد لحين العام ١٩٢٢ حيث انتقل إلى سفح الجبل، حيث أُقيم الأشرام الحالي و هناك أمضى بقية السنين المتبقية على هذه الأرض.

عندما كان على الجبل، عاش تقريباً معظم أوقاته عند التلة الشرقية. الأشرام يقع عند الجنوب، تماماً بالقرب من الداكشينامورتي مانتابام (القاعة الصخرية). "الواجهة الجنوبية" هي أحد الأسامي ال١٠٨ لبهاغافان التي تردد الآن يومياً داخل مزار السامادهي. إنه اسم يرمز للسلطة الروحية بشكل عام، بما أن السادغورو هو القطب الذي يدور حوله العالم، و لكنه بالتحديد اسم لداكشينامورتي. داكشينامورتي هو شيفا معلماً من خلال الصمت. في المقطع الشعري الذي تم الاستشهاد به عند بداية هذا المقطع يُعرّف شري بهاغافان آروناتشالا على أنه داكشينامورتي؛ في المقطع التالي يتحدّث عن رامانا و آروناتشالا على أنهما واحد:

"في خبايا القلب المشكل على شاكلة وردة الإهليلج والذي هو قلب الكل، من فيشنو و نزولاً، يشعّ الوعي المطلق، البارانتمان (الروح الأسمى) الذي هو ذاته آروناتشالا كما هو رامانا. عندما يذوب العقل حباً به و يصل إلى أعمق خبايا القلب حيث يسكن المحبوب، العين اللطيفة للوعي الأسمى تتفتح و تُظهر نفسها على شكل معرفة صافية."

الكهف الذي ذهب إليه شري بهاغافان أولاً والذي بقي فيه الوقت الأطول يقع عند الهضبة الشرقية. و يدعى فيروباكشا تيمّناً بالقديس الذي كان يسكنه هو تم دفنه فيه ، من المرجح في القرن السادس عشر. الكهف شبيه

من حيث الشكل بالكلمة الأحادية المقطع OM، القبر في أعماق الكهف، و يُقال أنه من الممكن سماع صوت الOM بحد ذاته هناك.

المؤتمنين على الفيروباكشا مات (المزار) في البلدة يملكون أيضاً حقوق ملكية الكهف وكانوا يستعملونه من أجل الحصول على بدل زهيد من الحجاج الذين يزورونه سنوياً خلال احتفال كارتيكاي. عند وصول شري بهاغافان ، كانت هذه الممارسة قد عُلقت بسبب نشوب الخلاف بين طرفين حول من هم أحق بملكية الكهف و كانت هنالك دعوى قضائية معلقة فيما بينهم لدى المحكمة. عندما تم الحكم في القضية، استمر الطرف الرابح بأخذ البدل المادي من الحجاج، و لكن في ذلك الوقت كان عدد الزوار قد ازداد كثيراً و كان يزداد خلال فترات مختلفة من السنة و ليس فقط خلال الكارتيكاي؛ و بما أن حضور شري بهاغافان هو ما كان يجذبهم ، كان البدل في الواقع قد أصبح كضريبة دخول. من أجل عدم تشجيع هذا الأمر، انتقل خارج الكهف و جلس في ظل شجرة بموازاة الكهف. فقام أصحاب الكهف بنقل مكتب جمع المال من الزوار إلى خارج مدخل الكهف ليشمل الأراضي الخارجية و الدخول الى موقع الشجرة أيضاً. لذا قام شري بهاغافان بالمغادرة و ذهب الى كهف سادغوروسواما عند علو أدنى، و بعد بقائه هناك لفترة صغيرة، غادر من بعدها إلى كهف آخر أيضاً. توقّف فيض الزوار إلى كهف فيروباكشا، و بعد أن وجد أصحاب الملك أنهم أزعجوا السوامي من دون أن يستفيدوا، طلبوا منه العودة و القرار بعدم فرض ضريبة دخول طالما يسكن هو في الكهف. بناءً على هذا الشرط قام شري بهاغافان بالعودة.

خلال أشهر الصيف، يصبح كهف فيروباكشا حاراً بشكل لا يُطاق.

يوجد كهف بالقرب من بركة مياه مولايبال تيرثا بالقرب من كهف فيروباكشا، حيث الجو أكثر برودةً و تتوفّر فيه مؤونة من المياه العذبة للشرب. و شجرة مانغا تقف فوق الكهف، مانحةً الظل ، و من هنا حصل على اسم كهف شجرة المانغا. اثنين من الإخوة، مريدين لشري بهاغافان، قاما بنسف الصخرة المعلقة فوق الكهف ووضعا حائطاً أمامياً مع باب و كان شري بهاغافان يسكن في الكهف خلال أشهر الحر.

في العام ١٩٠٠، بعد فترةٍ قليلة من انتقال شري بهاغافان للعيش في الجبل، أتى أحد المريدين إلى تيروفانامالاي و يدعى نالا بيلاي من كومباكونام و أخذ صورة للسوامي، و هي أول صورة نملكها له. هي وجه شاب جميل، تقريباً ولد، و لكن بقوة و عمق البهاغافان.

خلال السنوات الأولى على الجبل كان شري بهاغافان لا يزال محافظاً على صمته. كان شعاعه قد جذب إليه مجموعة من المريدين حوله و أتى أشرام إلى الوجود. لم يكن الانجذاب إليه محصور فقط بالباحثين عن الحقيقة، الناس العاديين و الأطفال و حتى الحيوانات كانوا منجذبين إليه أيضاً. أطفال البلدة كانوا يتسلقون التلة نحو كهف فيروباكشا، للجلوس بالقرب منه، واللعب حوله، و العودة بإحساس من السعادة. السناجب و القردة كانت تأتي إليه و تتناول الطعام من يديه.

كان يكتب بين الحين و الآخر بعض التفسيرات و الإرشادات لمريديه، و لكن عدم كلامه لم يكن عقبة أمام تدريبهم، الآن و لاحقاً عندما راح يتحدث من جديد، تعليمه الحقيقي كان من خلال الصمت، في تقليد الداكشينامورتي، التقليد المعتمد في الصين أيضاً من خلال لاو تسو و الحكماء التاويين الأوائل. "ذلك التاو الذي من الممكن تسميته ليس بالتاو" – و المعرفة التي من الممكن وضعها في معادلة ليست بالمعرفة الحقيقية. هذا التعليم الصامت كان تأثيراً روحياً مباشراً والذي كان العقل يستوعبه و يفسّره لاحقاً بناءً على قدرته.

الزائر الأوروبي الأول وصف الأمر على الشكل التالي:

"بعدما وصلنا إلى الكهف، جلسنا أمامه، عند أقدامه و لم نقل شيئاً. جلسنا هكذا لوقت طويل و شعرتُ أنني أرتفع خارج نفسي. لنصف ساعة نظرتُ إلى عيون الماهارشي، التي لم يتغير أبداً تعبيرها عن التأمل العميق. بدأت أدرك إلى حدٍ ما أن الجسد هو المعبد للروح القدس؛ كنت أشعر فقط أن جسده ليس الرجل: كان أداة الله، مجرّد جثة غير متحركة كان الله يشعّ منها بشكل رهيب. مشاعري الخاصة كانت لا توصف."(من نص رسالة مكتوبة إلى صديق في لندن من قبل ف. ه. هامفري و تم نشهرها من قبلها في مجلة علم النفس الدولية، لندن.)

شخص آخر، يدعى بول برانتون، وصل إلى المكان كمشكّك أكثر من كونه مؤمن، كتب عن تجربته الخاصة حول الانطباع الأول الذي تركه صمت شري بهاغافان لديه.

"إنها نظريةٌ قديمة لدي، أن المرء من الممكن له أن يقرأ جريدة حياة الإنسان من خلال عيونه. و لكن أمام عيون الماهارشي تردّدت، كنت محتاراً و مرتبك..."

"ليس بإمكاني إدارة نظري بعيداً عنه. الذهول الذي أصبت به أولاً، و الحيرة تجاه تجاهلي بشكل كامل، زالا تدريجياً مع بداية هذا الذهول بالسيطرة علي بشكل أحكم. و لكن حتى الساعة الثانية من اللقاء غير المألوف، أصبحت مدركاً لتغيير صامت لا يمكن مقاومته يحصل داخل عقلي. واحداً بعد الآخر، الأسئلة التي حضّرتها في القطار بدقة كبيرة بدأت في السقوط. لأنه لم يعد الآن يبدو من المهم طرحها أو لا، و لا يهم إن قمت بحل المشاكل التي كانت تقلقني. الذي كنت أعرفه فقط هو أنه نهر ثابت من الهدوء كان يبدو و كأنه يسري بالقرب مني، و أن سلاماً عظيماً يدخل أعمق كياني، و أن عقلي المعذب بسبب الفكر قد بدأ في الوصول إلى بعض الراحة."

بركة شري بهاغافان لم تجلب السلام فقط إلى العقل المثقف و المجهد بل أيضاً إلى القلب المصاب بالحزن. ايشامال، كما كانت تنادى في الأشرام (اسمها السابق كان لاكشميميامال)، كانت زوجة سعيدة ووالدة في قرية مانداكولاتور، و لكن قبل عمر الخمسة و عشرين فقدت زوجها أولاً، و بعدها ابنها الوحيد، و ابنتها الوحيدة أيضاً. مصدومة ، معذبة بسبب الذكريات، لم تكن قادرة على أن تجد أي نوع من الراحة. لم تعد قادرة على تحمل المكان الذي كانت فيه سعيدة سابقاً، و الناس الذين كانت سعيدة فيما بينهم أيضاً. ظناً منها أن الأمر قد يساعدها على النسيان، قامت بالسفر إلى غوكارنام في ولاية بومباي لخدمة الرجال المقدسين هناك، و لكنها عادت مصابة بالحزن كما ذهبت. بعض الأصدقاء أخبروها عن سوامي شاب في تيروفانامالاي يجلب السلام إلى من يذهب إليه. انطلقت على الفور. كان لديها أقارب في البلدة و لكنها لم تذهب إليهم لأن مجرد رؤيتهم ستجلب لها الحزن العميق. تسلقت التلة مع صديقةٍ لها لزيارة السوامي. وقفت صامتة أمامه، من دون أن تخبره بحزنها. لم يكن هنالك من حاجة. التعاطف الذي كان يشع من عيونه كان شافياً. وقفت هناك لساعة كاملة، و لم تتحدث أي كلمة، و قامت بعدها بالاستدارة و ذهبت نزولاً على التلة نحو البلدة، خطواتها خفيفة، حملها و ألمها مرفوعين عنها.

بدأت في زيارة السوامي بشكل يومي من بعدها. كان الشمس التي بددت غيومها. كانت قادرة حتى على تذكر أحبابها الآن دون مرارة. أمضت بقية حياتها في تيروفانامالاي. كانت قادرة على اتخاذ منزل صغير هناك – ترك لها والدها بعض المال و قام إخوتها بمساعدتها – و العديد من المريدين الزوار استمتعوا بضيافتها. كان تحضّر الطعام لشري بهاغافان بشكل يومي – مما كان يعني للأشرام كله، لأنه كان لا يقبل شيئاً ما لم يتم مشاركته مع الجميع بشكل متساوي. لحين ما أبعدها التقدم بالسن و الصحة المتردية، كانت تحمل الطعام

بنفسها و هي تسير على التلة و لم تكن تتناول أي لقمة قبل أن تقدم الطعام لهم. مع تنامي أعداد المريدين صارت وجبتها إضافة صغيرة للوجبة العامة، و لكن إن كانت تتأخر بسبب ظرف ما كان شري بهاغافان ينتظرها لحين ما تصل كي لا يخيب أملها.

مع كل الحزن الذي مرت به و السلام الذي وجدته، كانت لا تزال أمًّا بما فيه الكفاية لتكوين تعلق جديد، و قامت بتبني ابنة، و لكنها أخذت إذن شري بهاغافان. عندما أتى الوقت، قامت بتحضير زواجها و فرحت لولادة حفيد لها و قامت بتسميته رامانا.

و في أحد الأيام، من دون أن تكون محضّرة بأي شكل من الأشكال، تلقّت تيليغراماً أن ابنتها قد توفيت. عاد الحزن القديم من جديد. اندفعت إلى التلة نحو شري بهاغافان و بيدها التيليغرام. قرأت و الدموع تسري في عيونه، مشبعة و لكن حزينة، غادرت إلى الدفن. عادت مع الطفل رامانا و وضعته بين أيدي شري بهاغافان. من جديد كانت الدموع في عيونه عندما أمسك الطفل و تعاطفه جلب السلام إليها.

كانت ايشامال تمارس التركيز اليوغي الذي لقنها إياه غورو من شمال الهند. كانت تركّز نظرها على قمة أنفها و تجلس في نعيم التأمل على النور الذي كان يظهر أمامها، في بعض الأحيان لساعات دون أي حركة، غير واعية لجسدها. تم إخبار شري بهاغافان حول هذا الموضوع و لكنه لم يجب. في النهاية قامت هي نفسها بإخباره و لم يشجعها على الممارسة. "تلك الأنوار التي ترينها خارج نفسك ليست هي هدفك الحقيقي. يجب أن تهدفي إلى معرفة الذات الحقيقية وليس أي أمر آخر أقل من هذا." فتوقفت عندها على اعتماد وسائلها القديمة و ووضعت كل اتكالها على شري بهاغافان لوحده.

في احدى المرات كان رجل شاستري من شمال الهند يتحدث مع شري بهاغافان في كهف فيروباكشا عندما وصلت ايشامال و هي تحمل الطعام، و بدا عليها أنها منزعجة و كانت ترتجف. عندما تم سؤالها ما الأمر، قالت أنها حينما كانت تمر بالقرب من كهف سادغوروسوامي ظنت أنها رأت شري بهاغافان و رجل غريب يقفان سوية على جانب الدرب. فأكملت طريقها و لكنها سمعت صوتاً، "لماذا الذهاب أعلى أكثر طالما أنا هنا؟" فاستدارت للنظر من جديد و لكن لم يكن أي أحد هناك. فأسرعت إلى الأشرام و هي بحال من الخوف.

"كيف هذا أيها السوامي!" قال الشاستري. "و أنت تتحدث معي هنا تظهر نفسك أمام هذه المرأة في مكان آخر و لكنك لا تظهر أي علامة من هذه البركة هنا." فقام شري بهاغافان بالشرح أن رؤى ايشامال هي بسبب تركيزها المستمر عليه. لم تكن هي الوحيدة على الإطلاق الذي شهد رؤى من شري بهاغافان و لكنها هي الوحيدة التي سببت لها أحدى هذه الرؤى الخوف. سنوات لاحقة، قام زائر غريب، سيد كبير بالسن، بزيارة الأشرام عند سفح الجبل. بعد الغداء انطلق لاستكشاف الجبل، و لكنه ضل طريقه. تعباً بسبب الحر و الجهد، و من دون معرفة أي طريق عليه أن يسلكها، وفي حالٍ من اليأس، أتى فجأة شري بهاغافان و دلّه على طريق العودة. كان الناس في الأشرام أصلاً قلقين بشأن تأخره و سألوه ما الذي حصل معه عندما عاد إلى الأشرام. قال لهم، "لقد ذهبت بكل بساطة للسير على الجبل و أضعت طريقي." الحر و التعب كانا فوق قدرتي على التحمل و كنت في حالٍ سيء. لم أكن أدري ماذا أفعل لو لم يأت بهاغافان إلي ويدلني على طريق العودة إلى الأشرام." و كانوا مذهولين من الخبر لأن شري بهاغافان لم يغادر القاعة أبداً.

رودرا راج باندي، مدير مدرسة التري شاندرا في كاتماندو، النيبال، ذهب مع صديق للعبادة في المعبد العظيم داخل البلدة قبل مغادرتهم لتيروفاناماالاي.

"كانت أبواب المعبد الداخلية كلها مشرعة و أخذنا مرشدنا إلى الداخل، و كان المكان معتماً. مصباح زيت صغير يشتعل بضع عشرات الأمتار أمامنا. الصوت الشاب لرفيقي صاح "آروناتشالا." كل انتباهي كان موجها نحو الهدف الوحيد لرؤية الصورة أو اللينغام (الذي يرمز إلى الإله المطلق، الأبدي و الغير ظاهر) داخل السانكتوم سانكتوروم. و لكن، غريب القول، أنني بدل اللينغام رأيت صورة الماهارشي بهاغافان شري رامانا، وهو يبتسم، و عيونه المشعة تنظران إلي. والأمر الأغرب، لم أرَ ماهارشي واحداً، أو اثنين، أو ثلاثة – بالمئات رأيت بسمة الماهارشي، و عيونه المشعة، رأيتهم حيثما كنت أنظر داخل السانكتوم سانكتوروم. عيوني لم تلتقط الشكل الكامل للماهارشي و لكن فقط وجهه المبتسم، من الذقن و صعوداً. كنت مأخوذاً فيما يتعدى نفسي بسعادةٍ لا توصف – النعيم و صمت العقل الذين اختبرتهم في وقتها كيف من الممكن للكلمات أن تصفهم؟ بدأت دموع الفرح تسري على خدي. ذهبت إلى المعبد لرؤية الرب آروناتشالا و وجدت الرب الحي مظهراً لنفسه ببركته. ليس بإمكاني أبداً أن أنسى الاختبار العميق الذي حصل معي داخل المعبد القديم." (تذكار اليوبيل الذهبي، النسخة الثانية، الصفحة ١٦٦.)

بالرغم من هذا، شري بهاغافان لم يشجع الاهتمام بالرؤى أو الرغبة بالحصول عليها، و لم تحصل أيضاً لكل المريدين و الأتباع.

أحد أكثر الأتباع تقرّباً و تعبداً لشري بهاغافان في ذلك الوقت كان سيشادري سوامي، السيشادري سوامي نفسه الذي كان يبعد أولاد المدرسة سابقاً عندما أتى شري بهاغافان في البداية إلى تيروفانامالاي. كان يعيش الآن على الجبل، عند منطقة أدنى من كهف فيروباكشا، و كان يقوم بالزيارات المتكررة إلى هناك. كان قد حصل على حالة روحية سامية و يملك البركة و الجمال، الأمر الذي هو ظاهر في الصور التي تم التقاطها له. كان هنالك شيء شبيه بالطيور و متحفظ بشأنه. غالباً ما كان لا يمكن الوصول إليه؛ نادراً ما كان يتحدث، و عندما يتحدث كان غالباً ما يتحدث بالألغاز. غادر منزله عند عمر السابعة عشرة و حصل على مراسيم المانترات (المعادلات المقدسة) و الجابا (الدعاءات) التي تنمي القوة الروحية، و كان يمضي وقته في بعض الأحيان جالساً داخل المقبرة و هو ينادي الشاكتي (الطاقة الخلاقة).

لم يكن فقط يشجع المريدين على الذهاب إلى راماناسوامي، كما كان يناديه، و لكنه كان في بعض المناسبات يعرف نفسه معه. كان قادراً على قراءة الأفكار و إن كان شري بهاغافان قد قال شيئاً لأحد المريدين، كان يقول له: "قلت لك هذا و هذا، لماذا أنت تسألني من جديد؟" أو "لماذا لا تقوم بالأمر؟" كان نادراً جداً أن يعلم شخص ما استعمال مانترا معينة و إن كان الطالب هو بالفعل من مريدين راماناسوامي كان دائماً يرفض له الأمر، ناصحاً له بالبقاء هناك حيث التعليم الأسمى، الإرشاد الصامت.

في أحدى المناسبات النادرة، طلب من أحد المريدين القيام بسادهانا فاعلة جداً، البحث عن التنور. كان شخصاً يدعى سوبرامانيا مودالي، و كان مع زوجته و والدته، ينفقان معظم دخلهم من أجل تحضير الطعام للنساك الذين زهدوا في العالم. مثل ايشامال، كانوا يأخذون الطعام يومياً إلى بهاغافان و الأشرام، و لسيشادري سوامي أيضاً عندما كانوا قادرين على إيجاده، و لكن في الوقت نفسه كان سوبرامانيا مالك أرض و متورط في دعاوى قانونية و محاولاً زيادة أملاكه. سيشادري سوامي، حزن لأن شخص متعبد لهذه الدرجة ما يزال متعلقاً لهذا الحد، نصحه بترك هكذا هموم و تكريس نفسه بالكامل لخدمة الله و المجاهدة من أجل الحصول على النمو الروحي. "أترى،" قال له، "لدى أخي الصغير مدخوله ١٠٠٠٠ روبيات و أنا لدي مدخول ١٠٠٠ روبية؛ لماذا لا تحاول الحصول على مدخول يساوي المئة روبية على الأقل؟" الأخ الصغير كان راماناسوامي و "المدخول" كان التحقق الروحي. عندما تردد سوبرامانيا، صار سيشادري سوامي مصراً و حذّره أنه يرتكب الخطأ المميت بقتل براهمين. بسبب إيمانه أكثر بشري بهاغافان، قام سوبرامانيا بسؤاله إن

كان هذا الامر صحيحاً، و فسر شري بهاغافان الامر، "أجل، من الممكن القول أنك ترتكب جريمة قتل براهمين من خلال عدم إدراكك أنك براهمان."

جلس سيشادري سوامي في أحدى المرات داخل كهف شجرة المانغا و ركّز نظره بالكامل على شري بهاغافان من أجل قراءة أفكاره؛ و لكن عقل شري بهاغافان، المتحد بسكينة الروح، لم يظهر أي فقاعة من الفكر، لذا احتار سيشادري و قال، "ليس من الواضح ما يفكر به هذا الشخص."

بقي شري بهاغافان صامتاً. بعد وقفة أضاف سيشادري سوامي، "إن قام المرء بعبادة الرب آروناتشالا فسوف ينال الخلاص."

و عندها سأل بهاغافان، "من هو الذي يعبد و من هو المعبود؟"

انفجر سيشادري سوامي ضحكاً، "هذا هو تماماً الأمر الذي ليس واضحاً."

عندها قام شري بهاغافان بشرح عقيدة الذات الواحدة الظاهرة بكل الأشكال في الكون و لكنها غير ظاهرة و غير متأثرة على الإطلاق من خلال ما هو ظاهر، الحقيقة الوحيدة و الذات لمن يقوم بالعبادة. استمع سيشادري سوامي بصبر و عند النهاية صعد و قال: "ليس بإمكاني القول. كل هذا غامض بالنسبة لي. على أية حال أنا أعبد."

بعد قوله هذا استدار نحو جبهة الجبل و بدأ بالانحناء أمامها مرات عديدة و ثم رحل.

و بالرغم من هذا كان سيشادري سوامي يتحدث في بعض المرات من منطلق الوحدة، من خلال رؤية كل الأمور على أنها مظاهر للروح. و لكن أيٍ كانت وجهة النظر التي يتحدث بها كان الأمر عرضة لحسٍ من المزاح الجاف و المقلق. في أحد الأيام وجده شخص يدعى نارايانا سوامي محدقاً بثور فسأله، "ما الذي ينظر إليه سوامي؟"

"أنا أنظر إلى هذا."

"هل السوامي الثور هو من ينظر؟" أصر على قوله.

و بعدها، مشيراً إلى الثور، سأله سيشادري سوامي، "قل لي ما هذا الشيء."

"إنه ثور،" أجابه ببراءة، حيث قام سيشادري سوامي عندها بالصراخ: "هل هو ثور؟ ثور؟ أنت الثور! ناديه ببراهمان!" و بعد قوله لهذا استدار و ذهب بعيداً.

توفي سيشادري سوامي عام ١٩٢٩. و كما هي العادة المقبولة عند دفن قديس، لم يتم حرق جسده بل دفنه. وقف شري بهاغافان بالقرب و هو يراقب الأمر بصمت. ما زال مكرّماً في تيروفانامالاي و عند ذكرى وفاته يتم أخذ صورته و التجول بها في البلدة.

خلال السنوات الأولى التي أمضاها شري بهاغافان في الجبل، كانت مسيرة العودة إلى النشاطات الخارجية تسير بشكل تدريجي. بدأ في السير في الجبل و اكتشافه، بقراءة الكتب و كتابة التفسيرات. شخص يدعى

بادمانابها سوامي، معروف أيضاً باسم جاتاي سوامي بسبب شعره المتلبد، كان يملك أشرام على الجبل و احتفظ هناك بعدد من الكتب السنسكريتية عن المعرفة الروحية و العلوم التطبيقية على أساس روحي، كالأيورفيدا (الطب الهندي التقليدي).

كان شري بهاغافان يزوره و يلقي نظرة على تلك الكتب، و يصبح سيداً على محتوياتهم على الفور. و يحفرهم في ذاكرته، اذ لم يكن قادراً فقط على إعادة تلاوة النص، بل كان قادراً أيضاً على إعطاء المقطع و رقم الآية. كان بادمانابها سوامي دائماً يلجأ إليه كمصدر موثوق عندما كان يتم طرح نقطة عقائدية.

يُقال في مخطوطات البورانا أنه على المنحدر الشمالي لأروناتشالا، بالقرب من القمة، هنالك سيدها بوروشا (حكيم لديه قوى خارقة للطبيعة) و معروف باسم آروناغيري يوغي يجلس تحت شجرة بانيان، عند نقطة من غير الممكن الوصول إليها بسهولة، و يعلّم بالصمت. يوجد مزار أو مانتابام مكرساً له داخل المعبد العظيم في تيروفانامالاي. القصة تنصّ على أن بركة آروناتشالا، موجهة للأشخاص من خلال المّونا ديكشا (المسارة الصامتة) على درب استكشاف الذات نحو التحرر، و بالرغم من أنها فاعلة بشكل دائم، أصبحت خارج منال الأشخاص في هذا العصر المظلم روحياً. بالرغم من هذا، المعنى الرمزي للقصة لا يجعلها أقل حقيقةً حرفياً. حصل في أحد الأيام، حوالي ١٩٠٦، أن شري بهاغافان كان يتجول على المنحدر الشمالي للجبل، في مجرى ماء جاف، حيث رأى شجرة بانيان عملاقة، عملاقة بما فيه الكفاية لتقديم وجبة عليها.

ظناً منه أن الماء قد حملها و رغبةً منه في رؤية الشجرة التي كانت تحمل أوراقاً كبيرة هكذا، انطلق في مناسبة أخرى لتسلّق مجرى المياه على طول التلة. بعد تسلق أجزاء منحدرة و مضرسة من التلة، وصل إلى مكان حيث كان بإمكانه رؤية صخرة كبيرة و مسطحة و عليها شجرة البانيان التي كان يبحث عنها، عملاقة و لونها أخضر داكن. كان مندهشاً لرؤية شجرة مثلها تنمو على ما يبدو أنها صخرة جرداء. استمر بالتسلق و لكن، عندما كان يقترب أكثر، قام بإزعاج قفير للنحل بسبب قدمه. فقام النحل بالطيران و بالهجوم على قدمه انتقاماً. وقف شري بهاجافان جامداً لحين ما هدأ النحل، متقبلاً لعقابه العادل بسبب تدميره لمنزلهم؛ و لكنه اتخذ هذا الامر على أنه إشارة لعدم الاستمرار و لذا قام بالعودة إلى الكهف. أصبح المريدين قلقين بسبب تأخره كل هذا الوقت. عندما رأوه كانوا مروعين بسبب حالة قدمه، المنتفخة و الملتهبة. منذ حينها قام بالإشارة إلى الموقع شبه المتعذر بلوغه و لكنه لم يحاول الوصول إليه من جديد و نصح جميع مريديه الذين كانوا يتمنون رؤية المكان بعدم الذهاب إليه.

مجموعة من المريدين، و فيما بينهم رجل إنكليزي، اسمه طومسون، انطلقوا في أحدى المرات مصممين على اكتشاف المكان. بعد التسلق بشكل عشوائي لبعض الوقت وجدوا أنفسهم في موضع حرج جداً لحد أنهم كانوا غير قادرين لا على التقدم صعوداً أو نزولاً. صلوا لبهاغافان من أجل المساعدة ووصلوا بطريقةٍ ما إلى الأشرام بسلام. لم يكرروا الامر أبداً. قام آخرين أيضاً بالمحاولة و لكن من دون أي نجاح.

بالرغم من أن بهاغافان كان لا يوافق على كل الأفعال ، و لكن نادراً ما كان يمنعه بشكل كامل. متفهماً أن ما هو مناسب أو غير مناسب يجب أن يأتي من الداخل. في الحالة الحاضرة، كان من الواضح أنه من غير المناسب لمريديه محاولة ما كان معلمهم يمتنع عنه.

أحياناً أخرى، كان بهاغافان يجول بالتلة بشكل متكرر و كذلك الأمر يقوم بتسلق القمة و القيام بالبراداكشينا (الدوران حول الجبل)، لذا كان يعرف كل جزء من الجبل. وفي يوم من الأيام، كان يتجول وحيداً، مر بالقرب من امرأة كبيرة في السن تجمع الحطب على طرف التلة. بدت و كأنها امرأة عادية من طبقة المنبوذين، و

لكنها توجهت للسوامي الشاب بجرأة، كمساوٍ لها. مبتدئةً بالسباب القاسي الذي هو مألوف من قبل هذا النوع من الأشخاص، قالت له: "فلتوضع في محرقة الجثث! لماذا تتجول في الشمس هكذا؟ لماذا لا تجلس صامتاً؟"

"لم تكن امرأة عادية على الاطلاق،" شري بهاغافان قال عندما أخبر مريديه؛ "من يدري من كانت؟" بالتأكيد، لم تكن أي امرأة عادية من الطبقة المنبوذة أن تتجرأ على الحديث إلى سوامي بهذا الشكل. اعتبرها المريدين على أنها ظهور ل آروناغيري سيدها، روح آروناتشالا. منذ ذلك تخلى شري بهاغافان عن فكرة التجول على التلة.

عندما ذهب شري بهاغافان في البداية إلى تيرو، كان يتنقل في بعض الأحيان و هو بحالة استغراق كامل، كما تم وصفه سابقاً. لم ينتهي هذا الأمر بشكل كامل لحين العام ١٩١٢ حيث خضع لاختبار نهائي و كامل للموت. انطلق من كهف فيروباكشا في أحد الأيام عند فترة الصباح إلى باشايامان كويل، و برفقته بالانيسوامي، فاسوديفا شاستري و آخرين. حصل على حمام من الزيت و كان يقترب من حجرة السلحفاة على طريق العودة عندما انتابه ضعف جسدي فجائي. وصف الأمر بشكل كامل من بعدها.

"المشهد الطبيعي أمامي اختفى خلال انسدال رداء أبيض مشع أمام نظري و إغلاقه للصورة. تمكنت من رؤية المسيرة التدريجية بشكل ضبابي. هناك مرحلة حيث كنت لا أزال قادر على رؤية جزء من المشهد الطبيعي بوضوح في حين أن الباقي كان مغطى بالرداء الذي كان يمتدّ. كان الأمر كسحب شريحة من مجسام الاستيريوسكوب. عند اختبار هذا، توقفت عن السير تجنباً للوقوع. عندما صفى المشهد استمريت في السير. عندما راودني الضعف و الظلمة مرةٍ ثانية استلقيت على صخرة لحين زوال الامر. المرة الثالثة التي حصل فيها الامر شعرت أن من الآمن أن أجلس، فجلست بالقرب من صخرة. عندها قام ستار البياض الساطع بإغلاق نظري بشكل كامل، كان رأسي يسبح و دورتي الدموية و تنفسي قد توقفا. تحولت البشرة إلى لون أزرق حي. كانت درجة لون الموت العادية و ازدادت قتامة أكثر فأكثر. فاسوديفا شاستري، في الواقع، اعتبرني ميتاً و أمسكني بين يديه و بدأ في البكاء و النحيب بصوت عالي حزناً على موتي.

بالكاد كنت أشعر بمسكته و رجفته و سماع صوت نحيبه و فهمت معناه. رأيت أيضاً تغير لون جلدتي و شعرت بتوقف دورتي الدموية و بعملية التنفس و البرودة الزائدة عند أطراف جسدي. استمر فيض الوعي المعتاد عندي في تلك الحالة أيضاً. لم أكن خائفاً بأي شكل من الأشكال و لم أشعر بالحزن تجاه حالة الجسد. كنت قد جلست بالقرب من الصخرة في وضعيتي المعتادة و أغلقتُ عيوني و لم أكن مستلقي. الجسد، متروكاً من دون دورة دموية أو عملية التنفس، استمر بالحفاظ على هذه الوضعية. استمرت هذه الحالة لعشرة أو خمس عشرة دقيقة. عندها مرت صدمة في الجسد و تم إحياء عملية دوران الدم و التنفس بقوة، و قام الجسد بالتنفس من كل المسام. ظهر لون الحياة من جديد على البشرة. فتحت عندها عيني و نهضت من مكاني و قلت، "فلنذهب". وصلنا إلى كهف فيروباكشا من دون المزيد من المشاكل. كانت هذه النوبة الوحيدة التي حصلت معي حيث توقف كل من الدوران و التنفس."

لاحقاً، من أجل تصحيح الأحاديث الخاطئة التي بدأت في الانتشار، أضاف:

" لم أجل النوبة عن قصد، و لم أتمنى أيضاً رؤية كيف يكون هذا الجسد بعد الموت، و لم أقل أيضاً أنني لن أغادر الجسد من دون تحذير الآخرين. كانت أحدى تلك النوبات التي كانت تحدث بين الحين و الآخر، باستثناء أنها هذه المرة اتخذت شكلا جدياً اكثر."

ما يذهلني ربما ، فيما يتعلق بهذه التجربة، هو أنها تجربة متكررة، متضخمة من خلال عرض جسدي، لذلك اليقين عن البقاء حتى خلال الموت، الأمر الذي كان يشكل اليقظة الروحية لشري بهاغافان. هو يذكرنا بالآية من ثايومانافار، المخطوطة التاميلية الكلاسيكية التي كان غالباً ما يستشهد منها شري بهاغافان:

"عندما يغلبك التوسع الأعظم الذي هو من دون بداية، وسط أو نهاية، هنالك إدراك نعيم اللا- ثنائية."

قد يكون هذا الأمر هو ما حدّد العودة الكاملة لشري بهاغافان إلى الحياة العادية الكاملة من الناحية الخارجية. من الصعب إعطاء انطباع حول كم كان طبيعياً و إنسانياً عندما كان في هذا النمط من الحياة، و بالرغم من هذا فإن الأمر ضروري، لأن وصف زهده السابق قد يترك المرء مع الفكرة أنه شخص قاتم و قاسٍ. على العكس، كانت أساليبه طبيعية و حرة من كل أنواع الإكراه و كان القادم الجديد يشعر بالراحة معه. كان حديثه مليئاً بالمزاح و ضحكته معدية جداً، شبيهة بتلك بضحكات الأولاد، لدرجة أنه حتى هؤلاء الذين لم يكونوا قادرين على فهم اللغة كانوا ينضمون إليه. كل شيء حوله و حول الأشرام كان نظيفاً و مرتباً. عندما تم إنشاء أشرام رسمي، اتبعت الحياة فيه جدولاً لتحديد الأوقات تماماً كما في بيئة العمل في المكتب. كانت ساعات الحائط كلها محددة بشكل دقيق، و الرزنامات كذلك. و لم يتم إهدار أي شيء. شاهدتُ توبيخ أحد الذين يعتنون بشري بهاغافان لأنه أحضر ورقة جديدة من أجل تغطية دفتر صغير في حين أن الورقة مقطوعة بعض الشيء وكان من الممكن استعمالها. و مع الطعام كذلك الامر: ولا حبة رز تبقى على طبق الورقة لديه عندما كان ينتهي من تناول الطعام. قشور النباتات كانت تترك من أجل القطيع، و لا يتم رميها بعيداً.

كان يملك نوعاً من العفوية و التواضع. أحدى الأشياء القليلة التي كانت تظهر الغضب عليه هي في حال كان أحد الذين يقدمون الطعام يعطون المزيد من أي نوع من المأكولات له أكثر من الآخرين. لم يكن يحب نهوض الآخرين عندما كان يدخل القاعة و لكنه كان يقوم بإشارة في يده لكي يبقوا جالسين. كان يسير ببطء نزولاً على التلة نحو الأشرام في فترات بعد الظهيرة، طويل، بشرته ذهبية اللون، و شعره أبيض و جسده نحيف، أحدب بعض الشيء و متكئ على عكازة بسبب اصابته بالروماتيزم، و معه مرافق أسود البشرة. كان أحد المريدين يقترب منه من الخلف فتنحى إلى جانب الطريق و قال له، "أنت شاب أكثر مني و بإمكانك السير بشكل أسرع؛ اذهب أنت أولاً." ردة فعل مهذبة، و لكنها تعني الكثير من المعلم للتلميذ.

بإمكان المرء أن يستمر في السرد من دون توقف. بعض تلك النقاط سوف تظهر أمامنا بشكل مناسب أكثر لاحقاً، و لكن الآن بما أنه تم ذكر العودة الكاملة إلى نمط الحياة الطبيعية، يجب الإشارة إلى كون الأمر طبيعياً، وإلى أي حد كان نمط الحياة إنسانياً و كريماً.

عدم المقاومة

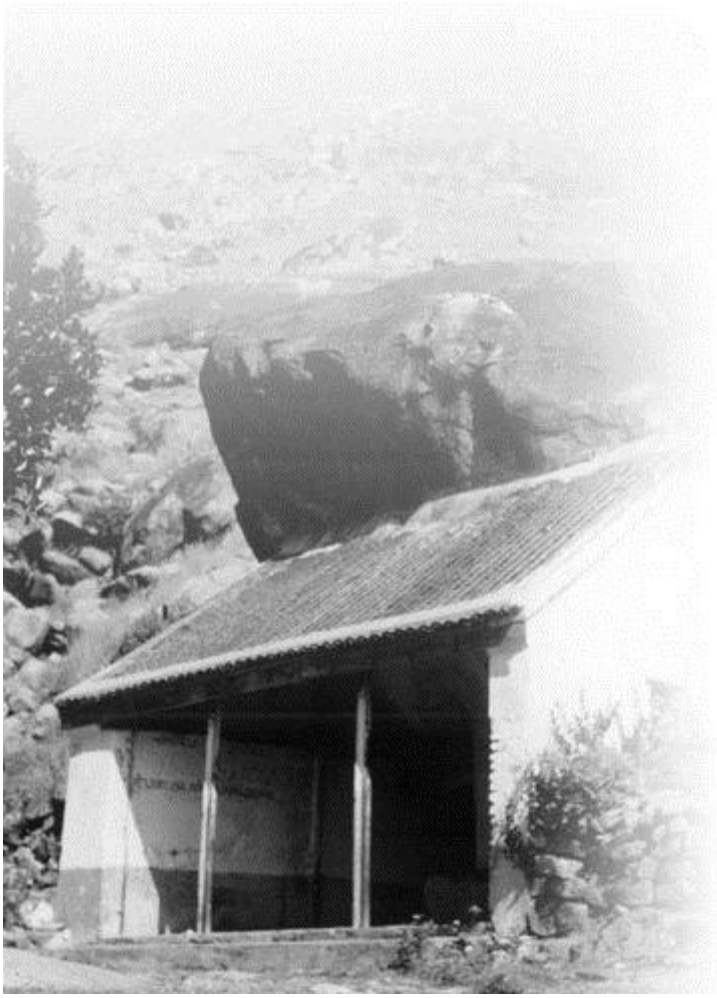

عدم المقاومة قد يبدو كأمر غير عملي داخل مؤسسة دينية، بما أن كل بلد يجب أن يكون لديه محاكمه القانونية و رجال الأمن الخاصين به و على الأقل في حالة عصرية، جيشه الخاص أيضاً. و لكن، داخل الدين هنالك مستويان من الطاعة: أقل نسبة من الطاعة تقع على كل من يتبعه و على البلاد حيث هذا الدين قد انتشر بشكل واسع، و الطاعة الكاملة تقع على عاتق هؤلاء الذين كرسوا حياتهم بالكامل من أجل إتباع الدرب الذي تم رسمه في هذا الدين، معتبرين المكاسب المادية لا شيء مقارنة بالبحث عن البركة. فقط في هذا المعنى الثاني و الأعلى قام شري بهاغافان بتأسيس درب، و لهذا السبب، لنفسه و لأتباعه كان يقول، "لا تقاوموا أي شر". لم يكن الذي يتحدث عنه قانوناً من أجل مجتمع بأكمله و لكن طريقة حياة لهؤلاء الذين كانوا يتبعونه. الأمر ممكن فقط بالنسبة لهؤلاء الذين سلموا أنفسهم لمشيئة ربهم و أصبحوا يتقبلون كل ما يأتي في دربهم على أنه مناسب و ضروري حتى و لو كان المصيبة بناءً على اعتبارات العالم المادي. قال شري بهاغافان

في أحد المرات إلى أحد مريديه، "أنت تشكر الله للأمور الجيدة التي تأتي إليك، و لكنك لا تشكره على الأمور السيئة؛ و هنا أنت مخطئ."

قد يتم الاعتراض على أن هذا الايمان البسيط هو مختلف جداً عن عقيدة الوحدة التي كان شري بهاغافان يعلمها، و لكن فقط على المستوى الفكري تتناقض هكذا نظريات. لقد قال، "طاعة الله، الغورو أو الذات الحقيقية هو كل ما يحتاجه المرء. كما سوف نرى في أحد مقاطع الكتاب، أساليب الطاعة الثلاثة هذه هي ليست مختلفة حقيقةً. يكفي القول هنا أنه بالنسبة للمريد الذي يحمل وجهة النظر "الذات الحقيقية الواحدة و كل النشاطات الخارجية تظهر كحلم أو كعرض فيلم السينما على شاشة الذات المطلقة، و هكذا يبقى شاهداً غير متأثراً"، كان هو موقف شري بهاغافان خلال المناسبات النادرة التي هددت فيها حرمته او تعرض لفعل شر.

خارج الغورومورتام، كان يجلس أحياناً تحت أحدى أشجار التمر الهندي.

في أحد الأيام، لم يكن أيٍ من مريديه موجود، أتت مجموعة من اللصوص لحمل قرون التمر الهندي الناضجة. عند رؤية السوامي الشاب جالساً بصمت تحت شجرة، قال أحدهم، "أحضر بعض الأسيد السائل لنضعه على عيونه؛ لنرى إن كان هذا سوف يجعله يتكلم. "إنه نوع من السائل قد يسبّب العمى للإنسان، ناهيك عن الألم القاسي الذي سوف يسببه، و لكنه جلس من دون أي حركة، غير مبالٍ لا بعيونه و لا بفاكهة التمر الهندي على السواء. فرد آخر من مجموعة اللصوص: "آه، لا تهتم لأمره! أي أذى قد نسببه له؟ هيا لنذهب."

كان هناك تعدي للحرمة و معارضة خلال السنوات الأولى في التلة. في العالم الغريب للسادهو (المتنسكين)، حيث البعض هم مزيفين و البعض الآخر قد جاهد على الطريق و نمى قدرات روحية من دون حرق رغباته الدنيوية، كان من المتوقع أن شعاع القدسية الذي كان يتعرف عليه المريدين في شخص صغير السن إلى هذا الحد كفيل بخلق نوع من الانزعاج أو الحقد لدى بعض المتنسكين، بالرغم من أن معظمهم كان ينحني أمامه و يطلب بركته.

وُجد سادهو كبير في السن يسكن في كهف، و كان قد أظهر الكثير من الاحترام و التقدير لشري بهاغافان طالما كان هذا الأخير في غورومورتام. بعد قدومه إلى فيروباكشا، كان شري بهاغافان يزوره في بعض الأحيان و يجلس بصمت معه. كان يقود حياة من الزهد و لديه أتباع؛ بالرغم من هذا كان لا يزال بعيداً عن غلب الرغبات الدنيوية للنفس لدرجة أنه لم يكن قادراً على تحمل رؤية عدد المريدين من أتباع السوامي الشاب يزداد و عدد مريديه ينقص. بعد أن قرر قتل شري بهاغافان أو إخافته من أجل إبعاده عن الجبل، قرر الاختباء فوق كهف فيروباكشا بعد غروب الشمس و إزاحة الصخور و الحجارة من مكانها لكي تتدحرج و تقع على الكهف. جلس شري بهاغافان من دون أن يتأثر بالرغم من أن احدى الصخور وقعت بالقرب منه. دائماً مراقباً، كان يعلم جيداً ما الذي يحصل و في أحدى المناسبات، صعد إلى أعلى التلة و التقط الرجل العجوز و هو يقوم بفعلته. حتى عندها حاول هذا الأخير بأن يجعل الأمر يبدو و كأنه مزحة.

بعد فشله في هذه المحاولة، استعان السادهو ببالاناندا، وغد جذاب، وسيم و يملك معرفة جيدة بالكتب، كان يفرض نفسه أمام الناس على أنه سادهو. قرر هذا المرء الحصول على الربح و الهيبة من خلال الاستفادة من شري بهاغافان. ظناً منه أن السوامي سوف يكون قديساً جيداً لدرجة تمنعه حتى من مقاومة الشر، فراح يتظاهر بأنه الغورو الخاص بشري رامانا. كان يقول للزوار: "هذا السوامي الشاب هو تلميذي،" أو "أجل، أعطوا الولد بعض الحلويات"؛ و لشري بهاغافان، "تفضل، فينكاتارامان، يا طفلي، خذ الحلويات." أو كان يستمر في المسرحية من خلال الذهاب إلى البلدة من أجل شراء الأشياء بحجة أنها لمريده شري رامانا. هكذا

كانت وقاحته إلى حد أنه كان يقول لشري بهاغافان عندما يكون لوحده معه: "سوف أقول أنني الغورو خاصتك و أحصل على المال من زوّارك. لن يشكل الأمر خسارةً لك، لذا لا تعاكسني."

وقاحة هذا الرجل و تعجرفه لم تعرف أي حدود ، و في أحدى الليالي وصل إلى حدود قضاء حاجته عند شرفة الكهف. في الصباح التالي خرج باكراً و ترك ورائه احتياطي ثيابه، وكان البعض منها مصنوعاً من الحرير و أربطة للحذاء داخل الكهف. لم يقل شيئاً شري بهاغافان. ذهب في مسيرة طويلة نحو أحد البرك المقدسة عند ذلك الصباح مع بالانيسوامي و قبل أن يبدئا قام بالانيسوامي بغسل الشرفة، رمي ثياب بالاناندا و قام بإقفال الكهف.

كان بالاناندا غاضباً جداً عند عودته. هاجم بالانيسوامي لأنه تجرأ على لمس ثيابه و أمر شري بهاغافان بطرده على الفور. لم يستجب أي منهما له أو يعيروه انتباهاً. في غضبه قام بالاناندا بالبصق على شري بهاغافان، حتى عندها جلس شري بهاغافان غير متأثراً. جلس المريدين أيضاً ساكتين بدون أي ردة فعل. ولكن، أحدهم، كان يسكن في أحد الكهوف، في المنطقة السفلى للتلة، هرع مسرعاً إلى المكان عندما سمع بالأمر و راح يصرخ: "أنت! كيف تجرؤ على البصق على السوامي خاصتنا!" و بالكاد كان من الممكن لجمه من الهجوم على الوغد. قرر بالاناندا أن يذهب بعيداً في تصرفاته فيما يتعدى مرحلة الأمان ، وكان من الأفضل له مغادرة تيروفاناماالاي. أعلن أن الجبل ليس مكاناً مناسباً و غادر بعجرفته المعتادة. ذهب إلى المحطة و دخل مقطورة الدرجة الثانية من دون بطاقة، حيث وجد ثنائياً شاباً، فبدأ بنصح الرجل الشاب و أمره و لكن هذا الأخير لم يكن يعيره أي اهتمام فأصبح عدائياً و قال: "ماذا! أنت لا تستمع إلي؟ الأمر بسبب إعجابك بهذه الفتاة، لهذا أنت لا تكن لي أي من الاحترام الواجب." فقام عندها الرجل الشاب بالتقاط حذائه و بدأ بضربه، العقاب الذي كان يستحقّه منذ وقت طويل.

بعد بضعة أشهر عاد بالاناندا وكان مصدر إزعاج من جديد. في احدى المناسبات، قرر الجلوس بوجه شري بهاغافان مباشرة و النظر الى عينيه بشكل ثابت من أجل، كما قال هو، إعطائه النيرفيكالبا ساماديهي (التجاوز الروحي)، و لكن ما حصل هو أنه هو بنفسه دخل في النوم و نهض شري بهاغافان و تلامذته و رحلوا بعيداً. بعد فترة قصيرة أيقن أنه من غير الآمن له منظوره البقاء على الجبل.

حاول سادهو آخر الحصول على الشهرة أيضاً من خلال التظاهر أنه غورو السوامي الشاب. بعد عودته من كالاهاستي، راح يقول: "أتيت كل هذا الطريق فقط لكي أرى كيف هي أحوالك. سوف ألقنك الداتاتريا مانترا."
لم يكن شري بهاغافان يتحرك أو يتحدث، لذا استمر بالقول، "الله ظهر لي في المنام و أمرني بإعطائك هذه الأوباديسا."

"حسناً إذاً،" أجابه شري بهاغافان، "دع الله يظهر لي أيضاً في المنام و يأمرني بأخذ هذا التلقين الروحي و سوف أخذه."

"كلا، إنه قصير جداً – فقط بضعة حروف؛ بإمكانك البداية الآن."

"ما فائدة الذي تلقنه لي إن لم أقم بالجابا (الدعاء)؟ ابحث عن مريد مناسب. أنا لست كذلك."

لاحقاً، عندما كان هذا السادهو غارقاً في التأمل، أتته رؤية لشري بهاغافان أمامه حيث قال له، "لا تكن مُضللاً!" خائفاً و ظناً منه أن شري بهاغافان لا بد و أنه يملك قوى روحية يستعملها ضده، أسرع نحو

فيروباكشا و اعتذر من بهاغافان و طلب التحرر من الرؤية. طمأنه شري بهاغافان على أنه لم يستعمل أي نوع من القوى و رأى السادهو أنه لم يكن هنالك أي نوع من الغضب أو الحقد.

محاولة أخرى شبيهة تمت من قبل مجموعة من رجال السادهو السكارى. صعدوا أحد الأيام إلى كهف فيروباكشا، و أعلنوا: "نحن رجال سادهو من جبل بوديكاي، الجبل المقدس حيث الريشي آغاستيا ما زال يقوم بالتاباس (الزهد و الممارسات الروحية) كما كان يفعل منذ ألاف السنين. لقد أمرنا بأن نأخذك اولاً إلى مؤتمر رجال السيدها في سريرانغام و من هناك إلى بوديكاي من أجل إعطائك الديكشا (إدخالك في الطريق) بعد استخراج تلك الأملاح من جسدك التي تمنعك من الحصول على قوى أعظم."

شري بهاغافان، كما في كل هذه المناسبات، لم يقم بأي ردة فعل. ولكن، أحد مريديه، بيرومالسوامي، تخطى الغشاشين في الغش. و قال، "لقد وصلنا بالفعل نبأ وصولكم و تم تكليفنا بوضع أجسادكم على صلبان و بأن نضع تلك الصلبان فوق النار." و استدار نحو مريدٍ آخر و استأذنه، "اذهب واحفر حفرة حيث من الممكن لنا أن نشعل النار من أجل هؤلاء الناس." غادر الزوار على عجل.

في العام ١٩٢٤، عندما كان شري بهاغافان ساكناً في الأشرام الحالي عند أسفل الجبل، دخل بعض اللصوص عنوة الى الكوخ الذي كان يحتوي على السامادهي الخاص بوالدته و أخذوا بعض الأشياء، و بعد بضعة أسابيع أخرى قام ثلاثة لصوص بسرقة الأشرام بحد ذاته.

في ٢٦ من حزيران، حوالي الحادية عشرة مساءً، كان الليل مظلماً. كان شري بهاغافان تربّع على المنصة المرفوعة داخل القاعة أمام السامادهي الخاص بوالدته من اجل الاستراحة. كان أربعة من المريدين نائمين على الأرض بالقرب من النوافذ. اثنين منهم، كونجوسوامي و ماستان، السابق هو من المجموعة التي تعتني شخصياً بشري بهاغافان، سمعا أحدهم في الخارج يقول، "هنالك ستة أشخاص مستلقين في الداخل."

صرخ كونجو، "من هناك؟"

أجاب عليه اللصوص من خلال كسر نافذة، على ما يبدو من أجل إخافة من في الداخل. نهض كل من كونجوسوامي و ماستان و ذهبا إلى المنصة حيث كان شري بهاغافان. فقام اللصوص عندها بتحطيم نافذة في تلك الجهة، و لكن شري بهاغافان جلس من دون التأثر.

قام كونجوسوامي عندها بمغادرة القاعة من خلال الباب الشمالي، بما أن اللصوص كانوا عند الجهة الجنوبية، و جلب راماكريشناسوامي، مريداً نائماً في كوخ آخر، من أجل مساعدتهم. عندما فتح الباب، قام كل من كلبي الأشرام، جاكي و كاروبان، بالركض. قام اللصوص بضربهم فهرب جاكي في حين أن كاروبان عاد إلى القاعة من أجل الاحتماء.

قال شري بهاغافان للصوص أنه هنالك القليل من أجلهم لكي يأخذوه و لكنه مرحب بهم ليدخلوا و يأخذوا ما هو موجود. إما قاموا باعتبار أن الدعوة فخ أو هي محاولة لجعلهم يمتنعون عن ما أتوا للقيام به، لم يعيروا الأمر اهتماماً و استمروا في إزالة إطار النافذة أمامهم كي يدخلوا. (بناءً على العادات الهندية، للنافذة ألواح من الحديد لمنع أيٍ كان من الدخول.) غاضباً من الدمار الذي حصل في الأشرام، طلب راماكريشناسوامي إذن بهاغافان لكيٍ يتحداهم، و لكن بهاغافان منعه من القيام بذلك، قائلاً: "لديهم الدارما الخاصة بهم (دورهم)، و لدينا خاصتنا. علينا أن نحمل و نتحمّل. دعونا لا نتدخل بما يقومون به."

بالرغم من أن بهاغافان دعاهم للدخول من خلال الباب، استمر اللصوص بوسائلهم العنيفة. أشعلوا بعض الألعاب النارية عند النوافذ ليعطوا انطباع أنهم يملكون أسلحة نارية. مجدداً تمت دعوتهم للدخول و أخذ ما يريدون و لكنهم من جديد أجابوا بالتهديدات. خلال هذا الوقت غادر كونجوسوامي إلى البلدة من أجل الحصول على المساعدة.

تحدث راماكريشناسوامي مرةٍ جديدة إلى اللصوص و قال لهم لا تسببوا المشاكل غير الضرورية و خذوا ما ترغبون به. كرد، هددوا بإشعال النار في الغرفة المسقفة بالقش. قال شري بهاغافان لهم، ليس عليكم القيام بهذا و عرض عليهم الخروج من القاعة و تركها لهم. كان هذا ما يريدونه تماماً، ربما ظناً منهم أن الآخرين قد يعرقلوا عملية السرقة إن كانوا متواجدين داخل الغرفة ذاتها. طلب شري بهاغافان أولاً من راماكريشناسوامي حمل الكلب، كاروبان، إلى مكان آمن في الكوخ الثاني خوفاً من قيام اللصوص بضربه إن بقي هناك. ثم هو و ثلاثة آخرين، ماستان، ثانغافيلو بيلاي و مونيسامي، فتى كان يقوم بعبادة البوجا في الأشرام، غادروا من الباب الشمالي. وقف اللصوص عند عتبة الباب و قاموا بضربهم و هم يخرجون، إما أملاً في شلهم أو ثنيهم عن القيام بأي عمل مقاومة من خلال إخافتهم. شري بهاغافان، بعد تلقيه ضربة على فخذه الأيسر، قال، "إن كنتم غير راضين بإمكانكم ضرب القدم الأخرى كذلك الأمر." و لكن راماكريشناسوامي عاد في الوقت المناسب لإبعاد الضربات الأخرى.

جلس شري بهاغافان و مريديه في الكوخ الآخر (الذي تم هدمه لاحقاً) ووقفوا عند شمال القاعة. صرخ اللصوص عليهم للبقاء حيث هم. "إن قمتم بالتحرك من مكانكم فسوف نحطم رؤوسكم!"

قال لهم شري بهاغافان، "لديكم القاعة كلها لأنفسكم؛ افعلوا ما تشاؤون."

أتى أحد اللصوص و طلب مصباح مضاء، فقام راماكريشناسوامي بناء على تعليمات شري بهاغافان بإعطائه واحداً. مجدداً أتى واحد منهم و طلب المفتاح للخزنة الصغيرة و لكن كونجوسوامي كان قد غادر و أخذ معه مفاتيح الخزنة. حطموا الخزنة و ووجدوا بعض قطع الفضة النحيفة من أجل تزيين الصور، بعض حبات المانغا و القليل من الرز و كانت جميعها تساوي حوالي ١٠ روبيات. تم أيضاً أخذ مبلغ ٦ روبيات كانت ملك لثانغافيلو بيلاي.

مصابين بخيبة الأمل بسبب سرقتهم الصغيرة، عاد أحد اللصوص، ملوحاً بعصاه و سائلاً: "أين هي أموالكم؟ أين تحتفظون بها؟"

قال له شري بهاغافان، "نحن رجال سادهو فقراء نعيش على الصدقة و لا نملك المال أبداً،" و اللص بالرغم من تهديداته المستمرة، كان عليه أن يرضى بهذا.

قام شري بهاغافان بنصح راماكريشناسوامي و الآخرين بالذهاب ووضع البلسم على جروحهم.

"و ماذا بشأن سوامي؟" سأله راماكريشناسوامي.

ضحك شري بهاغافان و أجاب، "لقد تلقيت أيضاً بعض البوجا،" لاعباً على الكلمة التي قد تعني إما "العبادة" أو "الضربات".

بعد رؤيته فخذه المتورّم، شعر راماكريشناسوامي فجأة بموجة من الغضب. التقط قضيب من الحديد مستلقياً هناك و طلب الإذن للذهاب و رؤية ما الذي يقوم به اللصوص، و لكن شري بهاغافان أقنعه بعدم القيام بذلك قائلاً. "نحن سادهو. لا يجب علينا أن نتخلى عن الدارما خاصتنا. إن ذهبت و قمت بضربهم، قد يموت بعضهم و هكذا سيلومنا الناس نحن و ليس هم. إنهم فقط رجال مضللين و معميين بسبب الجهل، و لكن دعنا نرى ما هو الأصح و نلتزم به. إن قامت أسنانك بعضّ لسانك فجأة فهل تضربها بسبب هذا الأمر؟"

كانت الساعة الثانية مساءً عندما غادر اللصوص. عاد بعد وقت قليل كونجوسوامي مع شريف البلدة و اثنين من رجال الشرطة. كان شري بهاغافان لا يزال جالساً في الكوخ الشمالي، يتحدث مع مريديه بالمسائل الروحية.

قام الشرطيان بسؤاله عما حصل و علّق بكل بساطة أن بعض الأشخاص الحمقى دخلوا عنوةً إلى الأشرام و غادروا خائبي الأمل بعدما لم يجدوا ما يساوي المتاعب التي مروا بها. قام الشرطيان بتدوين ما حصل و غادروا مع الشريف الى البلدة. ركض مونيسامي ورائهم و قال لهم أن السوامي و الآخرين قد تلقوا الضرب على يد اللصوص. في الصباح التالي قام كل المسؤولين في قسم الشرطة بزيارة الأشرام. لم يتحدث شري بهاغافان مع أيٍ منهم حول إصابته أو عن السرقة إلا عندما تم سؤاله مباشرة. بعد بضعة أيام تم إعادة بعض الأغراض المسروقة و اعتقال اللصوص و إصدار أحكام بالسجن بحقهم.

الوالدة

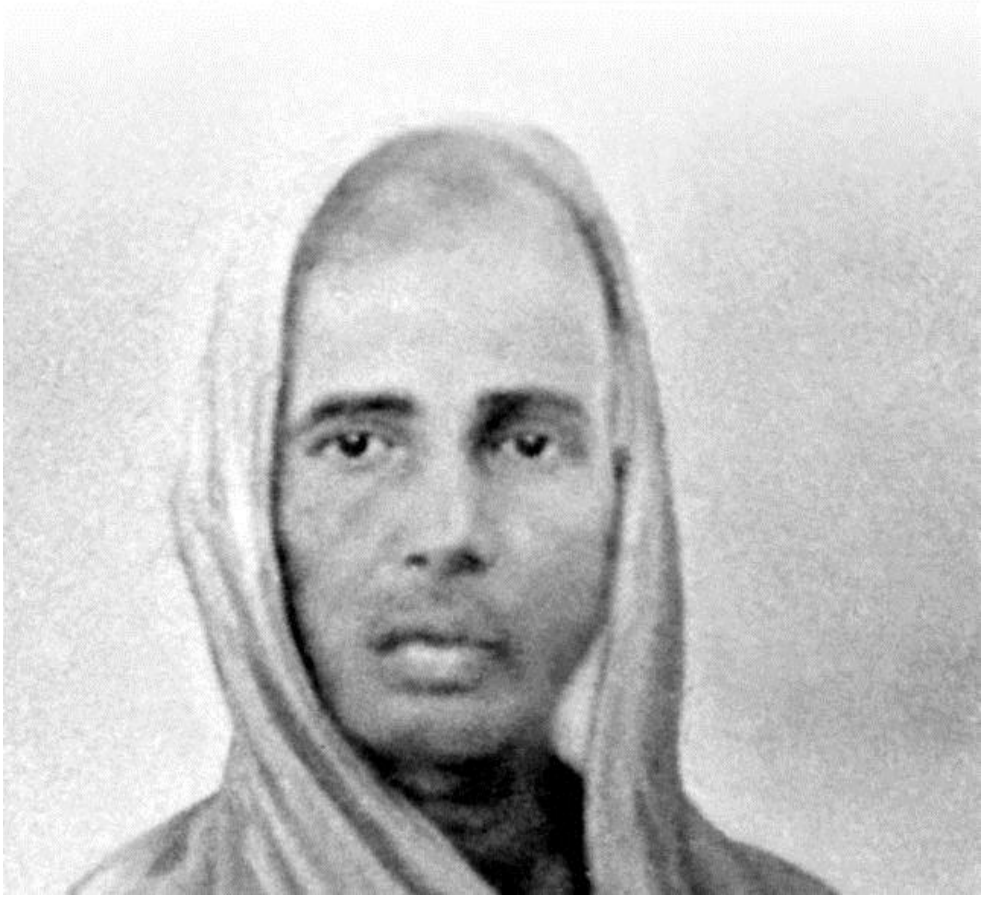

بعد فترةٍ قصيرة من عودة والدة شري بهاغافان في العام ١٩٠٠ والتي حاولت فيها إقناعه بالعودة الى المنزل وبائت محاولتها بالفشل.. توفي ولدها البكر. و بعد سنتين، ناغاسوندارام، والذي كان عمره ١٧ سنة بوقتها، ذهب لأول مرة كي يزور أخاه السوامي. و تأثر كثيراً باللقاء الى حد أنه عانقه و بكى بصوت عالٍ؛ جلس شري بهاغافان بصمت، من دون أي تأثر. و أتت الوالدة لزيارة قصيرة في أحدى المرات خلال عودتها من الحج الى بيناريس. في العام ١٩١٤ ذهبت في مسيرة حج الى مزار فينكاتارامانا سوامي في تيروباتي و بقيت مجدداً لفترة قصيرة في تيروفانامالاي على طريق العودة. هذه المرة أصيبت بالمرض و تألمت لأسابيع عدة بسبب عوارض التيفوئيد. اعتنى بها شري بهاغافان بشكل كبير. الآيات التي ألفها خلال مرضها هي الصلاة الوحيدة التي نعرفها عنه حيث حاول فيها التأثير على مسار الأحداث.

يا رب! يا تلة ملجاي، الذي يشفي أمراض الولادات المتكررة، لك أنت شفاء حمى والدتي.

يا الله يا أيها الذي يذبح الموت! أظهر قدميك في قلب اللوتس، في داخل التي أنجبتني لكي تلتجئ إلى أقدام اللوتس خاصتك، لتحميها من الموت. ما هو الموت إن تم التدقيق به؟

آروناتشالا، يا نار المعرفة المشعة! غلف والدتي بنورك و اجعلها واحدةً معك. ما هي الحاجة عندها لحرق الجسد؟

آروناتشالا، يا طارد الأوهام! لماذا أنت تتأخر في طرد حمى والدتي؟ هل هنالك أحد غيرك لكي ينظر إلى من التجأ اليك كوالدة و لإنقاذه من استبداد الكارما؟

ظاهرياً كانت هذه الصلاة من أجل شفاء الوالدة من الحمى التي أصابتها، و لكن في الواقع كانت هذه الصلاة من أجل إنقاذها من الحمى الأوسع للوهم و إعادة لمّ شملها في الوحدة مع الذات الحقيقية للتحرر من هذيان الحياة.

من دون أي داعٍ للقول، شفيت آلاغامال. لقد عادت إلى مانامادورا، و لكن بعد هذه الصلاة تآمرت الأحداث كي تجذبها بعيداً عن حياة العالم المادي إلى حياة الأشرام.

تمّ بيع منزل العائلة في تيروشوزهي من أجل دفع الديون و المصاريف اللازمة. صهرها، نيليابيير، توفي، تاركاً العائلة في وضع صعب. عام ١٩١٥ توفيت زوجة ابنها الأصغر، ناغاسوندارام، ، تاركةً ابناً صغيراً تم تبنيه من قبل عمته آلاميلو، بدأت آلاغامال بالشعور أن المكان الوحيد المتوفر لها في شيخوختها هو مع ابنها السوامي.

في بداية العام ١٩١٦ ذهبت إلى تيروفانامالاي.

بداية بقيت عدة أيام لدى إيشامال. بعض المريدين كانوا ضد بقائها مع شري بهاغافان، خوفاً من تركه للأشرام اعتراضاً، كما ترك منزله في العام ١٨٩٦. و لكن، كان هناك فرق كبير، لأنها الآن هي من كانت قد تركت المنزل، و لم يكن هو من كان محتجزاً. رهبة شري بهاغافان كانت ملهمة جداً لدرجة أنه بالرغم من أسلوبه اللبق، عندما كان يصعد سؤال مثل هذا حول كيف كان يرغب في التعاطي مع هكذا موضوع، لم يكن يتجرأ أحد على التحدث إليه مباشرة. و حتى لو فعل أحدهم هذا، كان يجلس غير متأثراً، دون الإجابة، لأنه لم يكن لديه أي رغبات او أمنيات. الرغبة في شفاء الوالدة والتي تم التعبير عنها في الآيات كانت شيء استثنائي جداً.

بعد فترة قصيرة من قدوم والدته للبقاء معه، انتقل شري بهاغافان من فيروباكشا إلى سكانداشرام، أعلى قليلاً على التلة و مباشرةً فوق فيروباكشا. كان هذا الكهف أوسع و تم بناء تحسينات داخله خصيصاً من أجل السكن فيه. بعد اكتشافه لصخرة رطبة هناك أدرك بشكل صحيح وجود نبع خفي في الموقع. و تم الحفر في الموقع و خرج فيض كبير من الماء، بما فيه الكفاية لتغطية حاجات الأشرام، و حتى من أجل حديقة صغيرة تم تأسيسها أمام الكهف. بدأت الوالدة في تحضير الوجبات، و هكذا بدأ عهد جديد في حياة الأشرام.

رغبةً منها في جذب ابنها الأصغر أيضاً إلى الأشرام، أرسلت آلاغامال أحد المريدين لاستدعائه. تخلى عن العمل الذي كان يشغله في تيروفينغادو و ذهب للعيش في تيروفانامالاي. عند البداية بقي في البلدة، و كان

يتناول الطعام في منزل أحد الأصدقاء و يزور الأشرام يومياً. و بعد فترة قصيرة اعتنق نذر التنسك و لبس الثوب الأرجواني تحت اسم نيرانجاناندا سوامي، بالرغم من أنه كان عادةً معروف تحت اسم "شيناسوامي"، "السوامي الصغير"، بسبب كونه أخ السوامي. لفترة ظل يذهب يومياً إلى البلدة من أجل تسول الطعام، و لكن بدا من غير المناسب للمريدين أن يذهب الأخ الأصغر للسوامي من أجل تسول الطعام في حين أن الطعام الموجود في الأشرام يكفي حاجة الجميع، فتم إقناعه بالتوقف عن هذه العادة و بتناول الطعام في الأشرام.

كان يبدو الأمر و كأن شري بهاغافان كان قد عاد إلى الحياة العائلية، العائلة التي امتدت لتشمل كل مريديه؛ و بالفعل، كان يشير إليهم أحياناً على أنهم العائلة. هذا الواقع هو ما كان يجعل والدته و أخاه يترددون في القدوم للعيش معه. سيشادري سوامي أشار في احدى المرات إلى الموضوع بطريقته المازحة. حيث توقف زائر لرؤيته و أراد الاستمرار في الصعود على التلة ليرى راماناسوامي فقال له سيشادري سوامي: "أجل، اذهب لترى. هنالك رب منزل في الأعلى، سوف يتم إعطائك كعك السكر (لادوز) هناك."

المغزى من مزحة سيشادري سوامي هو أنه كان من المعتاد اعتبار منزلة رب البيت أدنى من منزلة السادهو، بما أن السادهو كان يكرس نفسه كاملاً من أجل البحث، في حين أن رب البيت كان لديه شؤون يومية في العالم المادي عليه القيام بها. فعل التخلي عن البيت و الملكية بحد ذاته يُنظر إليه على أنه خطوة كبيرة نحو الأمام. لهذا السبب الكثير من المريدين يسألون شري بهاغافان حول إذا ما كان يجب عليهم القيام بالتنسك. و لكن شري بهاغافان كان دائماً ينهيهم عن ذلك. وفي النص أدناه قام بالشرح أن التنسك ليس انسحاباً و لكن توسعاً للحب.

المريد: أشعر بالميل لترك عملي و البقاء دائماً مع شري بهاغافان.

بهاغافان: بهاغافان هو دائماً معك، في داخلك. الذات الحقيقية في داخلك هي بهاغافان. هذا هو ما عليك أن تدركه.

المريد: و لكنني أشعر باندفاع داخلي نحو ترك كافة التعلقات و نبذ العالم و العيش كسانياسين.

بهاغافان: التنسك لا يعني التغيير الخارجي للملابس أو ترك المنزل. التنسك الحقيقي يعني التخلي عن الرغبات، الأهواء و التعلقات.

المريد: و لكن التعبد الموحد للعقل نحو الله ليس ممكناً إلا إن تخلى المرء عن العالم.

بهاغافان: كلا؛ الذي يتنسك حقيقةً يندمج في العالم و يتوسع حبه ليعانق العالم بأكمله. من الصحيح أكثر وصف موقف المريد على أنه حب كوني من على أنه ترك للمنزل و لبس الثوب الأرجواني.

المريد: في المنزل، روابط التعلق قوية جداً.

بهاغافان: ذلك الذي يتنسك عندما لا يكون جاهزاً بعد للأمر فقط يخلق روابط جديدة.

المريد: أليس التنسك هو الوسيلة الأسمى لقطع التعلقات؟

بهاغافان: قد يكون الامر كذلك لمن عقله قد تحرر بالفعل من التعلقات. و لكنه لم تستوعب بعد المعنى الأعمق للتنسك: الأرواح العظيمة التي تركت الحياة المادية قد فعلت هذا ليس امتعاضاً من الحياة العائلية بل بسبب قلبها الكبير و حبها المعانق لكل البشرية و المخلوقات.

المريد: يجب على الروابط العائلية أن ترحل في أحد الأوقات فلماذا لا يجب علي أنا أن أخذ المبادرة و أقطعها الآن لكي يكون حبي مساوياً بالنسبة للجميع؟

بهاغافان: عندما تشعر حقيقةً بذلك الحب المتساوي بالنسبة للجميع، عندما يتوسع قلبك بما فيه الكفاية ليشمل كل الخليقة، لن تشعر على الاطلاق برغبتك في التخلي عن هذا أو ذاك؛ سوف تسقط بكل بساطة من الحياة العلمانية كما تسقط الفاكهة الناضجة عن جزع الشجرة. سوف تشعر أن العالم بأكمله هو منزلك.

ليس من العجب أن هكذا اسئلة غالباً ما كانت تُطرح و أن الكثيرين يتفاجؤون بالأجوبة التي يحصلون عليها، لأن موقف شري بهاغافان كان مناقضاً لوجهة النظر التقليدية و المتوافق عليها. بالرغم من أن الحقائق الروحية التي يتم تناقلها عبر العصور لا تتغير، إلا أن المعلمين يتأقلمون مع وسائل تمرين لأخذ المريد إلى إدراك الحقيقة أكثر ملائمةً مع الوقت الحالي.

في العالم الحديث، التنسك أو حتى مراقبة الطقوس التقليدية بشكل كامل هو أمرٌ مستحيل. مريدون كثُر، هم رجال أعمال، موظفي مكاتب، أطباء، محامين، مهندسين، مقيدين بطريقةٍ أو بأخرى في حياة و أساليب المدينة الحديثة، و هم بالرغم من هذا يسعون إلى التحرر.

التفسير الذي ما كان شري بهاغافان يعطيه غالباً هو أن التنسك الحقيقي في العقل و لا يتم تحقيقه من خلال التنسك المادي أو عدمه.

"لماذا تظن أنك رب منزل؟ أفكار مماثلة بأنك سانياسين (متنسك) سوف تطاردك حتى ولو أصبحت واحداً. إن استمريت كربّ منزل أو تخليت عن هذا و ذهبت إلى الادغال، إن عقلك هو من يقيدك. الأنا المغرورة هي مصدر الفكر. هي تخلق الجسد و العالم و تجعلك تظن أنك رب منزل. إن قمت بالتنسك فأنت فقط سوف تستبدل فكرة التنسك بفكرة رب المنزل و محيط الغابة بدل محيط المنزل، لكن العوائق الفكرية هي دائماً نفسها بالنسبة لك. حتى أنها تزداد بشكل كبير في المحيط الجديد.

ليس بالأمر المساعد تغيير المحيط. العائق الوحيد هو العقل و يجب التغلب عليه إن في المنزل أو في الغابة. إن كان بإمكانك القيام بالأمر في الغابة فلما لا في المنزل؟ لهذا السبب لما تغيير المحيط؟ من الممكن لك أن تقوم بجهودك حتى الآن، مهما كانت الطبيعة."

قام بالشرح أيضاً أن العمل الذي يقوم به المرء ليس هو العائق أمام السادهانا (الرياضة الروحية) بل فقط الموقف العقلي الذي يتم القيام بالعمل به، و أنه من الممكن أن يستمر المرء بالقيام بعمله الحالي، و لكن من دون تعلق. "الشعور "بأنني أنا أعمل" هو عائق،" قال في إنجيل الماهارشي؛ "اسأل نفسك من يعمل. تذكر من أنت. عندها العمل لن يقيدك. سوف يستمر بشكل أوتوماتيكي." في يوم مع يوم مع بهاغافان من تأليف ديفاراجا موداليار هنالك تفسير أكمل قد تم تسجيله.

"من الممكن القيام بكافة نشاطات الحياة دون تعلق و اعتبار أن الذات المقدسة هي فقط الشيء الحقيقي. من الخطأ الظن أنه إن كان المرء مثبتاً في الذات المقدسة فإن واجباته الحياتية لن تتم بشكل ملائم. الأمر كحال الممثل. هو يلبس و يمثّل و حتى يشعر بالدور الذي يلعبه، و لكنه يعلم حقيقةً أنه ليس تلك الشخصية و لكن شخص آخر في الحياة الواقعية. بالطريقة ذاتها، لماذا يجب على وعي الجسد أو فكرة أنا الجسد أن تقلقك متى ما تعلم بشكل يقيني أنك لست الجسد بل الذات المقدسة؟ لا شيء يقوم به الجسد يجب أن يهزك من ثباتك في الذات الحقيقية. هذا النوع من الثبات لن يتدخل على الاطلاق بوظائف الجسد الملائمة التي يجب القيام بها، لا أكثر من وعي الممثل لدوره الحقيقي في الحياة و تدخّله في الدور الذي يقوم بتمثيله على المسرح."

تماماً كما أن التأمل هو التذكر، مهما يسميه المرء، لا يتدخل بالعمل الذي يقوم به المرء، فكذلك العمل الذي يقوم به المرء لا يتدخل بالتأمل. قام شري بهاغافان بشرح هذا الأمر بشكل واضح في حديث مع بول برانتون.

بهاغافان: ليس هناك من داعٍ للتخلي عن حياة الحركة. إن قمت بالتأمل لساعة او ساعتين باليوم فبإمكانك عندها القيام بواجباتك. إن قمت بالتأمل في الطريقة الصحيحة، فعندها تيار العقل الذي يتم الدفع نحوه سوف يستمر بالفيض حتى خلال وسط عملك. و كأنه هنالك طريقتين للتعبير عن الفكرة ذاتها؛ الخط ذاته الذي تتناوله في التأمل سوف يتم التعبير عنه في نشاطاتك.

بول برانتون: ماذا ستكون نتيجة القيام بذلك؟

بهاغافان: خلال استمرارك بالقيام بهذا سوف تكتشف أن موقفك تجاه الناس، الأحداث و الأغراض سيتغير تدريجياً. أفعالك سوف تتبع تأملك لوحدها.

على المرء تسليم الأنانية الشخصية التي تقيده بهذا العالم. التخلي عن الشخصية الخاطئة هو التنسك الحقيقي.

بول برانتون: كيف من الممكن للمرء ان يكون خالي من الأنانية و هو يقود حياة مليئة بالنشاطات المادية؟

بهاغافان: ليس هنالك من نزاع ما بين العمل و الحكمة.

بول برانتون: هل تعني أنه بإمكان المرء القيام بكافة النشاطات السابقة، في صنعته، على سبيل المثال، و في الوقت نفسه تحقيق التنور؟

بهاغافان: لما لا؟ و لكن في تلك الحالة لن يفكر المرء بأن الشخصية القديمة هي من يقوم بالعمل لأن وعيه سوف يتغير تدريجياً لحين ما يدخل ذلك الذي هو ما وراء الأنا الصغيرة.

العديد قد احتار فيما يتعلق بتعليم العمل من دون تعلق و تساءل إن كان من الممكن لهم حقيقةً القيام بعملهم بشكل فعال بتلك الطريقة. و بالرغم من هذا كان أمامهم مثل شري بهاغافان بنفسه، لأن كل ما يقوم به كان دقيقاً جداً، أن يقوم بتصحيح و مراجعة النصوص أو بتغليف كتاب، أو تحضير و قطع او تنظيف قشرة جوز الهند لاستعمالها كصحن. بالواقع، حتى قبل زوال وهم أنا الفاعل، الحصول على موقف متحفظ تجاه العمل لا يعيق الكفاءة بل يحسّنها، طالما الأمر ممزوج بالوعي، لأن الامر لا يعني اللامبالاة تجاه جودة العمل الذي يتم

القيام به و لكن فقط عدم تدخل الأنا المغرورة فيه؛ و تدخل هذه الانا هو ما يسبب التصادم و عدم الكفاءة. إن قام كل الأشخاص بأداء عملهم بكل بساطة لأنه عملهم، من دون أي غرور أو مصلحة شخصية، سوف يتوقف الاستغلال، و يتم توجيه الجهد بالشكل الصحيح، التنسيق سوف يستبدل التنافس، و معظم مشاكل العالم سوف تحلّ. أن فعالية العمل لن تتأثر، هو أمر ظاهر أن تذكر المرء عصور الإيمان في كل دين قد انتج اروع التحف الفنية، إن كانت غوثية، كنائسية أو في الجوامع، أو النحت الهندي و الرسوم التاوية، من خلال فنانين اعتبروا أنفسهم كأدوات و فضلوا البقاء مجهولين. من الممكن اخذ امثال من وظائف أخرى أيضاً. الطبيب يعمل بكفاءة أكثر عندما يكون غير عاطفي، و لهذا السبب عادةً ما يفضل عدم معالجة أفراد عائلته. الخبير المالي يعمل بهدوء و فعالية أكثر ان لم تكن مصالحه في الرهان. حتى في الألعاب، الحظ هو حليف الشخص غير المهتم.

النصيحة في الاستمرار بالحياة المنزلية غالباً ما كانت تقود إلى الاعتراض بأن شري بهاغافان هو نفسه قد ترك منزله. لهذا كان يجيب باقتضاب أن كل مرء يتصرف استناداً للبارابدها كارما خاصته (قدره). و لكن، يستدعي الأمر الاخذ بعين الاعتبار أن نمط الحياة و النشاطات التي كان يقوم بها شري رامانا و مريديه في سنواته الأخيرة من حياته لم تكن أمراً ممكنا بالنسبة له القيام به بعد اليقظة التي حصلت معه في منزل عمه في مادورا. الجواب هو أن ما صار ممكنا بالنسبة لشري بهاغافان، صار من خلال بركته ممكناً بالنسبة للذين يتبعونه.

للعودة إلى الوالدة: كان تدريباً قاسياً التي تلقّته. غالباً ما كان شري بهاغافان يتجاهلها، و لا يجيبها عندما تتحدث، بالرغم من أنه كان يتجاوب مع الآخرين. إن كانت تتذمر يقول لها، "كل الأمهات هنّ والدتي، ليس أنت فقط." المرء يتذكر هنا مقولة المسيح عندما قيل له أن والدته و اخوته واقفون مع الحشد بانتظار التحدث إليه، "كل من يعمل مشيئة أبي الذي في السماوات يكون هو أخي و شقيقتي و والدتي." في البدء غالباً ما كانت والدة شري بهاغافان تبكي بحرقة و لكن تدريجياً بدأ يتطور الفهم في داخلها. الشعور بالفوقية كونها والدة السوامي قد سقط، الشعور بالأنا المغرورة ضعف و كرّست نفسها لخدمة المريدين.

كل حينٍ و آخر، كان يمزح بشأن أساليبها التقليدية. إن كانت الساري خاصتها تلمس شخص ليس من طبقة البراهمين كان يعبر عن الأمر بازدراء و سخرية: "أنظروا! الطهارة قد رحلت! الدين قد رحل!" كان الطعام في الأشرام نباتي صارم، و لكن آلاغامال، كما حال بعض البراهمين الملتزمين، كانت تتطرف أكثر بعد و تعتبر بعض الخضروات غير ساتفية (غير طاهرة)، و على هذا كان شري بهاغافان يقول بسخرية: "إنتبهي لتلك البصلة! هي عائق كبير أمام الموكشا (التحرر)!"

يجب القول هنا أن شري بهاغافان لم يكن ضد التقاليد الدينية الأورثوذكسية (الملتزمة جداً) بشكل عام. و لكن في هذه الحال كان هنالك تعلق زائد بأشكال الأورثوذكسية و هذا هو ما كان يهاجمه. بشكل عام كان يضع أهمية لموضوع الطعام الساتفي (الطاهر). لم يكن غالباً ما يعطي أي نصائح فيما يتعلق بالنشاطات الخارجية؛ وسيلته المعتادة كانت زرع البذرة الروحية في القلب و تركها لتشكل الحياة الخارجية مع نموها. التعليم يأتي من الداخل. أحد المريدين الغربيين كان يأكل اللحم كثيراً عندما وصل في البداية، و كان ينظر إلى اللحم على

أنه المادة الحقيقية التي تتكون منها الوجبة و على أنه الجزء الأكثر لذة، و من دون الحديث عن الأمر على الاطلاق، أتى وقت بدأ يشعر فيه بالنفور من فكرة تناول اللحم.

يجب الشرح ما بين قوسين، بالنسبة للقراء غير الهنود، أن ممارسة تناول الطعام النباتي فقط هي ليست بسبب الامتناع عن أخذ الحياة أو تناول اللحم، بالرغم من أن هذا أحد اسبابها؛ هي أيضاً لأن الطعام غير الساتفي (الذي يتضمن بعض أنواع النباتات و كذلك اللحم) يميل إلى زيادة العواطف الغرائزية و إعاقة الجهد الروحي.

أشياء أخرى حصلت أدت أيضاً إلى إدراك الأم أن ولدها كان تجسداً مقدساً. في أحدى المرات جلست أمامه فاختفى و رأت بدلاً عنه لينغام (عمود) من النور الصافي. ظناً منها بأن هذا معناه أنه قد أزال شكله البشري، بدأت تنوح بالبكاء، و لكن اختفى من بعدها اللينغام و ظهر أمامها شري رامانا كما من قبل. في مناسبةٍ أخرى رأته مزين بالورود و محاط بالأفاعي كما التمثيل التقليدي لشيفا. صاحت له: "أرسلها بعيداً! أنا خائفة منها!"

بعدها رجته بالظهور أمامها من الآن و صاعداً فقط بشكله البشري. هدف الرؤى كان قد تم؛ لقد أدركت ان الشكل الذي تعرفه و تحبه على أنه ابنها كان وهمياً كما كل الأشكال الأخرى التي قد يتناولها.

عام ١٩٢٠ بدأت صحة الوالدة تتدهور. أصبحت غير قادرة على العمل أقل من أجل الأشرام كما في السابق. خلال مرضها اعتنى بها شري بهاغافان باستمرار، غالباً ما كان يجلس خلال الليل معها، في الصمت و التأمل نضج فهمها.

أتت النهاية عام ١٩٢٢ خلال احتفال الباهولا نافامي، الذي وقع في ١٩ أيار من تلك السنة. شري بهاغافان و بعض الآخرين صبروا طوال اليوم من دون تناول الطعام. حوالي المغيب تم تحضير وجبة و طلب شري بهاغافان من الآخرين الذهاب و تناول الطعام، و لكنه هو نفسه لم يفعل .

عند المساء جلست مجموعة من المريدين لغناء الفيداس بالقرب منها في حين كان الآخرين يستدعون اسم رّام. لأكثر من ساعتين بقيت مستلقية، صدرها مرتفع و نفسها يصعد بشهقات عالية، و كل هذا كان يحصل و شري بهاغافان جالس بالقرب منها، يده اليمنى على قلبها و اليسرى على رأسها. هذه المرة لم يكن هنالك سؤال حول إطالة حياتها و لكن فقط حول تهدئة عقلها لكي يكون موتها ماهاسامادهي، الاستغراق في الذات الحقيقية.

عند الساعة الثامنة مساءً تم تحريرها اخيراً من جسدها. نهض شري بهاغافان مباشرةً، مبتهجاً جداً. "الآن بإمكاننا تناول الطعام،" قال لهم؛ "تعالوا، ليس هناك من تلوث."

كان المعنى عميقاً. الموت الهندي ينتج عنه عادة بالنسبة للهنود التلوث و هذا الأمر يتطلب طقوس تطهيرية، و لكن هذا لم يكن موتاً بل إعادة انغماس. لم يكن هنالك روح منفصلة عن الجسد بل اتحاد كامل مع الذات المقدسة و لهذا السبب لم تكن الطقوس التطهيرية مطلوبة. بعض الأيام لاحقاً أكد بهاغافان هذا: عندما أشار أحدهم إلى وفاة الوالدة قام بالتصحيح له بأسلوب لائق، "هي لم تتوفى، بل انغمست."

واصفاً العملية فيما بعد، لقد قال: "الميول الداخلي و الذاكرة اللطيفة للاختبارات الماضية و التي تقود إلى الاحتمالات المستقبلية صارت نشيطة جداً. مشهد وراء مشهد ظهروا أمامها في الوعي اللطيف، و الاحاسيس الخارجية رحلت بالفعل. كانت الروح تمرّ بسلسلة من الاختبارات، و هكذا تجنبت الحاجة للولادة من جديد و جعل من الممكن الاتحاد مع الروح الكلية. صارت النفس و أخيراً منزوعةٌ عنها طبقاتها اللطيفة قبل أن تصل إلى وجهتها الأخيرة، السلام الأسمى للتحرر من حيث ليس هناك عودة الى الجهل."

بالرغم من أهمية المساعدة التي قدمها شري بهاغافان، قداسة آلاغامال، و تخليها السابق عن كبريائها و تعلقها، هو الذي مكنها من الاستفادة من الامر. لقد قال لاحقاً: "نعم، في حالتها كان الأمر ناجحاً؛ في مناسبة سابقة قمت بالأمر ذاته مع بالانيسوامي عندما كانت النهاية تقترب، و لكن الأمر كان فاشلاً. فحت عينيه و توفي." لقد أضاف، "و لكن الأمر لم يكن فشلاً كاملاً بحالة بالانيسوامي، اذ أنه و بالرغم من أن الأنا المغرورة لم تكن قد انغمست في الذات المقدسة، الطريقة التي ذهبت بها كانت فيها إشارة الى ولادة جديدة حميدة.

غالباً، عندما كان يشعر المريدين بالفاجعة كان شري بهاغافان يذكرهم بأن الجسد هو فقط من يموت و فقط وهم الأنا هو الجسد هو ما يجعل الموت يبدو كمأساة. الآن، عند وقت فجيعته هو، لم يظهر أي حزن على الإطلاق. كل الليل بقي هو و مريدينه جالسين يغنون التراتيل الروحية. هذه اللامبالاة تجاه الموت الجسدي لوالدته هي التعليق الحقيقي لصلاته خلال مرضها السابق.

طرأ السؤال حول كيفية التخلص من جسدها. كانت هنالك شهادة بهاغافان بنفسه على أنها انغمست في الذات الحقيقية و لم تبقى لتولد في وهم الأنا المغرورة، و لكن تم الإحساس ببعض الشك حول ما إذا يجب دفن جسد امرأة قديسة أو حرقه. عندها تم استذكار أنه في العام ١٩١٧، شكلت هذه النقطة بالذات جزءاً من سلسلة أسئلة كان قد وضعها غاناباتي شاستري و مجموعته أمام شري بهاغافان و كان قد أجاب عليها بالإيجاب. "بما أن الجنانا (المعرفة) و الموكتي (الخلاص) لا يختلفان من حيث ناحية الجنس، جسد الامرأة القديسة ايضاً لا يحتاج للحرق. جسدها أيضاً هو مسكن الله."

فيما يتعلق بمغادرتها للأشرام أي عند قدومها إليه، لم يفترض أحد سؤال شري بهاغافان بنفسه اتخاذ قرار، و لم يصدر عنه واحداً. يبدو أنه لم يخطر لهم أن الجواب كان قد تم إعطائه في صلاته خلال العام ١٩١٤: "غلّف والدتي في نورك و اجعلها واحدةً معك! ما هي الحاجة لحرق الجثة عندها؟"

وقف شري بهاغافان بصمت دون مشاركة، تمّ إدخال جسد الوالدة عند سفح الجبل في النقطة الجنوبية، ما بين بركة باليتيرسام والداكشينامورتي مانتابام (المزار). حضر الاقرباء و الاصدقاء مراسم الدفن و اتت حشود كبيرة من القرية. الرماد المقدس، الكافور، العود العطر، تم القائها جميعها في الحفرة حول الجسد.

تم بناء قبر حجري و عليه وُضع لينغام مقدس تم جلبه من بيناريس.

لاحقاً تم إنشاء معبد في هذه النقطة، و تم الانتهاء منه بالكامل عام ١٩٤٩ و عُرف بمعبد ماتروبهوتيشوارا، معبد الله في ظهوره كوالدة.

كما أن قدوم الوالدة قد علّم عهداً معيناً في حياة الأشرام، كذلك فعل رحيلها. بدل تفقد الامر، ازداد التطور. شعر بعض المريدين أن، كشاكتي أو كطاقة خلاقة، حضورها أقوى من أي وقت مضى. في احدى المناسبات قال شري بهاغافان: "أين هي قد رحلت؟ هي هنا."

اتخذ نيرانجاناندا سوامي مسكناً له عند سفح الجبل بالقرب من السامادهي في مبنى ذو سقف من القش كان قد تم إنشائه هناك. بقي شري بهاغافان في سكانداشرام و لكنه كان ينزل كل يوم تقريباً لزيارة السامادهي، حوالي مسيرة ساعة و نصف. عندها في أحد الأيام، بعد ستة أشهر ، خرج ليتمشى و خلال سيره، شعر بجاذب قوي للذهاب إلى السامادهي و البقاء هناك. ولم يعد، فلحقه المريدون إلى هناك و هكذا تم تأسيس الراماناشرام. "لم انتقل بمحض إرادتي من سكانداشرام،" قال لاحقاً، "شيءٍ ما جلبني إلى هنا و أنا أطعت. لم يكن الأمر قراري و لكن الإرادة المقدسة."

الأدفايتا

لم يكن شري بهاغافان فيلسوفا و لم يكن هنالك أي تطور على الإطلاق في تعاليمه. عرضه الأول، **معرفة الذات و من أنا؟**، هي تعاليم ليست مختلفة في العقيدة النظرية عن التعاليم التي أعطاها لفظياً خلال السنوات الأخيرة.

عندما كان فتى في السادسة عشر من عمره، أدركته هويته مع المطلق، مع ما يُسمّى الكينونة الصافية الكامنة في كل شيء، كان بلا شكل، المعرفة الحدسية التي تم معرفة أثارها النظيرة فقط لاحقاً. "لم أعرف بعد أنه يوجد جوهر أو حقيقة غير شخصية كامنة في كل شيء و أن الله و أنا كنا سوية متطابقين معها. لاحقاً، في تيروفانامالاي، خلال استماعي للريبو غيتا و كتب مقدسة أخرى، تعلمت كل هذا و وجدت أنهم كانوا يحللون و يسمون ما كنت قد شعرت به حدسياً بدون أي تحليل أو اسم." لم يكن الأمر يتعلق بموضوع رأي و لكن بحقيقة تم إدراكها؛ هذا بما معناه القول أنه لم يكن مقتنع بما قرأه و لكنه بكل بساطة أدرك تطابقه مع ما كان يعرفه بالفعل بشكل حدسي.

كل أشكال و مستويات العقيدة هي موجودة في الهندوسية، و كلها شرعية و تتلائم مع وسائل المقاربات المختلفة التي يتطلبها الناس استناداً لمزاجاتهم المختلفة و تطورهم. المقاربة من خلال الحب و عبادة الإله الشخصي موجودة، كما هي موجودة في الديانات الغربية و السماوية. و كذلك ايضاً المقاربة من خلال الخدمة، رؤية الله ظاهراً في كافة مخلوقاته و عبادته من خلال خدمتهم. و لكن، إدراك الكينونة الصافية على أنها ذاتنا نفسها و ذات الكون كله و كافة المخلوقات هي الحقيقة الأسمى و الأقصى، تتجاوز كل مستويات العقيدة الأخرى من دون إنكار حقيقتها على بعدها الخاص.

هذه هي عقيدة الأدفايتا، اللا- ثنائية، التي كان يعلمها الريشيين القدامى و بالأخص من قبل شانكاراشاريا. هي الابسط و كذلك الاعمق، كونها الحقيقة الاسمى فيما يتخطى كل تعقيدات الكون.

اللا ثنائية، تعني أن المطلق فقط هو. الكون بأكمله موجود داخل المطلق، ليس له حقيقة منفصلة و لكن فقط يعبر عن المطلق بشكل دائم أبدي ثابت و غير ظاهر، كما أن الأشخاص و الأحداث داخل حلم إنسان هي موجودة في داخله و ليس لها حقيقة منفصلة عنه كذلك الأمر, فهي لا تضيف شيئاً عليه من خلال خلقها و لا تنقص شيئاً منه من خلال اختفائها. هذا يعني أن المطلق هو الذات الحقيقية للكون و لكل مخلوق. لهذا السبب من خلال البحث عن الذات المقدسة، من خلال الاستفسار الدائم "من أنا؟" من الممكن للمرء أن يدرك هويته الحقيقية مع الكينونة الكونية. كان شري بهاغافان يعلم الأدفايتا بأصفى أشكالها.

البعض قد يخاف من أن عقيدة الذات الحقيقية الواحدة قد تحرمهم من الإله الشخصي الذي يصلون لأجله، و لكن ليس هنالك من داعٍ لهذا الخوف، لأنه طالما أن حقيقة الأنا المغرورة التي تصلي تدوم كذلك حقيقة الإله الذي يصلى لأجله؛ طالما يقبل الرجل الأنا المغرورة خاصته على أنها حقيقة، العالم خارجها والله فوقها هم أيضاً حقيقة بالنسبة له. هذا هو مستوى ديانة ثنائية و إله شخصي. هو حقيقي و لكنه ليس الحقيقة المطلقة. "كل الديانات تسلم بالأساسيات الثلاثة: الفرد، الله و العالم. الأمر هو طالما أن الأنا المغرورة تدوم طالما أن المرء يقول، "إما أن الواحد يظهر نفسه على أنه الثلاثة" أو، "الثلاثة هم حقيقةً ثلاثة". الحالة المطلقة هي ان نلتزم بالذات الحقيقة، حيث الأنا المغرورة تختفي". مقتبس من كتاب:

(Forty Verses on Reality, v.2)

بعض الناس أيضاً يثورون على مبدأ أن العالم غير حقيقي، حتى خلال اعترافهم بحقيقة الروح، و لكن هذا لأنهم لم يفهموا بأي معنى العالم غير حقيقي. شري بهاغافان غالباً ما كان يشرح هذا، و قد ورد هذا الشرح بدقة كبيرة في المقولة التالية التي قد سجلها السيد كوهين:

"تم انتقاد شانكاراشاريا لفلسفته حول المايا (الوهم) من دون تفهم معناه. قال ثلاثة عبارات: أن البراهمان حقيقي، أن الكون غير حقيقي، و أن البراهمان هو الكون. لم يتوقف عند الثانية. العبارة الثالثة تشرح الاثنين الأول؛ هي تدل على أنه عندما يتم إدراك الكون بشكل منفصل من البراهمان فإن ذلك الإدراك هو زائف و وهمي عندما يتم رؤيته منفصلاً عن الذات الحقيقية."

تعاليم شري بهاغافان كانت عملية جداً. كان يشرح ما هو نظري فقط عندما يجيب على الحاجات المحددة للمريدين و أسئلتهم و كقاعدة ضرورية للممارسة. عندما تم تذكيره في أحدى المرات (في إنجيل الماهارشي) أن البوذا كان قد رفض الإجابة على الأسئلة حول الله، رد بالإيجاب، "في الواقع البوذا كان مهتم أكثر بتوجيه الباحث حول إدراك النعيم هنا الآن بدلاً من الأحاديث الأكاديمية حول الله و ما الى هنالك." لهذا أيضاً، كان هو أيضاً غالباً ما يرفض إرضاء الحشرية، موجهاً المريد بدلاً عن ذلك إلى الحاجة للسادهانا و الجهد. عندما

تم سؤاله في احدى المرات حول حالة المرء بعد الموت، كان يجيب: "لماذا تريد أن تعرف ماذا سوف تكون عندما تموت قبل أن تعرف ما أنت عليه الآن؟ أولاً اعرف ما أنت عليه الآن." المرء هو الآن و إلى الأبد الذات التي لا تموت و الكامنة ما وراء هذه الحياة و كل حياة أخرى، و لكن أن يُقال لنا هذا أو الإيمان بهذا ليس بالأمر الكافي؛ من الضروري المجاهدة لإدراك هذا الأمر. بالمثل، أن تم سؤاله حول الله فكان يجيب: "لماذا تريد أن تعرف عن الله قبل أن تعرف عن نفسك؟ بدايةً اعرف من أنت."

الطريقة للقيام بهذا سيرد شرحها في أحد المقاطع التالية، و لكن بما أن المقطع التالي يسرد تعاليم شري بهاغافان لمريديه، تمت الاشارة إليها و إلى تعاليمه هنا.

أن تعاليمه لم تكن "فلسفة" في المعنى العادي للعبارة من الممكن رؤيته من خلال الواقع (كما سوف نرى في إجاباته على شيفابراكاسام بيلاي في المقطع التالي) أنه لم يعلم مريديه التفكير بحل للمشاكل بل بالقضاء على الفكر. هذا قد يبدو و كأن العملية فيها نوع من الإستغباء، و لكن، كما شرح هو لبول برانتون في الحديث الذي تم اقتباسه في المقطع رقم ٢ من الكتاب، العكس هو الصحيح. المرء متطابق مع الذات المقدسة، التي هي كينونة صافية، وعي صافي، نعيم صافي، و لكن العقل يخلق وهم فردية منفصلة. في النوم العميق العقل يسكن و المرء يكون واحداً مع الذات الحقيقية، و لكن بطريقة غير واعية. في السامادهي هو واحداً مع الذات الحقيقية بطريقة واعية تماماً، ليس في الظلمة و لكن في النور.

إن تم إسكان تدخل العقل، يصبح الوعي للذات الحقيقية من ممكناً من خلال بركة الغورو أن يستيقظ في القلب، مما يحضر لهذه الهوية النعيمية، لحالة ليست سبات أو جهل و لكن مشعة. المعرفة، الخالية من الأنانية.

الكثيرون قد يتراجعون عن فكرة تدمير العقل أو (ما يصل إلى الأمر نفسه) الشخصية المنفردة و يجدونه مرعباً، و لكن بالرغم من هذا فإن الأمر يحصل يومياً لنا خلال النوم العميق و بعيداً عن خوفنا من الذهاب للنوم، نجد الأمر ممتعاً و مريحاً، بالرغم من أن العقل في النوم يسكن بطريقة جاهلة.

في البهجة أو النشوة، من ناحيةٍ أخرى، العقل ينغمس مؤقتاً و يسكن بطريقة مجزأة مختبراً للنعيم الذي هو طبيعته الحقيقية. الكلمات بحد ذاتها تدل على تجاوز الفردية، بما أن "البهجة" تعني اشتقاقياً الاتخاذ بعيداً و "النشوة" الوقوف خارج ذاتنا. التعبير أن الامر "يخطف الانفاس" يعني حقيقة "يخطف الافكار،" لأن مصدر الفكر و الأنفاس هو ذاته، كما شرح شري بهاغافان عندما كان يتحدث عن التحكم بعملية التنفس. الحقيقة هي أن الفردية لا تضيع و لكن تتوسع نحو الأزل.

غاية القضاء على الأفكار هي التركيز على الوعي الأعمق الذي هو فيما وراء و ما بعد الفكر. بعيداً عن إضعاف العقل، الأمر يقويه، لأنه يعلمه التركيز. شري بهاغافان غالباً ما أكد هذا. العقل الضعيف و غير المسيطر عليه الذي هو غالباً ملتهي بالأفكار غير المهمة و مضطرب بسبب الأمور المقلقة غير المساعدة؛ العقل الذي هو قوي بما فيه الكفاية للتركيز، على مهما يكن، من الممكن له أن يدير انتباهه نحو القضاء على الافكار في سبيل البحث عن الذات الحقيقية، و على العكس، الجهد للقضاء على الافكار في الطريقة التي تم وصفها تعطي القوة و القدرة على التركيز. عندما يتم تحقيق البحث لا تضيع قدرات العقل: شري بهاغافان عرض هذا من خلال مقارنة عقل الجناني بالعقل في السماء خلال وسط النهار – هو مستنير و لكن نوره غير ضروري في ضوء الشعاع الأعظم للشمس التي تنيره.

بعض المريدين الأوائل لشري رامانا

بالرغم من أن التعاليم التي كان شري رامانا يلقنها لم تتغير أبداً، الّا أنّ طريقة التعليم كانت تختلف بناءً على شخصية و قدرة استيعاب طارح السؤال. خلال السنوات على الجبل، تم الاحتفاظ ببعض التدوينات التي تتعلق باختبارات بعض المريدين و الشرح الذي حصلوا عليه، و بعض هؤلاء تم ذكره لاحقاً. بالفعل، من الممكن القول أن اختبارات المريدين تشكل سيرة حياة شري بهاغافان، بما أنه هو بنفسه كان مثبتاً في اللا متغير فيما يتعدى الأحداث و الاختبارات.

١. شيفابراكاسام بيللاي

٢. ناتيسا موداليار

٣. غاناباتي شاستري (غاناباتي موني)

٤. ف. ه. هامفريز

٥. راجافاشاريار

٦. مريد مجهول الهوية

١. شيفابراكاسام بيللاي

شيفابراكاسام بيللاي كان أحد المثقفين. درس الفلسفة في الجامعة و فكر ملياً بأسرار الوجود.

عام ١٩٠٠ تم تعيينه في منصب داخل قسم الواردات في جنوب مقاطعة آركوت. بعد سنتين أخذه عمله إلى تيروفانامالاي و سمع عن السوامي الشاب على الجبل. صار مأخوذاً من الزيارة الأولى و أصبح أحد المريدين. وضع أربعة عشرة سؤالاً و بما أن السوامي كان لا يزال محتفظاً بصمته، كلٍ من الأسئلة و الأجوبة تمّت بالكتابة. الجواب على السؤال الأول تم كتابته من قبل السوامي على صفيحة فنسخه شيفابراكاسام بيللاي مباشرةً. الثلاثة عشرة الآخرين تمت كتابتها لاحقاً بناءً على الذاكرة و لكن راجعها شري بهاغافان قبل أن يتم نشرها.

شيفابراكاسام بيللاي: سوامي، من أكون أنا؟ و كيف من الممكن الحصول على الخلاص؟

بهاغافان: من خلال الاستفسار المستمر "من أكون أنا؟" سوف تعرف نفسك و هكذا تحصل على الخلاص.

شيفابراكاسام بيللاي: من أكون أنا؟

بهاغافان: الأنا الحقيقية ليست الجسد، و لا أي من الحواس الخمسة، و لا الأغراض المحسوسة، و ليست أعضاء الحركة، و لا حتى البرانا (النفس أو الطاقة الحيوية)، و لا العقل، و لا حتى حالة النوم العميق حيث ليس هنالك من ادراك لأي من هؤلاء.

شيفابراكاسام بيللاي: إن لم أكن أي من هؤلاء فمن أكون؟

بهاغافان: بعد رفض كل من هؤلاء و القول "هذا أنا لست هو"، ذلك الذي يبقى لوحده هو "الأنا"، و هذا هو الوعي.

شيفابراكاسام بيللاي: ما هي طبيعة الوعي؟

بهاغافان: إنها سات شيت آناندا (صفاء-وعي-غبطة) حيث ليس هنالك ولا أي أثر حتى لفكرة الأنا المغرورة. هذا يدعى أيضاً مّونا (الصمت) أو آتما (الذات المقدسة). هذا هو الشيء الوحيد الموجود. إن كانت ثلاثية العالم، الأنا المغرورة والله موجودين ككيانات منفصلة عن بعضها البعض فهي مجرد وهم مثل ظهور الفضة في اللؤلؤة الأم. الله، الأنا المغرورة و العالم هم حقيقة شيفا سواروبا (شكل شيفا) أو آتما سواروبا (شكل الروح المقدس).

شيفابراكاسام بيللاي: كيف لنا نحن أن ندرك ذلك الحقيقي؟

بهاغافان: عندما تختفي الأشياء التي نراها تظهر الطبيعة الحقيقية للذي يرى.

شيفابراكاسام بيللاي: أليس ممكناً إدراك هذا و نحن لا نزال نرى الأشياء الخارجية؟

بهاغافان: كلا، لأن الذي يرى و المرئي هم كالحبل الذي يتوهم المرء أنه يراه على شكل أفعى. لحين ما تتخلص من شكل الأفعى ليس بإمكانك رؤية أن ما هو موجود هو فقط الحبل.

شيفابراكاسام بيللاي: متى سوف تختفي الأشياء الخارجية؟

بهاغافان: إذا العقل، الذي هو سبب كل الأفكار و النشاطات، اختفى، الأغراض الخارجية سوف تختفي هي أيضاً.

شيفابراكاسام بيللاي: ما هي الطبيعة الحقيقية للعقل؟

بهاغافان: العقل هو مجرد أفكار. هو نوع من الطاقة. تظهر نفسها على أنها العالم. عندما يغرق العقل في الذات الحقيقية عندها يتم إدراك الذات؛ عندما ينطلق العقل إلى الأمام يظهر العالم و لا تدرك الذات الحقيقية.

شيفابراكاسام بيللاي: كيف سوف يختفي العقل؟

بهاغافان: فقط من خلال الاستفسار "من أنا؟" بالرغم من أن عملية الاستفسار هذه هي عملية فكرية أيضاً، هي تدمر كل العمليات الفكرية، بما فيها هي نفسها، تماماً كما الخشبة التي يتم تحريك محرقة الجثث فيها هي نفسها تتحول إلى رماد بعد احتراق النار و الجثث. فقط عندها تأتي معرفة الذات الحقيقية. فكرة الأنا المغرورة تتدمر، النفّس و إشارات الحياة الأخرى تهدأ. للأنا المغرورة و البرانا (النفّس و قوة الحياة) مصدر مشترك. مهما تفعل، افعله من دون الأنا المغرورة، أي من دون الشعور "أنا أفعل هذا". عندما يصل المرء إلى تلك الحالة حتى زوجته سوف تبدو بالنسبة له على أنها الأم الكونية. البهاكتي الحقيقية (التعبد) هي استسلام الأنا المغرورة للذات المقدسة.

شيفابراكاسام بيللاي: أليس هنالك من طرق أخرى لتدمير العقل؟

بهاغافان: ليس هنالك من طريقة مناسبة أخرى باستثناء استفسار الذات. إن تم تسكين العقل من خلال وسائل أخرى سيبقى هادئاً لبعض الوقت و ثم ينهض مجدداً و يتابع نشاطاته السابقة.

شيفابراكاسام بيللاي: و لكن متى كل الغرائز و الميول (الفاسانا)، مثل المحافظة على الذات، تصير مهزومة في داخلنا؟

بهاغافان: كلما انسحبت أكثر تجاه الذات الحقيقية، كلما تلاشت تلك الميول، و أخيراً تسقط.

شيفابراكاسام بيللاي: هل من الممكن حقيقةً إزالة كل تلك الميول التي صارت مغروسة في عقولنا خلال العديد من الولادات؟

بهاغافان: لا تترك أبداً مكاناً في عقلك لهذه الشكوك، و لكن أغطس في الذات الحقيقية من خلال إرادة ثابتة. إن تم توجيه العقل بشكل مستمر نحو الذات الحقيقية سوف يتلاشى عاجلاً أم آجلاً و يتحول الى الذات المقدسة. عندما تشعر بأي شك لا تحاول توضيحه بل حاول معرفة ما طبيعته و لمن الشك يصعد.

شيفابراكاسام بيللاي: إلى متى يجب على المرء الاستمرار بهذا الاستفسار؟

بهاغافان: طالما هنالك أثر للميول في عقلك لإنتاج الأفكار. طالما يحتل العدو القلعة. إن قمت بقتل كل واحد منهم و هو يصعد، القلعة سوف تسقط أمامك في النهاية. بالمثل، كلما أطلت فكرة برأسها إسحقها بهذا الاستفسار. تدمير كل الأفكار في موقعها يدعى فايراجيا (الهدوء المتجرد). فإذاً الفيشارا (استفسار الذات) يستمر في كونه ضرورياً لحين ما يتم ادراك الذات الحقيقية. الأمر المطلوب هو التذكر المستمر وغير المنقطع للذات المقدسة.

شيفابراكاسام بيللاي: أليس هذا العالم و ما يحصل في داخله هو نتيجة إرادة الله؟ و إن كان الامر هكذا فلما يريد الله ذلك؟

بهاغافان: ليس لله غاية. هو غير مقيد بأي فعل. نشاطات العالم لا يمكن أن تؤثر به. خذ مثلاً الشمس. هي تصعد من دون أي رغبة، هدف أو غاية، و لكن حالما تصعد تحدث الكثير من النشاطات على الارض: العدسات التي توضع في ظل أشعتها تنتج النار، براعم زهرة اللوتس تتفتح، الماء يتبخر، و كل مخلوق حي يدخل في مرحلة النشاط، يحتفظ بها، و أخيراً يسقطها. و لكن الشمس لا تتأثر بأي من تلك النشاطات، كونها تتصرف بكل بساطة طبقاً لطبيعتها، من خلال قوانين ثابتة، من دون أي غاية، و هي فقط شاهد. هكذا الحال مع الله. أو خذ مثل الفضاء أو الأثير. الأرض، الماء، النار و الهواء هي كلها في داخله و لديها تعديلاتها الخاصة، و لكن بالرغم من هذا ولا أي منها يؤثر بالفضاء أو الأثير. الأمر ذاته مع الله. ليس لله أي رغبة أو هدف في فعله بالخلق، المحافظة أو التدمير. الانسحاب أو الخلاص الذي تتعرّض له المخلوقات. بما أن الكائن يحصد ثمار أعماله استناداً لقوانينه، المسؤولية هي له، ليس الله. الله غير مقيد بأي فعل.

مقولة شري بهاغافان أن الطبيعة الحقيقية لذلك الذي يرى تظهر عندما تختفي الأشياء المنظورة لا يجب أخذها حرفياً كشرط عدم الوعي للعالم المادي. هذه تكون حالة من الاتخاذ من دون شكل أو النيرفيكالبا سامادهي؛ المعنى المقصود هو أنهم يتوقفون عن الظهور على أنهم حقيقيين و تتم رؤيتهم على أنهم اشكال مجردة متخذة من قبل الذات الحقيقية. هذا الأمر تم توضيحه من خلال مثل الحبل و الأفعى. هو مثل تقليدي، تم استعماله ايضاً من قبل شري شانكارا. المرء يرى حبل ملتف على ذاته عند الغسق و يخطئ في اعتقاده أفعى فيخاف. عندما يحل النهار يرى أنه كان مجرد حبل و أن خوفه كان من دون أي أساس. حقيقة الكينونة هي الحبل، وهم الأفعى الذي أخافه هو العالم الموضوعي.

المقولة حول تحطيم أو محو الافكار حسب مصدرهم أي الفايراجيا تتطلب ايضاً بعض التوضيح.

معنى الفايراجيا هو التجرد، عدم التعلق، النظر بمساواة إلى كل شيء. السؤال الذي طرحه شيفابراكاسام بيللاي حول الغرائز و الميول الكامنة في المرء و إن كان من الممكن قهرها يُظهر أن الفايراجيا هي ما كان يحتاج إلى السعي من أجله. شري بهاغافان، كان يقول له بالواقع، أن استفسار الذات هو أقصر طريق نحو

الفايراجيا. الشغف و التعلق هم في العقل؛ لهذا السبب عندما يتم التحكم بالعقل يتم قهرها، و هذه هي الفايراجيا.

هذه الأسئلة تم لاحقاً تنظيمها و توسيعها في كتاب يدعى "من أكون أنا؟" و ربما هو أكثر ما نال تقديراً من أطروحات شري بهاغافان.

في العام ١٩١٠ كان شيفابراكاسام بيللاي قد وجد بالفعل أن العمل الحكومي مقلق و عائق للسادهانا و البحث الروحي. كان مكتفياً مادياً لكي يعيش حياة رب منزل من دون الحاجة للعمل من أجل كسب الرزق، فاستقال من عمله. و بعد ثلاثة سنوات، واجه القرار الحقيقي، حول إن كان قراره بالاستقالة هو انسحاب من الحياة في العالم المادي أو إن كان مجرد تخلي عن ما هو مقلق و المحافظة على ما هو مريح. توفيت زوجته و كان عليه القرار ان كان سوف يتزوج من جديد او اعتناق حياة السادهو. كان لا يزال بالكاد في منتصف العمر و كانت هنالك فتاة منجذباً إليها بقوة. و لكن موضوع المال جعله يتساءل مجدداً إن كان سوف يتزوج و يؤسس منزل عائلي جديد.

تردد في البداية من طرح السؤال أمام شري بهاغافان حول هكذا مسائل، ربما مدركاً في قلبه ماذا سيكون الجواب؛ لذا حاول الحصول على سؤال بطريقة أخرى. قام بتدوين أربعة أسئلة على قطعة ورق.

. ماذا علي أن أفعل للهروب من الأحزان و الهموم على الأرض؟

. هل علي التزوج من الفتاة التي أفكر فيها؟

. إن كان الجواب بالنفي، فلما لا؟

. إن كان الجواب نعم ، فكيف سيتم تأمين المال اللازم لتحقيق هذا الامر؟

مع هذه الأسئلة تقدم نحو معبد فيغنيشورا، شكر الله الذي تم تربيته على عبادته منذ الولادة. وضع قطعة الورق أمام التمثال و بقي مستيقظاً طوال الليل، مصلياً لكي يظهر الجواب على قطعة الورق و أن ينال رؤية أو إشارة.

لم حصل شيء و لم يعد أمامه الآن غير خيار الاقتراب من السوامي. ذهب إلى كهف فيروباكشا و هو مترددٌ من طرح الأسئلة. يوم بعد يوم راح يؤجل القيام بذلك. بالرغم من أن شري بهاغافان لم يشجع أحد على ترك الحياة المنزلية، و لكن هذا لم يعني أنه سوف يشجع أحد قد جعله قدره هو بنفسه حراً للذهاب و الحصول على جرعة ثانية. شعر شيفابراكاسام تدريجياً الجواب ينمو في داخله من خلال مشاهدته للحياة الصافية التي يقودها السوامي، غير مبالٍ على الإطلاق بالنساء، و لا بالمال. أتى يوم موعد رحيله من دون طرحه للأسئلة. كان الكثير من الناس في ذلك اليوم، فلو قرّر طرح اسئلته فسيطرحها كان أمام عامة الناس. جلس محدقاً في السوامي، و خلال تحديقه شاهد نور براق حول رأسه و طفل ذهبي صعد من رأسه و ثم عاد و دخل. هل كان الأمر جواباً حياً على أن الذرة ليست من اللحم بل من الروح؟ فيضان من النشوة قد غمره. وتحطّم الشك و التردد الذي كان يعيشه و تنفس الصعداء براحة تامة.

الأمر هو تمثيل للحالة الطبيعية بشكل كبير التي كانت طاغية حول شري بهاغافان لدرجة أنه عندما أخبر شيفابراكاسام بيللاي المريدين الآخرين ما حصل له؛ قام بعضهم بالضحك عليه أو شككوا بحاله و ظنوا أنه

كان قد أخذ نوعاً ما من المخدر. بالرغم من أن العديد من الرؤى و الأحداث الغريبة قد حصلت، لقد انتشرت بشكل خفيف خلال الخمسون سنة التي كان موجوداً فيها فيما بيننا.

مغموراً بالفرح، تخلى شيفابراكاسام بيللاي عن كل فكرة لديه حول المغادرة في ذلك اليوم. المساء التالي، خلال جلوسه أمام شري بهاغافان، حصل على رؤى جديدة أيضاً. هذه المرة أشع جسد شري بهاغافان كشمس الصباح و حواليه ظهرت هالة من الاقمار الممتلئة الكاملة. و رأى من بعدها الجسد كله مغطى بالرماد المقدس و العينان تشعان بالرحمة. و بعدها بيومين حصل على رؤى جديدة، و هذه المرة رأى فيها و كأن جسد شري بهاغافان مكون من الكريستال الصافي. كان مغموراً و خاف من المغادرة لعل الفرح الذي قد تدفق في قلبه من الممكن أن يتوقف. بالنهاية عاد الى قريته، و السؤال الذي لم يطرحه تمت الإجابة عليه. و امضى بقية حياته متنسكاً و متبتلاً. وصف كل تلك الاختبارات في بيت شعر تاميلي. كتب أيضاً بيوت شعر أخرى تقديراً لشري بهاغافان، البعض منها لا زال يتردد على ألسنة المريدين.

٢ . ناتيسا موداليار

لم يتفهم كافة القادمون الأوباديسا الصامتة (التعليمات) الخاصة بشري بهاغافان. ناديسا موداليار يفهم ذلك في النهاية و لكن قد تطلب الامر منها وقتاً طويلاً.

كان معلم مدرسة ابتدائية عندما قرأ فيفيكاناندا و أصبح ممتلئاً بنار الشوق لترك العالم و ايجاد معلم روحي. أخبره أصدقائه عن السوامي الموجود على جبل آروناتشالا و لكنهم أضافوا أن الأمل مفقوداً للحصول على أي تعاليم شفهية منه. و لكن بالرغم من هذا، قرر موداليار المحاولة.

عام ١٩١٨ كان شري بهاغافان بالفعل في سكانداشرام. ذهب موداليار إلى هناك و جلس أمامه، و لكن شري بهاغافان حافظ على صمته و موداليار، ظناً منه أنه لا يجب أن يتكلم أولاً، ورحل خائب الامل.

بعد فشله في هذه المحاولة، قام بالترحال هنا و هناك لرؤية معلمين آخرين و لكنه لم يكتشف احد قد وجد فيه الحضور المقدس والذي من الممكن أن يستسلم له. بعد سنتين من البحث غير المثمر قام بكتابة رسالة الى شري بهاغافان مترجياً إياه أن لا يكون غير مبالٍ بشكل أناني أمام مصير الأرواح التائقة و طلب منه الاذن في العودة من جديد، بما أن رحلته الاولى كانت غير فعالة. مرّ شهر دون جواب. و ثم ارسل رسالة، طلب فيها التأكيد على وصولها، و هذه المرة كتب: "مهما كان عدد الولادات التي يجب علي أن أمر بها، أنا مصمم على الحصول على الأوباديسا منك و منك أنت وحدك. لذا عليك أن تولد من جديد لهذا السبب ان تخليت عني في هذه الحياة على أنني غير ناضج أو غير مستعد للحصول على الأوباديسا الخاصة بك. أقسم على هذا."

بضعة أيام لاحقة ظهر له شري بهاغافان في الحلم و قال له: "لا تفكر بشكل مستمر بي. عليك أولاً أن تنال بركة الإله ماهيشوارا، إله الثور. أولاً تأمل عليه و أمن بركته. مساعدتي سوف تتبع لإكمال هذا المسار."كان لديه صورة للإله ماهيشوارا و هو راكب على الثور واتخذها كدعم له من أجل التأمل. بعد بضعة أيام حصل على جواب لرسالته، "الماهارشي لا يجيب على الرسائل، بإمكانك القدوم الى هنا و رؤيته شخصياً."

قام بالكتابة مرة جديدة للتأكد من أن الرسالة كانت قد كتبت بناءً على مشيئة شري بهاغافان وانطلق من بعدها إلى تيروفانامالاي. متبعاً للمسار في منامه، ذهب أولاً إلى المعبد الكبير في البلدة، حيث حصل على دارشان (استمتع بالحضرة) الرب آروناتشالاشوار و امضى الليلة. شخص من البراهمان التقى به هناك حاول ثنيه عن غايته. "الآن، اسمع، لقد امضيت ستة عشرة سنة بالقرب من رامانا ماهارشي محاولاً من دون جدوى الحصول على الآنوغراهام خاصته (بركته). هو غير مبالٍ بكل شيء. حتى لو حطمت رأسك هناك، لن يكون مهتماً بالسؤال لما حصل هذا. بما أنه من المستحيل الحصول على بركته فليس هنالك أي فائدة من زيارتك له."

هذا تمثيل مذهل للفهم الذي كان يريده شري بهاغافان لمريديه. لهؤلاء ذوي القلوب المفتوحة الذين يجدوه معزياً لهم أكثر من الأم و البعض قد يرتجف بسبب الهيبة، من يحكم بناءً على الإشارات الخارجية لا يجد شيئاً.

لم يكن ناتيسا موداليار من نوع الرجال الذين قد تثبط عزيمتهم. بما أنه قد أصر على الذهاب، قال له البراهمان الثاني: "على أية حال، بإمكانك أن تكتشف من خلال هذه الطريقة ان كان بإمكانك الحصول على

بركته. على التلة هنالك سوامي يدعى سيشادري و لا يختلط مع أحد و عادةً ما يطرد من يقترب منه. إن كان بإمكانك الحصول على علامة قبول منه فهذا الامر سيكون بشارة جيدة للنجاح."

في الصباح التالي انطلق موداليار مع سوبرامانيا آيير، أحد زملائه في المصلة، بحثاً عن سيشادري سوامي. و بعد الكثير من البحث وجدوه، و لذهول موداليار و طمأنينته، هو بنفسه اقترب منه.

دون الحاجة لإخباره بحاجتهم، توجه إلى موداليار بالقول: "يا ابن المسكين! لماذا انت قلق و حزين؟ ما هي الجنانا (المعرفة)؟ بعد رفض العقل للأغراض، واحدة بعد التالية، على أنها مؤقتة و غير حقيقية، ذاك الذي يستمر في البقاء بعد هذا المحو هو الجنانا. هذا هو الله. كل شيء هو هذا و هذا وحده. من الجنون الذهاب الى هنا أو هناك ظناً أنه من الممكن الحصول على الجنانا على تلة أو في كهف. اذهب من دون أي خوف."

هكذا لم يقم بإعطاء الأوباديسا (التعليم) خاصته بل تلك التابعة لشري بهاغافان، في الكلمات ذاتها التي كان شري بهاغافان من الممكن أن يستعملها.

بعدما تم تحفيزهم بسبب هذه البشرى السارة، استمروا على طول الجبل نحو سكانداشرام. كان الوقت عند الظهيرة عندما وصلوا. جلسوا أمام شري بهاغافان لخسمة أو ستة ساعات و لم تذكر أي كلمة فيما بينهم؛ عندها أتت وجبة المساء و نهض شري بهاغافان ليرحل. فقال له آيير، "هذا هو الرجل الذي كتب تلك الرسائل." نظر شري بهاغافان عندها بشكل مركز عليه و بعدها استدار و رحل، من دون أن يقول أي كلمة.

شهر بعد شهر كان موداليار يعود ليوم و يجلس هناك، مترجياً في داخله من دون أن يتكلم، و لكن شري بهاغافان لم يتحدث إليه، و لم يخطر في باله هو التكلم أولاً. بعد مرور سنة كاملة على هذا الحال لم يعد قادر على الاحتمال اكثر و أخيراً قال، "أتمنى أن اتعلم و اختبر ما هي بركتك، بما أن الناس تختلف بأحاديثها عنها."

أجاب شري بهاغافان: "أنا دائماً أعطي بركتي. أن لم تستطع أنت استيعابها فماذا بإمكاني أن أفعل؟"

حتى الآن لم يفهم موداليار الأوباديسا الصامتة (التعليم)؛ كان لا يزال محتاراً في شأن الدرب الذي عليه أن يتبعه. بعد ذلك بقليل ظهر أمامه شري بهاغافان في الحلم و قال: "دع نظرك يكون موحداً و منسحباً من الأغراض، الخارجية و الداخلية. هكذا، مع اختفاء الاختلافات سوف تتقدم." فهم موداليار هذا على أنه إشارة لنظره الجسدي و أجاب: "هذا لا يبدو بالنسبة لي على أنه الطريق الصحيح. ان كان شخص متفوق جداً مثلك أنت يعطيني هكذا نصيحة فمن سيعطيني نصيحة حقيقية؟" و لكن، شري بهاغافان أكد له أنها الطريق الصحيح.

التطور التالي قام موداليار هو نفسه بوصفه: "اتبعت أوباديسا الحلم هذه لفترة، و بعدها حصلت على حلم ثاني. هذه المرة ظهر أمامي شري بهاغافان و والدي واقفاً بالقرب منا و سأل، و هو مشيراً إلى والدي، "من يكون هذا؟" مع بعض التردد حول الدقة الفلسفية للجواب قمت بالرد، "والدي". ابتسم الماهارشي لي بشكل ظاهر و أضفت، "جوابي هو متناسب مع التعبير العام و ليس مع الفلسفة"، لأنني تذكرت أنني لست الجسد. جذبني الماهارشي إليه و ووضع راحة يده على رأسه و بعد على الجهة اليمين من صدري، ضاغطاً بأصبعه على الحلمة. كان الامر مؤلماً، و لكن بما أن الأمر كان بركته احتملته بصمت. لم أعرف عندها لماذا لمس الجهة اليمنى من الصدر بدل اليسرى.

هكذا، بعد الفشل بالحصول على التلقين الصامت، بالرغم من أن الأمر كان في المنام فلقد حصل عليه من خلال اللمس.

كان من احد هؤلاء الذين جعلهم حماسهم و رغبتهم في القيام بكل جهد للتخلي عن الحياة المنزلية و تناول حياة المتجول الذي لا يحمل أي مال. كما في الحالات الأخرى، كان شري بهاغافان لا يشجع على القيام بهذا. "تماماً كما تتجنبون هموم الحياة المنزلية عندما تكونون هنا، اذهبوا إلى المنزل و حاولوا أيضاً أن لا تكونوا متأثرين أو مهتمين كما أنتم هنا. "كان موداليار لا يزال ينقصه التوكل الكامل و القناعة الكاملة التي لدى المريد تجاه معلمه و قام بالتنسك بالرغم من نصيحة شري بهاغافان الواضحة. لقد وجد، كما توقع شري بهاغافان، أن الصعوبات على دربه كبرت أكثر، و ليس أقل، و بعد بضعة سنوات عاد الى عائلته و وعمله من جديد. بعد القيام بهذا تعمّق ايمانه. قام بتأليف أشعار باللغة التاميلية للتمجيد بشري بهاغافان. و بالنهاية حصل بشكل كامل اكثر من البقية، على التعاليم الحرفية التي كان يتوق اليها، لأنه هو من نال القسم الاكبر من "مكرس التعليمات" الذي تم وضعه بشكل جميل حول عقيدة المعلم و بركته.

٣ . غاناباتي شاستري (غاناباتي موني)

بكل ما للكلمة من معنى كان غاناباتي شاستري متميزاً ما بين المريدين، و كان يعرف أيضاً بغاناباتي مّوني (الملقب "بالحكيم غاناباتي") و ممنوح اللقب الشرفي كافياكانتا (الفرد الذي يملك الشعر في حنجرته أي شاعر مرتجل) بسبب خبرته في النقاشات حول الآيات السنسكريتية. كان رجل ذو قدرات فائقة كانت لتضعه في مقدمة الكتاب و الفقهاء الحديثين لو كان لديه الطموح و لكان أصبح معلماً روحياً عظيماً لو لم يكن ناقص الطموح لديه بشكل مطلق، و لكنه كان في ما بين الاثنين. مستديراً بكثرة نحو الله من أجل السعي وراء النجاح و الشهرة، و لكنه كان بالرغم من هذا متحمس جداً لمساعدة و رفع الإنسانية من أجل الهروب من وهم أنا الفاعل.

عند ولادته عام ١٨٧٨ (سنة واحدة قبل ولادة شري بهاغافان) كان والده في بيناريس أمام صورة للإله غاناباتي و أبصر رؤية لولد يركض باتجاهه قادماً من الإله؛ لهذا سمى ولده غاناباتي. للسنوات الخمسة الأولى من حياته كان غاناباتي بسيط في عقله و عرضة لنوبات الصرع و بدا عليه كل شيء الا فتى ذو مستقبل واعد. ثم من بعدها شُفي، من خلال وشمه بالحديد الحامي، و بدأ على الفور بإظهار قدرات متميزة. عندما صار في العاشرة من عمره كتب آية سنسكريتية و حضر آلماناك أسترولوجي بالإضافة إلى تمكنه من عدة كافياس (أعمال سنسكريتية) و قواعد.

عند الرابعة عشر كان قد تمكن من البانشاكافياس و الكتاب الأهم في علم العروض السنسكريتية و الشعر، قرأ الرامايانا و الماهابهاراتا و بعض البورانا. كان قادراً على قراءة و كتابة السنسكريتية بطلاقة. كما شري بهاغافان، كانت لديه ذاكرة ممتازة. مهما قرأ أو سمع، كان يتذكره، مجدداً كشري بهاغافان، كان لديه موهبة الأشتايادهانا أي إعطاء الانتباه لعدة أشياء في الوقت ذاته.

قصص الريشيين القدامى كانت تشعله رغبةً في التقليد و من عمر الثمانية عشر، بعد وقت قصير من زواجه، بدأ في الترحال في أنحاء الهند، لزيارة الأماكن المقدسة، ترديد المانترات (الجمل المقدسة) و أداء التاباس (الزهد).

عام ١٩٩٠ حضر في اجتماع لباناديت سنسكريتين في ناديا بنغال، قدرته الفائقة في الشرح الإرتجالي و نقاشاته الفلسفية العبقرية أكسباه لقب كافياكانتا الذي تم الإشارة اليه عند بداية النص. في العام ١٩٠٣ وصل إلى تيروفانامالاي و زار مرتين البراهمانا سوامي على الجبل. لفترة اتخذ العمل كمعلم مدرسة في فيللور، رحلة بضعة ساعات في القطار من تيروفانامالاي، و هناك قام بتجميع مجموعة من المريدين من حوله كان عليهم تطوير الشاكتي خاصتهم (الطاقة أو القوة) من خلال استعمال المانترات لدرجة أن التأثير اللطيف سوف يتمكن من الاختراق لكي ترتفع الأمة بأكملها، و البشرية كلها حتى.

لم تتمكن حياة المعلم من تثبيته لوقت طويل. عام ١٩٠٧ كان مجدداً في تيروفانامالاي. و لكن الآن صارت الشكوك تراوده. كان يقترب من منتصف العمر و بالرغم من كل عبقريته و ثقافته الواسعة و كل المانترات خاصته و التاباس لم يحصل على النجاح لا مع الله و لا مع العالم. شعر أنه قد وصل الى نهاية مسدودة. في اليوم التاسع لمهرجان كارتيكاي تذكر فجأة السوامي على الجبل. أكيد يجب أن يكون لديه الجواب. في اللحظة التي صعد فيها الدافع تصرف بناءً عليه. في ظل حرارة الشمس خلال فترة بعد الظهر تسلق الجبل نحو كهف فيروباكشا. كان السوامي جالساً لوحده على شرفة الكهف. سقط شاستري على وجهه أمامه ووضع راحة يديه سوية و مددهم. و بصوت مرتجفاً عاطفة، قال: "كل ذلك الذي يجب أن يقرأ قد قرأته؛ حتى الفيدانتا شاسترا قد

فهمتها بالكامل؛ لقد قمت بأداء الجابا (الدعاء) لرغبة قلبي بالكامل؛ و بالرغم من هذا لحد الآن لم افهم ما معنى التاباس. لهذا السبب قررت البحث عن الملجأ عند قدميك. رجاء نورني حول طبيعة التاباس."

استدار السوامي بنظرته الصامتة إليه و حدق فيه لخمسة عشرة دقيقة و ثم أجاب: "إن راقب المرء من أين تصعد فكرة "الأنا"، العقل ينغمس في ذاك؛ هذا هو التاباس. عندما يتمكن ترديد المانترا، إن راقب المرء المصدر الذي يتم اصدار صوت المانترا منه العقل ينغمس في ذاك؛ هذه هي التاباس."

لم تكن الكلمات هي ما ملأه بالفرح بقدر ما كانت البركة التي تشع من السوامي.

مع الحيوية الغزيرة التي كان يضعها في كل شيء، راح يكتب للأصدقاء حول الأوباديسا التي كان قد تلقاها و بدأ بتأليف قصائد التقدير للسوامي باللغة السنسكريتية. عرف من بالانيسوامي أن اسم السوامي هو فينكاتارامان و أعلن أنه من الآن و صاعداً يجب أن تعرفه الناس على أنه بهاغافان شري رامانا و الماهارشي. دخل الاسم رامانا مباشرةً في الاستعمال؛ كذلك الأمر اللقب ماهارشي (ماها-ريشي، الريشي العظيم). و صار من المعتاد الإشارة إليه في الحديث و كتابةً على أنه "الماهارشي". و لكن، الممارسة التي طغت تدريجياً ما بين المريدين كانت في مناداته بموقع الشخص الثالث ك "بهاغافان"، ما معناه "المقدس" أو بكل بساطة "الله". هو بنفسه كان عادة يتحدث بطريقة مجردة من الشخصية، متجنباً استعمال كلمة "أنا". على سبيل المثال، لم يكن يقول عادةً، "أنا لم أكن أعرف متى كانت الشمس تشرق أو متى كانت تغيب،" كما قال في المقطع رقم ٥، و لكن "من يعلم متى تصعد الشمس أو متى تغيب؟" في بعض الأوقات كان يدل أيضاً على جسده على أنه "هذا". فقط من خلال قول جملة حيث من المناسب استعمال اسم الله كان يقول "بهاغافان" و يتحدث في الشخص الثالث. على سبيل المثال، عندما كانت ابنتي عائدة من المدرسة و طلبت منه أن يتذكرها عندما كانت بعيدة، الجواب كان، "أن تذكرت كيتي بهاغافان، بهاغافان سوف يتذكر كيتي."

كان غاناباتي شاستري يحب أيضاً الإشارة إلى بهاغافان على أنه الظهور المادي للإله سوبراهمانيا؛ و لكن في هذا رفض المريدين اتباعه، ظناً منهم أن حد شري بهاغافان في منحى معين كان محاولة للحد من ما هو غير محدود. كذلك الأمر لم يؤيد شري بهاغافان هذا التعارف. سأله أحد الزوار مرة، "إن كان بهاغافان أفاتار (تجسداً إلهياً) لسوبراهمانيا، كما يقول بعض الناس، لماذا لا يقول لنا علانية بدل ترك الناس يتحذرون؟"

و أجاب، "ما هو الأفاتار؟ الأفاتار هو الظهور المادي لمنحى واحد محدد من الله، في حين أن الجناني هو الله نفسه."

بعد مرور سنة على لقائه بشري بهاغافان، اختبر غاناباتي شاستري فيض مميز من البركة. خلال جلوسه متأملاً في معبد غاناباتي في تيروفوثيور شعر بالتشتت و تاق بقوة لحضور و إرشاد شري بهاغافان. عند تلك اللحظة دخل شري بهاغافان إلى المعبد. انحنى غاناباتي شاستري أمامه و في اللحظة التي كان فيها على وشك النهوض، شعر بيد شري بهاغافان على رأسه و قوة حيوية رهيبة راحت تسري في جسده بسبب اللمسة، هكذا حصل أيضاً على البركة من خلال لمسة المعلم.

خلال الحديث حول هذه الحادثة بضعة سنوات لاحقة، قال شري بهاغافان: "في أحد الأيام، منذ بضعة السنوات كنت مستلقياً و مستيقظاً عندما شعرت بشكل واضح أن جسدي يرتفع أكثر فأكثر. كنت قادراً على رؤية الأشياء بالأسفل مني و هي تصغر أكثر فأكثر لحين ما اختفت و في كافة الانحاء حوالي كان هنالك نور مبهر من دون حدود. بعد بعض الوقت شعرت بالجسد و هو ينزل ببطء و الاشياء المادية تحتي بدأت بالظهور. كنت يقظاً جداً لهذه الحادثة لدرجة أنني أستنتجب أن السيدهاز (حكماء يملكون قوى روحية) يتنقلون

مسافات كبيرة عبر هذه الطريقة و يظهرون و يختفون بطريقة غامضة. و بينما كان جسدي يهبط الى الأرض خطر لي أنني في تيروفوثيور بالرغم من أنني لم أرى المكان من قبل. وجدت نفسي على طريق عام سريع و مشيت عليه. و عند مسافة غير بعيدة من الطريق كان هنالك معبد لغاناباتي فدخلته."

هذه الحادثة تدل كثيراً على شخصية شري بهاغافان. هي كذلك لأن صرخة أحد مريديه انتجت هذا الفعل الذي لا يمكن القول عنه الا أنه عجائبي، و هي كذلك أيضاً، لأن شري بهاغافان و بالرغم من كل هذه القوى تحت قدميه فهو لم يكن مهتم لا باستخدام القوى اللطيفة و لا القوى في العالم المادي، و ان كان يحصل شيء كهذا رداً لنداء أحد مريديه فكان يرد ببساطة الأطفال، "أفترض أن هذا ما كان يقوم به السيدهاز."

هذه اللا مبالاة هي ما فشل غاناباتي شاستري بالحصول عليه. لقد سأل في احدى المرات، "هل البحث عن مصدر فكرة الأنا كافي لتحقيق كافة أهدافي أو المانترا دهيانا (الذكر) هو أمر مطلوب؟" دائماً الامر ذاته: أهدافه، طموحاته، تنشيط البلد من جديد، احياء الدين.

أجابه شري بهاغافان بلباقة، "السابق سوف يكفي." و عندما استمر شاستري بشأن أهدافه و مثالياته أضاف: "سوف يكون من الافضل لو تلقي الحمل كله على الله. سوف يحمل كل هذا العبء و سوف تكون أنت حر منه. سوف يقوم بدوره."

عام ١٩١٧ وضع غاناباتي شاستري و مريدين آخرين عدداً من الاسئلة أمام شري بهاغافان و تم تدوين الاسئلة و الاجوبة في كتاب يدعى شري رامانا غيتا، متفقه و عقائدي أكثر من معظم الكتب. مما يتلائم مع شخصيته، أحدى الاسئلة التي طرحها غاناباتي شاستري كانت حول إن حصل المرء على الجنانا (تحقيق الذات)، و هو في سبيل البحث عن قوى قد يجد رغباته تحققت. ولكت شري بهاغافان كان داهية و لطيف الظل في جوابه ، "إن كان اليوغي قد تناول اليوغا لتحقيق رغباته، و حصل على المعرفة من خلال القيام بذلك فلن يكون معجباً بنفسه دون مبرر حتى و لو تم تحقيق رغباته بالمثل."

عام ١٩٣٤ استقر غاناباتي شاستري في قرية نيمبورا قرب خاراغبور مع مجموعة من الأتباع حتى موته بعد ذلك بسنتين كرس نفسه كاملاً للتاباس (الزهد).

سؤل شري بهاغافان في أحدى المرات، بعد موت شاستري، حول إن كان من الممكن أن يحصل على التنور خلال حياته، فأجاب على ذلك: "كيف من الممكن له القيام بذلك؟ السانكالباس خاصته (ميوله الكامنة) كانت قوية جداً."

٤. ف. ه. هامفريز

أول المريدين من الغرب لشري بهاغافان كان لديه خبرة في العلوم الباطنية عندما وصل الى الهند في العام ١٩١١

كان عمره ٢١ سنة فقط في ذلك الوقت و كان قد أتى لاتخاذ منصباً في شرطة فيللور. تتلمذ على يد معلم، يدعى ناراسيمهايا، ليتعلم منه التيلوغو و خلال الدرس الأول سأله ان كان بإمكانه تأمين كتاب باللغة الإنكليزية حول علم الفلك الهندي. كان طلباً غريب من رجل ابيض، و لكن ناراسيمهايا وافق و جلب له واحداً من المكتبة. في اليوم التالي طرح هامفريز سؤال اغرب بعد، "هل تعرف أي ماهاتما يعيش في الانحاء هنا؟"

أجاب ناراسيمهايا بشكل مختصر أنه لم يكن يعرف أحد. هذا لم يجنبه الحرج لوقت طويل، لأنه في اليوم التالي قال له هامفريز: "ألم تقل لي البارحة أنك لا تعرف ولا أي ماهاتما؟ حسنا، لقد رأيت الغورو خاصتك هذا الصباح تماماً قبل استيقاظي من النوم. جلس بالقرب مني و قال شيئاً و لكنني لم اتمكن من فهمه."

بما أن ناراسيمهايا لا زال غير مقتنع، تابع هامفريز، "الرجل الأول من فيللور والذي قابلته في بومباي كان أنت." بدأ ناراسيمهايا في الاعتراض على أنه لم يكن أبداً في بومباي، و لكن هامفريز شرح له أنه حال وصوله إلى هناك أصيب بحمى قوية و تم أخذه إلى المشفى. من أجل الحصول على بعض الراحة من الالم، وجه عقله إلى فيللور، حيث كان يجب عليه أن يتوجه مباشرة بعد وصوله لولا المرض الذي أصابه. فسافر إلى فيللور بجسده الأثيري و رأى ناراسيمهايا هناك.

أجاب ناراسيمهايا بكل بساطة أنه لم يكن يعرف ما هو الجسد الأثيري، أو أي جسد آخر غير ذلك المادي. و لكن من أجل اختبار مدى صدقية الحلم، قام باليوم التالي بترك بعض الصور على طاولة هامفريز قبل الذهاب لإعطاء دروس لرجل شرطة آخر. دقق هامفريز بالصور و على الفور اختار صورة غاناباتي شاستري. و قال عندما عاد معلمه "هاك!" هذا هو الغورو خاصتك.

أقر ناراسيمهايا بذلك. بعد ذلك أصيب هامفريز مجدداً بالمرض واضطر المغادرة إلى أوكتاكاموند لكي يتعالج. مرت شهور عدة قبل عودته إلى فيللور. عندما قام بذلك، فاجأ ناراسيمهايا مجدداً، هذه المرة من خلال رسمه لكهف على جبل كان قد رآه في حلم، مع نبع يسري أمامه و حكيم واقف عند المدخل. لا يمكن أن يكون الا كهف فيروباكشا، أخبره عندها ناراسيمهايا عن شري بهاغافان. تم تعريف هامفريز على غاناباتي شاستري و كان لديه احترام كبير له، و في الشهر ذاته، في تشرين الأول عام ١٩١١، ذهبوا ثلاثتهم سوية بزيارة إلى تيروفانامالاي.

انطباع هامفريز الأول لصمت لشري بهاغافان الرهيب تم اقتباسه سابقاً في أحد المقاطع السابقة. في الرسالة ذاتها كتب أيضاً: "المنظر المؤثر كان مشهد عدد الأطفال الصغار، حتى عمر السابعة، الذين كانوا يتسلقون التلة بمفردهم، و يجلسون بالقرب من الماهارشي، بالرغم من أنه كان في بعض الأحيان لا يتحدث ولا أي كلمة و لا ينظر إليهم حتى لأيام. لا يلعبون، فقط يجلسون هناك بهدوء، و برضاً تام."

كما غاناباتي شاستري، كان هامفريز متحمساً لمساعدة العالم.

هامفريز: أيها المعلم، هل بإمكاني مساعدة العالم؟

بهاغافان: ساعد نفسك و سوف تساعد العالم.

هامفريز: أتمنى أن أساعد العالم. ألن أكون مساعداً؟

بهاغافان: أجل، مساعدة نفسك سوف تساعد العالم. أنت في العالم، أنت العالم. أنت لست مختلفاً عن العالم، و لا العالم عنك.

هامفريز: (بعد وقفة) أيها المعلم، هل بإمكاني أداء معجزات كما فعل شري كريشنا و السيد المسيح قبلي؟

بهاغافان: هل قام أحدهم، عندما كان يقوم بالأعجوبة، بالشعور أنه هو من كان يقوم بالأعجوبة؟

هامفريز: كلا، يا سيدي.

لم يمر الكثير من الوقت قبل أن يعيد هامفري الزيارة.

"ذهبت على الدراجة النارية و تسلقت الكهف. ابتسم الحكيم عندما رآني و لكنه لم يكن متفاجئاً على الاطلاق. دخلنا إلى الكهف و عندما جلسنا، طرح علي سؤال شخصي يتعلق بي أنا، كان هو يعرف عنه. على ما يبدو فلقد تعرف علي باللحظة التي رآني بها. كل من يأتي إليه هو كتاب مفتوح، و نظرة واحدة كافية لتظهر له محتوياته.

"أنت لم تحصل على الطعام بعد،" لقد قال، "هل أنت جائع."

"اعترفت بجوعي فاستدعى شيلا (تابع) ليجلب لي الطعام – الأرز، الصمغ، الفاكهة، الخ.، أكلتهم بأصابعي، بما أن الهنود لا يستعملون الملاعق. بالرغم من أنني تدربت على تناول الطعام من خلال هذه الطريقة إلا أن المهارة كانت تنقصني. لذا أعطاني ملعقة من جوز الهند لتناول الطعام بها، مبتسماً و متحدثاً ما بين الحين و الأخر. ليس بإمكان المرء تخيل شيء أجمل من ابتسامته. حصلت على حليب جوز الهند لأشربه، أبيض، كحليب البقر، و لذيذ، والذي قد أضاف هو بنفسه عليه بعض حبوب السكر.

"عندما انتهيت كنت لا أزال جائعاً و عرف هو هذا الأمر فطلب المزيد من الطعام. هو يعرف كل شيء، و عندما ضغط علي الآخرين لتناول الفاكهة عندما كنت قد تناولت كفايتي قام هو بإيقافهم على الفور.

"اضطررت على الاعتذار لطريقة شربي. فقط قال لي، "لا تمانع". الهنود هم استثنائيون حول هذه الطريقة. لا يشرقون و لا يلمسون الوعاء بشفاههم و لكن يتركون السائل يسيل مباشرةً إلى داخلهم. هكذا يكون من الممكن للكثيرين أن يشربوا من الوعاء نفسه دون الخوف من العدوى.

"أثناء تناولي للطعام كان يسرد تاريخي الماضي للآخرين، و بدقة أيضاً. بالرغم من أنه رآني مرة واحدة سابقاً و مئات الأشخاص الآخرين بيننا. كان بكل بساطة يستعمل وضوح البصيرة. جلست لحوالي ثلاثة ساعات أستمع لتعاليمه.

"لاحقاً كنت عطشان، لأن الرحلة كانت حارة، و لكنني لم أكن لأظهر الأمر ابداً. لكنه بالرغم من هذا كان يعرف و أخبر احد الشيلا أن يجلب لي الليموناضة.

"في النهاية، اضطررت للذهاب، فانحنيت أمامه كما نفعل، و ذهبت إلى الخارج لارتداء حذائي. فخرج معي هو أيضاً و قال لي أنه من الممكن أن أعود مجدداً لرؤيته.

"إنه لأمر غريب التغيير الذي يحصل مع المرء الذي كان في حضرته!"

ليس هنالك من شك أن كل من كان يجلس أمام شري بهاغافان كان كتاباً مفتوحاً أمامه؛ بالرغم من هذا هامفريز كان مخطئاً بشأن وضوح البصيرة. بالرغم من أن شري بهاغافان كان ينظر عبر الناس من أجل مساعدته و تقديم الإرشاد المناسب لهم، لم يستعمل أي قوى من هذا النوع على البعد البشري. ذاكرته للوجوه كانت مميزة تماماً كما ذاكرته للكتب. من بين كل الألاف الذين كانوا يأتون، لم ينسى ولا أي مريد كان قد زاره في أحد المرات. بالرغم لو عاد أحدهم بعد سنوات لاحقة فكان يعرفه. و لم يكن ينسى قصة حياة المريد أيضاً، و لا بد أن ناراسيمهايا قد تحدث إليه حول هامفريز. عندما كان من المفضل عدم التحدث عن مسألة معينة كان يظهر التحفظ التام، و لكن بشكل عام كان يملك بساطة الاطفال و طيبتهم، و كما الطفل كان يتحدث عن المرء أمام وجهه، من دون أي خجل و من دون التسبيب بالخجل للشخص. أما بالنسبة للطعام و الشراب، شري بهاغافان لم يكن فقط مهتماً و لكنه كان يراقب بشكل دقيق و يستطيع أن يرى ان كان الضيف راضياً أم لا.

قوى خارقة للطبيعة بدأت تظهر داخل هامفريز، و لكن شري بهاغافان حذره من الانغماس فيها، و كان قوياً بما فيه الكفاية لتجنب الاغراء. بالفعل، تحت تأثير شري بهاغافان، قريباً فقد كل اهتمامه بالعلوم الباطنية.

كذلك الأمر، تعدى المغالطة، التي هي تقريباً كونية في الغرب و تتزايد بشكل كبير أيضاً في الشرق الحديث، أنه من الممكن مساعدة الإنسانية من خلال النشاطات الخارجية. لقد قيل له أنه من خلال مساعدة المرء لنفسه فهو يساعد العالم؛ هذه المقولة التي كانت مدرسة عدم التدخل بشؤون الآخرين تعتبرها صحيحة اقتصادياً هي بالواقع صحيحة روحياً أيضاً، بما أنه روحياً ثروة أحدهم لا تنقص من ثروة الآخرين بل تزيدها. تماماً كما رأى بهاغافان في لقائه الأول "كجثة لا تتحرك كان الله يشعل منها بشكل رهيب،" فإذاً الجميع، استناداً لقدراته، هو محطة نشر ذات تأثير غير مرئي. إن كان أي كان بحالة من التناغم و الحرية من الأنا المغرورة فهو و لا بد و من دون ان يقصد يشع التناغم، إن كان نشيط خارجياً أم لا؛ و طالما طبيعته الداخلية مضطربة و الأنا المغرورة خاصته قوية فهو يشع عدم التناغم بالرغم من أنه خارجياً قد يكون عم يقدم الخدمة للآخرين. بالرغم من أن هامفريز لم يبقى مع بهاغافان و كان قد زاره لعدة مرات فقط، اتبع تعاليمه و نال بركته. ملخص مكتوب كان قد ارسله لصديقه بالإنكليزية قد تم نشره لاحقاً في مجلة البارابسيكولوجي الدولية و يبقى كعرض ممتاز للتعليم.

"المعلم هو شخص قد تأمل فقط على الله، قد رمى شخصيته بالكامل في بحر الله، و غرق و نساها هناك، لحين ما يصبح فقط أداة الله، و عندما يفتح فمه فهو يتكلم كلمات الله من دون أي جهد أو سابق تصميم، و عندما يرفع يد، الله يفيض مجدداً عبر هذا، للقيام بأعجوبة.

"لا تفكروا كثيراً بالأحداث الخارقة و هذا النوع من الأمور. أعدادهم بالألاف؛ و متى ما يقع الايمان بالروحانيات داخل قلب الباحث فتكون هذه الأشياء قد أدت واجبها. الرؤى الخارقة، السمع الخارق، و هكذا أشياء لا تستحق الحصول عليها، بالأخص عندما يكون الكثير من التنور و السلام متوفرين من دونهم بدلاً من معهم. المعلم يأخذ تلك القوى كشكل من التضحية بالذات!

"الفكرة أن المعلم هو شخص قد حصل على القوى الخارقة للحواس الباطنية بعد القيام بالكثير من الممارسات و الصلاة أو أي شيء من هذا القبيل، هو امر خاطئ تماماً. ولا أي معلم اهتم على الاطلاق بالقوى الخارقة، لأنه ليس له أي حاجة لهم.

"الظاهرة التي نراها هي مثيرة للحشرية و مفاجئة – و لكن الامر الاكثر روعة والذي لا ندركه، هو أنه واحدة، قوة واحدة من دون حدود هي مسؤولة عن:

. كل الظواهر التي نراها

. و فعل رؤيتهم

"لا تثبت انتباهك على كل تلك الأمور المتغيرة في الحياة، الموت و الأحداث. لا تفكر حتى بفعل رؤيتهم أو إدراكهم، و لكن بذلك الذي يرى كل تلك الأشياء – ذاك الذي هو مسؤول عن كل شيء. هذا قد يبدو تقريباً شبه مستحيل عند البداية، و لكن بنسب متفاوتة سوف يتم الإحساس بالنتيجة. يتطلب الأمر سنوات من الممارسة المكرسة بشكل يومي و هكذا يتكون المعلم. أعطي ربع ساعة كل يوم لهذه الممارسة. حاول ترك العقل مركزاً بشكل ثابت على ذلك الذي يرى. هو في داخلك. لا تتوقع أن يكون "ذاك" أمراً محدد من الممكن للعقل أن يثبت عليه بسهولة؛ لن يكون الأمر كذلك. بالرغم من أنه يتطلب الامر سنين لاكتشاف "ذاك"، نتيجة هذا التركيز سوف يتم اكتشافها بعد حوالي أربعة أو خمسة أشهر – بكل أنواع الخواطر الغير واعية، سلام العقل، و بالقدرة على التعامل مع المشاكل، و بقوة محيطة بنا من كافة الأنحاء، و لكن بالرغم من هذا غير مرئية (ان كان الامر مع قوى خارقة أم عدمها فالأمر كله يعتمد على البارادها التابعة للمرء (قدره). وجودها أو عدمه ليس مؤشراً على التقدم).

"لقد أعطيتك هذه التعاليم بالكلمات ذاتها التي يعطيها المعلم لأتباعه المقربين. من الآن و صاعداً، دع فكرك بأكمله خلال التأمل يكون ليس على ما هو مرئي، بل بشكل غير متحرك على ذلك الذي يرى.

"إذا جلست و أدركت أنك تفكر بسبب نعمة الحياة الواحدة، و أن العقل الذي يتحرك بسبب الحياة الواحدة نحو فعل التفكير هو جزء من الكل الذي هو الله، عندما أنت تقنع عقلك بالخروج من الوجود ككائن منفصل؛ و النتيجة هي أن العقل و الجسد، مادياً (على سبيل الحكي) يختفون، و الشيء الوحيد الذي يبقى هو الكينونة، التي هي بالوقت نفسه الوجود و عدم الوجود و لا يمكن شرحها بالكلمات أو الأفكار.

"المعلم ليس بإمكانه إلا أن يبقى دائماً في هذه الحالة باستثناء هذا الفرق، أنه بطريقة غير مفهومة بالنسبة لنا، بإمكانه استعمال العقل، الجسد و الفكر أيضاً، من دون الوقوع مجدداً في الوهم أنه يملك وعي منفصل.

"ليس هنالك من فائدة في التخمين، أو أي فائدة في محاولة اتخاذ محاولة ادراك أو تفهم عقلي و العمل من ذاك. هذا هو الدين، قانون للأطفال و للحياة الاجتماعية، دليل لمساعدتنا في محاولة تجنب الصدمات، لكي تحرق النار الداخلية ما ليس له معنى في داخلنا، و تعلمنا، بأقصر وقت، المنطق السليم، أي معرفة وهم الانفصال.

"الدين، إن كان المسيحية، البودية، الهندوسية، الثيوصوفيا، أو أي نوع آخر أو نظام، من الممكن أن يأخذنا إلى النقطة حيث تلتقي كافة الديانات و لا أبعد.

"تلك النقطة حيث تلتقي كافة الديانات هي الإدراك – بمعنى غير صوفي، بل بالمعنى و المنطق اليومي، و كلما كان الامر مادياً أكثر و عملي و يومي كان أفضل - للواقع أن الله في كل شيء، و كل شيء هو الله.

"من تلك النقطة يبدأ العمل من خلال هذا الفهم الفكري، و كل ما يسمو إليه العمل هو كسر عادة. على المرء أن يتوقف تسمية الأشياء "على أنها أشياء"، و عليه تسميتها الله؛ و بدل التفكير بأنهم أشياء، عليه معرفتهم على أنهم الله؛ بدل تخيل "الوجود" على أنه الشيء الوحيد الممكن، على المرء أن يدرك أن ظاهر هذا الوجود هو فقط خليقة العقل، و أن "اللا-وجود" هو نتيجة حتمية ان كنت ستعتبر "الوجود" أمراً مسلماً به.

"معرفة الأشياء فقط تُظهر وجود عضو لإدراكه. ليس هنالك أصوات بالنسبة للأطرش، لا أشياء مرئية للأعمى، و العقل هو مجرد عضو للفهم أو لتقدير نواحي معينة لله.

"الله لا متناهي، و لهذا السبب الوجود و عدم الوجود هم نسخ مطابقة له. ليس لأنني أرغب بالقول أن الله مكون من عناصر و أجزاء محددة. من الصعب أن يكون المرء متفهماً عند الحديث عن الله. المعرفة الحقيقية تأتي من الداخل و ليس من الخارج. و المعرفة الحقيقية ليست "بالمعرفة" بل "بالرؤية."

"معرفة النفس ليست شيئاً سوى رؤية الله حرفياً. خطأنا الأعظم هو اعتقادنا أن الله يتصرف بطريقة رمزية أو استعارية، بدل عملياً و حرفياً.

"خذ على سبيل المثال قطعة زجاج، أرسم ألوان و أشكال عليها، و ضعها على عدسة سحرية، أدر الضوء الصغير، و الألوان و الأشكال التي تم رسمها على قطعة الزجاج سوف تظهر على الشاشة. لو لم يتم إضاءة ذلك النور فلن ترى الألوان على الشريحة التي على الشاشة.

"كيف يتم تشكيل الألوان؟ من خلال تقسيم النور الأبيض من خلال منشار زجاج ذات عدة جوانب. هكذا الامر ايضاً مع شخصية المرء. يتم رؤيتها عندما يشع نور الحياة (الله) عبرها، أي من خلال أعمال المرء. إن كان المرء نائماً أو ميتاً، أنت لا ترى شخصيته. فقط عندما يحييها نور الحياة تتحرك الشخصية بألاف الطرق، بسبب تلاقيها مع النواحي المتعددة لهذا العالم، و هكذا يتم إدراك شخصية المرء. إن لم يتم تقسيم النور الأبيض و وضعه في أشكال و أحجام على شريحة عدستنا السحرية، لم يكن من الممكن لنا أن نعرف أنه هناك قطعة زجاج أمام النور، لأن النور كان من الممكن أن يشع عبرها. بمعنى أن النور قد تشوه، و تم حذف بعض نظافته منه بسبب توجيه شعاعه من خلال الألوان على الزجاجة.

"هكذا هو الحال أيضاً مع المرء العادي. عقله هو كالشاشة. يشع عليه النور، ضعيفاً و متغيراً لأنه سمح للنواحي العديدة للعالم بالوقوف أمام النور (الله) و تقسيمه. هو يرى فقط أثار النور (الله) بدل النور (الله) ذاته، و عقله يعكس الأثار التي يراها تماماً كما النور المنعكس على الزجاج. خذ منشار الزجاج بعيداً فتختفي الألوان، و يتم استيعابها مجدداً في النور الأبيض من حيث أتت. خذ الألوان بعيداً عن الشريحة فيشع النور بوضوح من خلالها. خذ بعيداً عن أعيننا عالم السببية الذي نراه، و دعنا ننظر فقط الى السبب، و سوف نرى النور (الله).

"المعلم في التأمل، بالرغم من انفتاح عيونه و أذنيه، يثبت انتباهه بشدة على "ذلك الذي يرى" لدرجة أنه لا يسمع و لا يرى، و ليس لديه أي وعي جسدي على الإطلاق – و لا عقلي أيضاً، و لكن فقط روحي.

"علينا أن نحذف العالم، الذي يسبب الشكوك لنا، والذي يغيم على عقولنا، و نور الله سوف يشع بقوة عبر هذا كله. كيف يتم حذف العالم؟ عندما، على سبيل المثال، بدل أن ترى رجلاً و القول، "هذا هو الله يمحي الجسد"،

الذي يستجيب إليه الجسد، إلى حدٍ ما بشكل كامل، نحو توجيهات الله، تماماً كما تستجيب السفينة إلى حدٍ ما شبه كامل إلى قبطانها.

"ما هي الخطايا؟ لماذا، على سبيل المثال، يشرب المرء كثيراً؟ لأنه يكره فكرة كونه مقيد – محدوداً بالقدرة على عدم الشرب بقدر ما يرغب. هو يسعى وراء الحرية في كل خطية يرتكبها. هذا السعي وراء الحرية هو الفعل الفطري الأولي الذي وضعه الله بعقل الإنسان. لأن الله يعلم أنه ليس مقيداً. الشرب كثيراً لا يمنح المرء الحرية، و لكن المرء لا يعرف أنه حقيقةً يبحث عن الحرية. عندما يدرك هذا، يلجأ الى الطريقة الأفضل للحصول على الحرية.

"و لكن المرء ينال تلك الحرية عندما يدرك أنه لم يكن أبداً مقيداً. النسخ عن الأنا التي تشعر أنها مقيدة هي بالحقيقة الروح الغير محدودة. أنا محدود لأنني لا أعرف شيئاً لا أعرفه إلا عبر أحد الحواس. في حين أنني كل الوقت ذلك الذي يحس بكل جسد و بكل عقل. هذه الأجساد و العقول هي فقط أدوات "للأنا"، الروح الغير محدودة.

"ما حاجتي للأدوات التي هي الأدوات نفسها، مثل الألوان هي النور الأبيض؟"

لا داعي للقول، الخدمة كرجل أمن لم تكن مناسبة بالنسبة لهامفريز. نصحه شري بهاغافان بالقيام بوظيفته و التأمل بالوقت ذاته. قام بهذا لبضعة سنوات و ثم ذهب إلى التقاعد. كونه كان بالأصل كاثوليكي و فهم وحدة الديانات كلها، لم يرى الحاجة للتغيير بل عاد إلى إنكلترا، حيث دخل إلى دير.

راغهافاشاريار

غالباً ما كانت الناس تتأثر بطيبة شري بهاغافان و انفتاحه. ليس الامر مجرد كونه يعرف حقيقة كل الديانات، لأن كل رجل ذو فهم روحي قد يفعل هذا، و لكن إن كانت أي مدرسة أو مجموعة أو أشرام تسعى لنشر الروحانية كان يُظهر التقدير للخير الذي كان يجري بسبب هذا، مهما كانت بعيدة طرقها عن طريقة تعليمه الخاص أو من التقاليد الروحية الصارمة.

راغهافاشاريار، موظف حكومي في تيروفانامالاي، كان معتاداً على زيارة شري بهاغافان بين الحين و الآخر. كان يرغب بأخذ رأيه حول مجموعة المجتمع الثيوصوفي و لكن كلما كان يذهب إليه كان يجد حشداً من المريدين فيمتنع عن الكلام . في أحد الأيام ذهب و هو مصمماً على طرح ثلاثة أسئلة. هكذا هو يشارك القصة:

"الأسئلة هي:

"١. هل من الممكن أن تمنحني بضعة دقائق من أجل الحديث الشخصي الخاص، بعيداً عن الآخرين؟

"٢. أرغب بالحصول على رأيك حول المجتمع الثيوصوفي، الذي أنا فرد منه.

"٣. هل من الممكن لك رجاء أن تريني شكلك الحقيقي إن كنت أنا أهلاً لرؤيته.

"عندما ذهبت وانحنيت احتراماً أمام شري بهاغافان و جلست في حضوره هناك، كان معنا حشد لا يقل عن ثلاثون شخصاً، و لكن لم يبق أحد منهم بعد وقت قليل رحلوا جميعهم فجأة. هكذا صرت لوحدي معه و هكذا تمت الإجابة على سؤالي الأول من دون طرحه. و هذا الأمر بدا لي كعلامة جيدة جداً.

"بعدها قام بسؤالي من تلقاء نفسه هو إن كان الكتاب الذي بيدي هو الغيتا، و إن كنت عضواً من المجتمع الثيوصوفي و قام بالتعليق، حتى قبل إجابتي على سؤاله، "إنه يقوم بعمل جيد." فأجبته على أسئلته بالإيجاب.

"هذا سؤالي الثاني أيضاً تم توقعه، انتظرت بعقل متشوق للثالث. بعد حوالي النصف ساعة فتحت فمي و قلت، "تماماً كما آرجونا كان يرغب برؤية شكل شري كريشنا و طلب بركته، أرغب بالحصول على بركة رؤية شكلك الحقيقي، إن كان هذا من الممكن لي. "كان عندها جالساً على المنصة و هنالك رسمة لداكشينامورتي مرسومة على الحائط بالقرب منه. حدق بصمت كالمعتاد، و حدقت أنا في عيونه. عندها جسده و صورة داكشينامورتي أيضاً اختفوا من نظري. كان هنالك فقط فضاء فارغ، من دون حتى الحائط، أمام عيني. عندها غيمة بيضاء على شكل الماهارشي و داكشينامورتي تكونت أمام عيوني. تدريجياً تصميم (مع خطوط فضية) تلك الأشكال بدأة بالظهور. عندها العيون، الأنف، الخ.، التفاصيل الأخرى ظهرت تصاميمها على خطوط بلون الرعد. تلك قامت بالتوسع تدريجياً لحين ما صورة هيئة الحكيم و داكشينامورتي صارت ملتهبة بنور قوي جداً و من غير الممكن تحمله. فأغلقت عيني بسبب ذلك. انتظرت لبضعة دقائق و بعدها رأيته هو و داكشينا مورتي في الشكل العادي. انحنيت و ذهبت بعيداً. لمدة شهر من بعدها لم أتجرأ على الاقتراب منه، كان الانطباع الذي حصل بسبب الحادثة عظيماً جداً. بعد شهر كامل ذهبت صعوداً و رأيته واقفاً أمام سكانداشرام. قلت له: "وضعت سؤال أمامك منذ شهر مضى و حصل لي هذا الاختبار، "سارداً له الاختبار الذي تحدثت عنه أعلاه. طلبت منه شرحه لي. عندها، بعد وقفة، قال لي: "أنت أردت رؤية شكلي؛

رأيت اختفائي؛ أنا من دون شكل. فإذاً ذلك الاختبار قد يكون الحقيقة الحقة. الرؤى الإضافية قد تكون بناءً لمفاهيمك أنت التي استنتجتها من البهاغافاد غيتا. و لكن غاناباتي شاستري حصل له أيضاً اختبار مماثل؛ بإمكانك أن تستشيره. "لم أقم بالواقع في إستشارة شاستري. بعد هذا قال لي الماهارشي، "اكتشف من هي هذه "الأنا"، الرائي أو المفكر، و مسكنه."

٦ . مريد مجهول الهوية

أتى زائر إلى فيروباكشا، و بالرغم من أنه بقي فقط لخمسة أيام بدى من الواضح أنه قد حصل على بركة شري بهاغافان، لدرجة أن ناراسيمهايا الذي كان يجمع المواد من أجل السيرة، معرفة النفس، التي بُنيَ عليها الكثير من هذا العمل، أصر على الإشارة إلى اسمه و عنوانه. كان هنالك ابتهاج بالنفس، نوع من الصفاء حواليه، و عيني شري بهاغافان اللماعة أشعت نحوه. قام كل يوم بتأليف أغاني تاميلية لتمجيد شري بهاغافان، كانت جارفة من حيث النشوة و تلقائية و فائضة بالفرح و التعبد، لدرجة أنه ما بين الأغاني التي ألفها، البعض منها لا تزال رائجة.

لاحقاً قام ناراسيمهايا بزيارة البلدة التي أسماها، ساتيامانغالام، لجمع بعض التفاصيل حوله، و لكن لم يكن أحد يعرف هذا الشخص. تمت الإشارة إلى أن الاسم يعني "مسكن البركة" و تم الاقتراح أن الزائر قد يكون مبعوثاً من "مسكن للبركة" مخفي و أتى لتقديم التقدير لساتغورو العصر.

أحد أغانيه تمجد شري بهاغافان على أنه "راماناساتغورو". في أحدى المرات عندما كانت الأغنية تُرنم قام شري بهاغافان بنفسه بالاشتراك. المريد الذي كان يغنيها قام بالضحك و قال، "هذه أول مرة أسمع فيها أحداً يغني تمجيداً لذاته."

فأجاب شري بهاغافان، "لما حد راماناا بهذه الأقدام الستة؟ راماناا هو كوني."

أحدى الأغاني الخمسة هي فطرية جدً فيما يتعلق بأفراح الفجر و اليقظة لدرجة أنه من الممكن للمرء أن الاعتقاد أنها كانت احتفالاً بالفجر الحقيقي للشخص الذي ألفها:

الفجر يصعد على الجبل.

يا راماناا الحلو، تعال!

أيها الرب آروناتشالا، تعال!

في الغابة البرد يغني.

أيها المعلم العزيز، راماناا، تعال!

يا رب المعرفة، تعال!

المحارة تنفخ، النجوم خفيفة.

يا راماناا الحلو، تعال!

أيها الرب إله الآلهة، تعال!

الديوك تصيح، العصافير تزقزق.

الوقت حان، تعال!

الليل قد رحل، تعال!

البوق يدوي، الطبول تدق

أيها الرامانا الذهبي المشع، تعال!

أيتها المعرفة اليقظة، تعال!

الغربان تزعق، إنه الفجر.

أيها الرب المزين بالأفعى، تعال!

أيها الرب الأزرق الحنجرة، تعال!

الجهل قد هرب، اللوتس قد تفتحت.

أيها الرب الحكيم رامانا، تعال!

يا تاج الفيدا، تعال!

غير ملطخ بالصفات، رب الحرية،

يا رامانا الكريم، تعال!

يا رب السلام، تعال!

حكيم و رب،

أحد مع الصفاء-المعرفة-الغبطة،

أيها الرب الراقص فرحاً، تعال!

أيها الحب على قمة المعرفة.

الأفراح الماضية، الآلام الماضية، تعال!

يا صمت النعيم، تعال!

الحيوانات في راماناشرام و الرحمة تجاهها

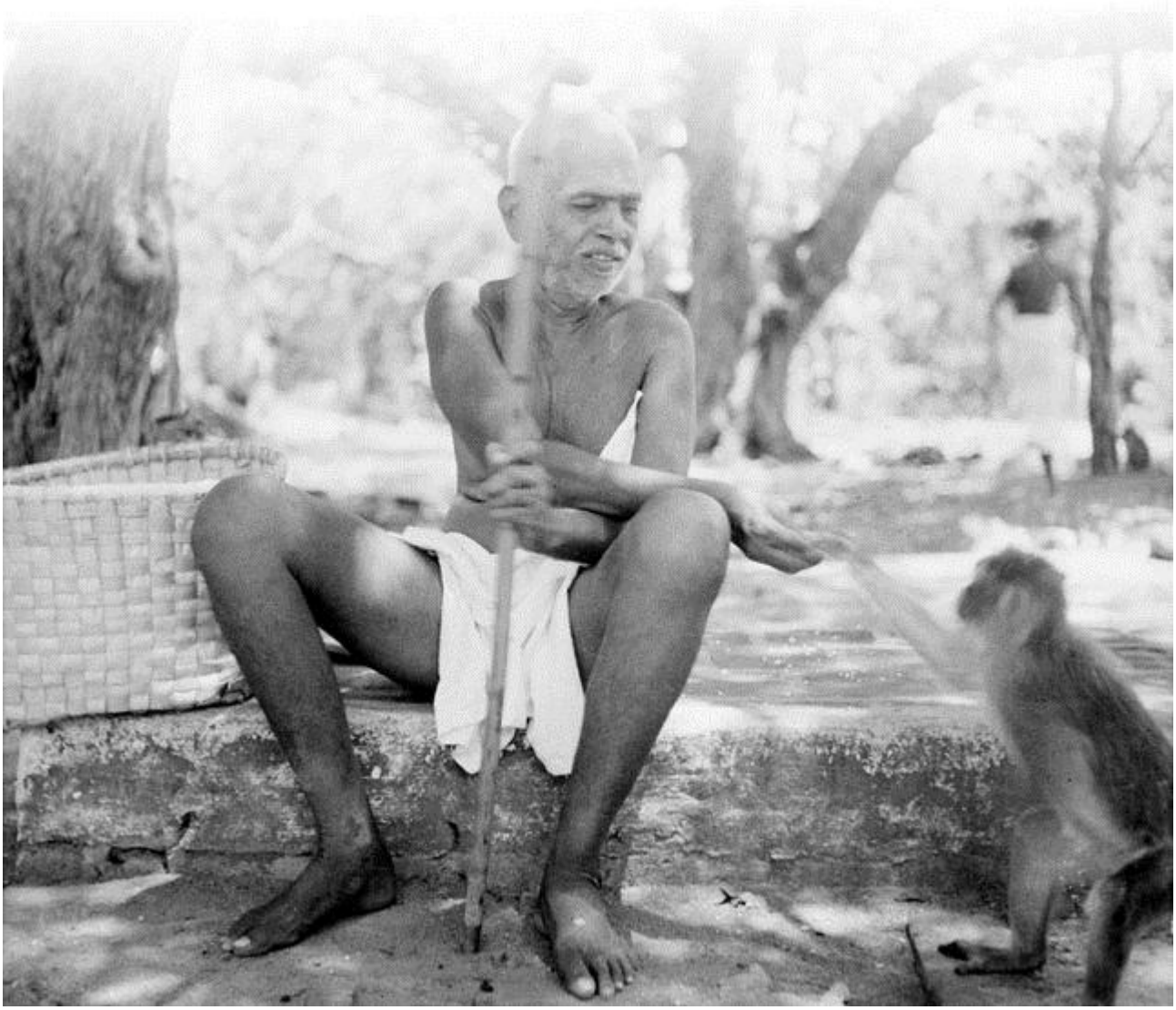

يُعتقد في الهندوسية (كما تم الشرح من قبل شانكاراشاريا في تعليقه على البهاغافاد غيتا) أنه بعد الموت، المرء الذي لم يُزيل وهم الأنا المنفصلة يذهب إلى النعيم أو الجحيم إستناداً للكارما أو لائحة ميزان أعماله التي جمعها خلال حياته على هذه الارض، و أنه بعد انتهائه من وقت الحصاد هذا، يعود مجدداً الى الأرض، إلى ولادة عالية أو دنيا إستناداً للكارما خاصته، في سبيل العمل من أجل إنجاز الجزء المعروف ببارادها، ما معناه قدر المرء في حياته. خلال حياته الجديدة على الأرض، يقوم مجدداً بجمع الأغاميا أو الكارما الجديدة، و هذا يُضاف إلى السانشيتا-كارما أو تلك البقايا المتعلقة بالكارما المتجمعة والتي ليست بارابدها.

من المعروف بشكل عام أنه يمكن تحقيق التقدم و إزالة الكارما فقط خلال الحياة البشرية؛ و لكن شري بهاغافان قد أشار الى أنه من الممكن أيضاً للحيوانات إزالة الكارما خاصتها.

في حديث تم اقتباسه , قال ، "نحن لا نعلم أية أرواح قد تكون ساكنة في تلك الأجساد و من أجل إنهاء الكارما المتبقية لها فهي تسعى لصحبتنا." أكد شري بهاغافان أيضاً أنه من الممكن للحيوانات أن تتحرر. بالإضافة إلى هذا، أحد البورانا تروي كيف أن الحكيم جادابهاراتا قد راودته خلال احتضاره فكرة غزال أليف كان يهتم فيه و لذا كان عليه الولادة مجدداً كغزال في سبيل طرد هذا التعلق الأخير.

أظهر شري بهاغافان الاهتمام ذاته للحيوانات تماماً كما كان يُظهره للأشخاص الذين كانوا يقصدونه. و كانت الحيوانات لا تقل انجذاباً إليه من البشر. كانت الطيور و السناجب تبني أعشاشها حواليه في غورومورتام. خلال تلك الأيام كان المريدين يعتقدون أنه كان غير واعي للعالم بقدر ما كان غير متعلق به، و لكن في الواقع كان يراقب بدقة و خبر عن عائلة من السناجب كانت قد انتقلت للسكن في عش مهجور للطيور.

لم يُشر أبداً إلى الحيوانات بالطريقة التاميلية العادية على أنهم "شيء" و لكن كان دائماً يقول "هو" أو "هي". "هل تناول الفتيان طعامهم؟" – و كان هنا يُشير إلى الكلاب الموجودة في الأشرام. "أعطوا لاكشمي الرز الخاص بها على الفور" – و كان هنا يعني البقرة لاكشمي. كانت تقول القواعد في الأشرام أنه خلال وقت الطعام يجب إطعام الكلاب أولاً، و بعدها أي شحاذين قد يأتوا، و أخيراً المريدين. معرفة تردد بهاغافان فيما يتعلق بقبول أي معاملة خاصة لا يتشاركها الجميع سواسية، تفاجأت خلال أحدى المرات لرؤيته و هو يتذوق حبة مانغا بين الوجبات، و بعدها رأيت السبب لماذا – كان موسم المانغا على وشك البدء و كان يرغب في معرفة إن كانت الحبة ناضجة أم لا لكي يعطيها لطير الطاووس الأبيض الذي تم إرساله من ماهاراني بارودا و أصبح في رعايته. كان هنالك طيور طاووس أخرى أيضاً. كان يناديهم، مقلداً لندائهم، و كانوا يأتون إليه من أجل تناول حب الفستق الخاص بهم، الرز و المانغا. و في اليوم الأخير ما قبل موته الجسدي، عندما قال الأطباء أنه لا بد و أن الألم رهيب، سمع طاووس و هو يزعق بالقرب من شجرة فسأل إن كانوا قد تناولوا طعامهم.

كانت السناجب تقفز من النافذة إلى كنبته و كان دائماً يحتفظ ببعض الفستق بالقرب منه لأجلهم. و كان في بعض الأحيان يعطي العلبة لأحد السناجب و يدعه ليساعد نفسه؛ و كان في بعض الأحيان يمسك بحبة الفستق فيأخذها المخلوق الصغير من يده. في أحد الأيام، عندما، بسبب تقدم العمر و الروماتيزم، بدأ في السير بمساعدة عصا، كان يسير نزولاً على الدرجات القليلة نحو منشأة الأشرام عندما قام سنجاب بالركض ما بين قدميه، و كان يتبعه كلب. فنادى الكلب و رمى العصى فيما بينهما، و من خلال قيامه بهذا انزلق و انكسر وركه؛ و لكن الكلب كان قد إلتهى و تم إنقاذ حياة السنجاب.

كانت الحيوانات تشعر ببركته. و عادةً ما كان حيوان الغاب الذي بعتني به الناس إن حاول العودة إلى قطيعه يُرفض، و لكن إن كان عائد من عند شري بهاغافان فكان يُكرم. كانوا يشعرون بالغياب الكامل للغضب و الخوف في داخله.

كان جالساً على التلة عندما زحفت أفعى على ساقيه. لم يتحرك على الاطلاق و لم يظهر أية علامة قلق. سأله أحد المريدين ما هو شعور المرء الذي تمر أفعى فوقه، فضحك و أجاب "بارداً و ناعم."

كان لا يرضى بقتل الأفاعي حيث مسكنه. "نحن أتينا إلى منازلهم و ليس لدينا الحق بإزعاجهم. هم لا يتعدون علينا." و لم يفعلوا. في احدى المرات أصيبت والدته بالفزع بسبب قدوم أفعى كوبرا نحوها. سار شري

بهاغافان نحوها فاستدارت و ذهبت بعيداً. مرت ما بين صخرتين فلحقها؛ و لكن، انتهى الممر على حائط صخري، و بسبب عدم تمكنها من الهرب التفت على نفسها و بدأت بالتحديق فيه. قام هو بالتحديق بها أيضاً. استمر هذا الأمر لبضعة دقائق و بعدها فكت الأفعى إلتفافها و بسبب عدم شعورها بالخوف، زحفت بعيداً و هي تسير بالقرب من قدميه.

في أحدى المرات كان شري بهاغافان جالساً بالقرب من مريديه فركض إليه نمس و جلس في حضنه فترة. "من يدري لماذا أتى؟" لقد قال. "لا يمكن أن يكون قد كان نمساً عادياً." هنالك حالة أخرى لنمس بعيد عن العادي قد ذكره البروفيسور فينكاتاراميا في مذكراته. إجابةً على سؤال كان قد تم طرحه من قبل السيد غرانت داف، قال شري بهاغافان:

"في مناسبة الآرودرا دارشان (إحتفال شيفي). كنت أعيش على التلة في سكانداشرام. كانت حشود الزائرين تتسلق صعوداً التلة من البلدة، و كان هنالك نمس كبير بشكل غير عادي و لديه مسحة ذهبية اللون، ليس كما اللون الرمادي عادةً، و من دون البقعة السوداء المعتادة على ذنبه، قام بالمرور من دون خوف ما بين الحشود. ظن الناس أنه نمس أليف و أنه لا بد و أن مالكه بين الحشد.

ذهب مباشرةً إلى بالانيسوامي، الذي كان في وقتها يغتسل في النبع بالقرب من الكهف فيروباكشا. مسد المخلوق و ربت عليه. و لحقه النمس إلى الكهف، و تفقد كل شبر و زاوية فيه، و قام بعدها بالانضمام إلى الحشد و الصعود نحو سكانداشرام. انذهل الجميع بسبب شكله الجذاب و حركاته الخالية من الخوف. أتى إلي، و صعد و جلس في حضني، و استراح هناك لبعض الوقت. و ثم رفع نفسه، نظر حواليه و نزل على الأرض. بدأ في التحرك في كافة أنحاء المكان، فاتبعته من أجل تجنيبه الاذى من قبل زائر غير منتبه أو طيور الطاووس. اثنين من طيور الطاووس نظرا إليه باستغراب، و لكنه استمر في التحرك في أنحاء المكان بهدوء لحين ما اختفي في النهاية ما بين الصخور نحو الجهة الجنوبية-الشرقية للأشرام."

في احدى المرات كان شري بهاغافان في خضم تقطيع الخضار من أجل مطبخ الأشرام في الصباح الباكر قبل صعود الشمس، سوية مع اثنين من المريدين. أحدهما، لاكشمانا شارما، كان قد جلب كلبه معه – كلب وسيم و أبيض – و كان يقفز و يلعب بروح عالية و رفض الطعام الذي تم تقديمه له. قال شري بهاغافان: "أترون الفرح الذي يُظهره؟ هو روح عالية قد اتخذت شكل هذا الكلب."

البروفيسور فينكاترااميا قد شارك في مذكراته حالة مذهلة حول تعبد الكلاب في الأشرام:

"عند ذلك الوقت (في العام ١٩٢٤) كان هنالك أربعة كلاب في الأشرام. قال شري بهاغافان أنهم كانوا يرفضون الطعام إن لم يكن قد تناول هو نفسه منه. فوضع الباندیت هذا الأمر للامتحان عبر وضع بعض الطعام أمامهم، و لكنهم لم يلمسوه. بعد قليل وضع شري بهاغافان قطعة من ذلك الطعام في فمه فباشرت الكلاب على الفور في التهام الطعام."

جدة معظم كلاب الأشرام كانت كارمالا، التي أتت الى سكانداشرام كجرو. حاول المريدين دفعها بعيداً، من الخوف أنها قد تملأ الأشرام بالجراء سنة بعد سنة، و لكنها رفضت الذهاب. عائلة كبيرة من الكلاب بالفعل قد نمت هناك، و لكن تمت معاملتهم جميعاً بمساواة. في مناسبة أول ولادة لها، تم إعطاء كارمالا حمامها، دهنها بالزعفران الهندي، و دهنها باللون البرتقالي المائل للحمرة على الجبين و إعطائها مكان نظيف في الأشرام حيث كان بإمكانها البقاء لعشرة أيام مع الجرو الوليد. و في اليوم العاشر تم الاحتفال بطهارتها من خلال الصوم المعتاد. كانت كلبة ذكية و خدومة. غالباً ما كان شري بهاغافان يرسلها لمرافقة الزائرين الجدد على

التلة. "كامالا، رافقي هذا الغريب خلال تجوله في أنحاء المكان"؛ و كانت تقوده و تدله على كل صورة، بركة و مزار حول الجبل.

أحدى الكلاب الأكثر تميزاً، بالرغم من أنه ليس من أولاد كامالا، كان شينا كاروبان (الأسود الصغير). شري بهاغافان بنفسه قد قال عنه التالي. "شينا كاروبان نقياً و أسود في كل جزء منه، و من هنا أتى اسمه. كان شخصاً ذات مبادئ عالية. عندما كنا في كهف فيروباكشا كنا نرى شيء أسود يتحرك على مسافة بعيدة بعض الشيء عنا. كنا نرى في بعض الأحيان رأسه يطل ما بين العشب. الفايراجيا خاصته (عدم تعلقه) بدت قوية جداً. كان لا يرافق احد، و بالواقع بدا و كأنه يتجنب صحبة أي كان. احترمنا استقلاليته و الفايراجيا خاصته و كنا نترك الطعام أمام مسكنه و نرحل بعيداً.

في احدى الأيام، خلال صعودنا على الجبل، قفز فجأة كاروبان أمامي و ركض علي فرحاً و هو يهز ذيله. كيف اختارني أنا و ميزني من بين المجموعة لإظهار عاطفته كان العجب. و من بعدها بقي معنا في الأشرام كأحد المقيمين. كان شخصاً ذكي جداً و خدوم، و كم كان عقله سامي و مترفع! لقد فقد كل انطوائيته السابقة و صار عطوفاً جداً. كانت حالة من الأخوة الإنسانية. كان يصاحب كل مريد و زائر، يتسلق حضنه و يحتضنه .

تم قبول مبادراته بشكل جيد على نحو عام. حاول البعض تجنبه و لكنه كان لا يتعب في محاولته لاستمالتهم و كان لا يقبل بالسالب كجواب نهائي. و لكن إن تم إعطائه الأمر بالذهاب بعيداً كان يطيع تقريباً كراهب ملتزم بنذر الطاعة. في أحدى المرات اقترب من براهمين أورثوذكسي كان يردد المانترات تحت شجرة بالقرب من كهفنا. البراهمين ينظرون إلى الكلاب على أنها ليست نظيفة و يتجنبونها بكافة الوسائل. و لكن، كاروبان، و على ما يبدو متفهماً و مراقباً للقانون الطبيعي للمساواة (ساماتفام)، أصرّ على الاقتراب منه. تعاطفاً مع مشاعر البراهمين قام احد المقيمين في الاشرام برفع عصاه و ضرب الكلب، و لكن ليس بقوة. راح كاروبان بالنواح و ذهب بعيداً و لم يعد أبداً إلى الأشرام، و لم يتم رؤيته ابداً من جديد. كان لا يقترب ابداً من جديد إلى مكان حيث تمت معاملته بسوء، لهذه الدرجة حساس.

"الشخص الذي ارتكب هذا الخطأ على ما يبدو قد أساء تقدير مبادئ الكلب و حساسيته. و بالرغم من هذا كان هنالك تحذير. كان الأمر هكذا. بالاني سوامي قد تحدث و تصرف بوقاحة مع شينا كاروبان. كان الطقس باردا، والليلة ممطرة، و لكن بالرغم من هذا غادر شينا كاروبان المحيط و ذهب لقضاء الليل بأكمله على كيس من الفحم بعيد بعض الشيء من الأشرام. فقط عند الصباح تمت إعادته. كان هنالك تحذير أيضاً بسبب تصرف كلب ثاني. بعض السنوات سابقاً قام بالاني سوامي بتأديب كلب صغير كان معنا في كهف فيروباكشا، فركض الكلب مباشرةً نزولاً إلى بركة سانخاتيرثام و بعد وقت قليل طاف جسده الميت على سطح الماء. تم إعلام بالاني سوامي و المريدين الآخرين الموجودين في الاشرام على الفور أن الكلاب و الحيوانات الأخرى لديها ذكائها و مبادئها الخاصة و لا يجب معاملتها بقسوة. نحن لا نعلم من هي الأرواح التي قد تكون ساكنة في تلك الأجساد و لإنهاء القسم المتبقي من الكارما خاصتها قد تبحث عن صحبتنا."

كلاب أخرى أظهرت الذكاء و المبادئ العالية. عندما كان في سكانداشرام، عادةً ما كان شري بهاغافان يجلس بجانب كلاب الأشرام عندما يكون احدها على وشك أن يلفظ أخر أنفاسه و عند دفنه بالشكل اللائق و وضع حجر على قبره. في السنوات اللاحقة، عندما تم بناء منشاءات الأشرام و بالأخص عندما خف النشاط الجسدي لشري بهاغافان، تمكن البشر من الحصول على الأمور على طريقتهم و أصبح للحيوانات المريدين دخول قليل جداً.

حتى السنوات الأخيرة كانت القرود لا تزال تأتي إلى النافذة بالقرب من أريكة شري بهاغافان و تنظر إليه عبر القضبان. في بعض المرات كان المرء يرى أمهات القرود و أطفالها متعلقة بها، و كأنها تحاول عرضها على بهاغافان، تماماً كما تفعل أمهات البشر. كنوع من التسوية، سُمح للساكنين في الأشرام بإبعادهم عنه و لكن كنوع من التسوية، يجب عليهم رمي حبة موز قبل القيام بذلك.

لحين ما صار عاجز جداً، كان شري بهاغافان يسير على التلة عند كل صباح بعد الساعة السابعة و عند كل مساء حوالي الساعة الخامسة. في أحدى الأمسيات، بدل القيام بالمسيرة القصيرة المعتادة، ذهب صعوداً نحو سكانداشرام. عندما لم يعد في الوقت المعتاد، بعض المريدين تبعوه صعوداً على التلة، و الآخرين تجمعوا في مجموعات صغيرة، لمناقشة أين ذهب، و ما معنى هذا الامر، و ماذا يجب أن يفعلوا حياله، البعض الآخر جلس في القاعة، منتظراً. زوج من القرود أتى إلى باب القاعة و متناسين خوفهم من الناس، دخلوا إلى القاعة و نظروا بقلق نحو الأريكة الفارغة التي كان يجلس عليها شري بهاغافان.

بعد سنوات عديدة حيث فقد البشر أيضاً رؤيتهم لشري بهاغافان على الارض، انتهى يوم القردة. سقف أوراق النخيل كان قد تمدد، مما صعب عليهم الدخول أكثر، و على أية حال تم أخذ معظمهم إلى الغابة من جديد أو تم التقاطهم من قبل البلدية و إرسالهم إلى أميركا من أجل اختبارهم .

من عام ١٩٠٠، عندما انتقل شري بهاغافان للسكن على الجبل، حتى العام ١٩٢٢، عندما نزل إلى الأشرام على السفح، كان متآلفاً جداً مع القرود. يراقبهم عن قرب، مع الحب و التعاطف الذي يملكه الجناني (الحكيم) لكل المخلوقات و مع تلك المراقبة الدقيقة التي كانت طبيعية بالنسبة له.

تعلم أن يتفهم ندائاتهم و توصل إلى معرفة طريقة تصرفهم و نظام الحكم لديهم. اكتشف أنه لكل قبيلة ملك و محافظته المعترف بها، و ان تخطت أي قبيلة أخرى حدودها فسوف تقع حرباً. و لكن قبل القيام بالحرب أو بالسلام، يتم إرسال مبعوث من أحدى القبائل إلى الأخرى. كان شري بهاغافان يقول للزائرين أنّ القرود تعترف به كأنه فرد من مجتمعهم و أنه حكم فيما بينهم.

"القرود، كقاعدة، تقاطع أي فرد منها إن تم الاعتناء به من قبل البشر، و لكنهم كانوا يقومون باستثناء في حالتي. كذلك الأمر، عندما يكون هنالك سوء فهم أو نزاع كانوا يأتون إلي و كنت أهدئهم من خلال إبعادهم عن بعض و إيقاف تشارعهم. قرد صغير قد تم عضه في أحدى المرات من قبل قرد كبير ضمن مجموعته و ترك عاجزاً بالقرب من الأشرام. الفتى الصغير أتى عارجاً إلى الأشرام في كهف فيروباكشا، و لهذا سميناه نوندي (الأعرج). عندما أتت مجموعته خمسة أيام بعد ذلك، رأوا أنني كنت أنا أعتني به و لكنهم بالرغم من هذا أخذوه معهم من جديد. منذ ذلك الحين و صاعداً كانوا يأتون جميعاً للحصول على أي شيء صغير من الممكن أن يؤمنوه لأنفسهم من خارج الأشرام، و لكن نوندي كان يأتي مباشرة إلى حضني. كان يتناول الطعام بنظافة. عندما كان يوضع صحن أرز من ورق الشجر أمامه، كان لا يوقع ولا أي حبة رز خارج الصحن. إن أوقع أي حبة، كان يلتقطها و يتناولها قبل الإكمال على ما في الصحن.

"و لكنه كان حساساً جداً. في احدى المرات، لسببٍ ما، رمى بعض الطعام فقمت بتأنيبه... "كيف! لماذا أنت تقوم بإهدار الطعام؟" قام على الفور بضربي فوق العين و أذاني بعض الشيء. كعقاب لم يتم السماح له بالقدوم و الجلوس في حضني لبضعةأيام، و لكن الفتى الصغير تذلل و ترجى بشدة فاستعاد مقعده السعيد. كان هذا تجاوزه الثاني. في المرة الأولى وضعت كوب الحليب خاصته بالقرب من شفتي للنفخ فيه من أجل تبريده، فانزعج بسبب هذا و ضربني على عيني، و لكن لم يكن هناك أي أذى جدي و عاد على الفور إلى حضني و تملق و كأنه يقول، "سامح وانسى"، لذا كان معذوراً."

صار نوندي لاحقاً ملكاً على قبيلته. خبر شري بهاغافان أيضاً عن قرد ملك آخر كان قد اتخذ الخطوة الجريئة في تجريم اثنين من الذكور المشاكسين في قبيلته. صارت القبيلة عندها مضطربة فغادر الملك و ذهب لوحده إلى الغابة حيث بقي أسبوعين. عندما عاد قام بتحدي المنتقدين و الثوار، و صار قوياً جداً بسبب التاباس (خلوته) التي قام بها في هاذين الأسبوعين لدرجة أنه لم يتجرأ أحد على الاستجابة لتحديه.

في أحد الأيام باكراً عند الصباح تم الحديث عن قرد مستلقياً و هو يحتضر بالقرب من الاشرام. ذهب شري بهاغافان لرؤيته و كان هذا الملك. تم إحضاره إلى الاشرام فاستلقى على شري بهاغافان لدعم نفسه. كان القردان المنبوذان جالسين على شجرة بالقرب و هما يراقبان. تحرك شري بهاغافان لنقل وزنه و القرد المحتضر بشكل غرائزي قام بعض ساقه. "لدي أربعة علامات تقدير مماثلة من القرود الملوك،" قال في احدى المرات، مشيراً إلى ساقه. بعدها صعد من الملك القرد آه أخيرة و رحل. القردان المراقبان بدءا بالقفز صعوداً و نزولاً و الصراخ بحزن. تم دفن الجسد مع طقوس الشرف التي يتم تقديمها إلى سانياسين: تم تغسيله بالحليب و بعدها بالماء و تغطيته بالرماد المقدس؛ تم وضع قطعة قماش جديدة عليه مع ترك وجهه مكشوفاً و تم حرق الكافور أمامه. تم منحه قبر بالقرب من الأشرام و تم بناء حجر فوقه.

هناك قصة غريبة عن امتنان القردة . كان شري بهاغافان سائراً على سفح الجبل في أحدى المرات مع مجموعة من المريدين و عندما اقتربوا من لفائف باشايامان شعروا بالجوع و العطش. على الفور تسلقت قبيلة من القرود على شجرة تين عند الطريق و هزت أغصانها، ناثرةً على الطريق فاكهة التين الناضجة، و بعدها قامت بالرحيل، من دون تناول أية حبة. و في الوقت نفسه أتت نساء تحمل جرات من الفخار مليئة بالمياه للشرب.

من بين الحيوانات المريدين، المفضلة عند شري بهاغافان كانت البقرة لاكشمي. تم جلبها إلى الأشرام كعجل صغير سوية مع والدتها عام ١٩٢٦ مع شخص يدعى آروناتشالا بيللاي من كورامانغالام بالقرب من غودياثام و تم تقديمها كهدية لشري بهاغافان. كان متردداً بقبول الهدية كونه لم يكن هنالك مكان لوضع البقر في الأشرام. و لكن، آروناتشالا بيللاي رفض بشكل تام استرجاعهم معه، و راماناس ديكشيتار، عرض الاعتناء بهم، فهكذا بقوا.

اعتنى ديكشيتار بهم لفترة ثلاثة أشهر و من بعدها تم تركهم مع شخص في البلدة يحتفظ بالبقر. احتفظ بهم لحوالي العام و ثم في أحد الأيام أتى للحصول على دارشان شري بهاغافان و جلبهم معه للزيارة. بدا على العجل و كأنها كانت مجذوبة إلى شري بهاغافان بشكل لا تستطيع مقاومته و حفظت الطريق إلى الأشرام لأنها عادت بمفردها اليوم التالي و من حينها بدأت تأتي عند كل صباح و ثم تعود لوحدها إلى البلدة عند المساء. لاحقاً، عندما أتت للعيش في الأشرام، كانت لا تزال تأتي إلى شري بهاغافان، ذاهبةً مباشرة إليه من دون أخذ أي شخص آخر بعين الاعتبار، و كان شري بهاغافان دائماً يحتفظ بالموز أو بأطعمة شهية أخرى لأجلها. لوقت طويل كانت تأتي بشكل يومي الى القاعة عند وقت الغداء لاصطحابه إلى قاعة تناول الطعام، و بدقة لدرجة أنه لو كان شري بهاغافان منشغلاً بشيءٍ ما و جلس لوقت يتخطى الساعة المحددة، كان ينظر إلى الساعة عندما تدخل و يكتشف أن الوقت كان قد حان.

أنجبت عدداً من العجول، على الأقل ثلاثة منهم في الجايانتي الخاص بشري بهاغافان (عيد ميلاده). عندما تم بناء مسكن للبقر من حجر في الأشرام، تم القرار أن لاكشمي هي أول من سيدخله في يوم افتتاحه، و لكن عند مجيء الوقت لم يكن من الممكن معرفة أين هي؛ كانت قد ذهبت للاستلقاء بالقرب من شري بهاغافان و رفضت المجيء لحين ما يأتي هو أيضاً، لذا هو دخل أولاً و هي خلفه. لم تكن فقط مكرسة لشري بهاغافان

بشكل خارج عن العادة، و لكن البركة و اللطف الذين أظهرهما شري بهاغافان لها كانا استثنائيين جداً. في السنوات اللاحقة كان هنالك عدد من البقر و الثيران في الأشرام و لكن لم يُظهر أب مخلوق منهم هذا النوع من التعلق أو استنبط هكذا بركة. أحفاد لاكشمي لا زالوا هناك.

في ١٧ حزيران ١٩٤٨، أصيبت لاكشمي بالمرض و في صباح الثامن عشر بدا و كأن نهايتها قد اقتربت. عند الساعة العاشرة ذهب شري بهاغافان اليها. "آما (الوالدة)،" قال لها، "أتريدينني أن أكون بالقرب منك؟" جلس بجنبها و وضع رأسها على حضنه. حدق في عينيها و وضع يده على رأسها و كأنه يعطيها الديكشا (الإدخال الشعائري في الطريق الروحي) و كذلك الامر على قلبها. خده على خدها، قام بتمسيدها. راضياً أن قلبها كان صافياً و حراً من الفاسانا (الميول الكامنة) و مثبتة تماماً على بهاغافان، غادرها و ذهب إلى قاعة تناول الطعام من أجل الغداء. كانت لاكشمي واعية حتى النهاية؛ كانت عيناها هادئة. عند الساعة الحادية عشرة و النصف تركت جسدها، بسلام. تم دفنها في أرض الأشرام مع طقوس الدفن الشعائرية كاملة، بالقرب من مدفنة غزال، غراب و كلب تم دفنهم هناك أيضاً بسبب شري بهاغافان. تم وضع حجر مربع على قبرها. تم النقش على الحجر أن شري بهاغافان قد كتب جملة قصيرة تنص على أنها قد حصلت على الموكتي (التحرر). ديفاراجا موداليار سأل بهاغافان إن كان يستعمل هذا كجملة تقليدية، لأن الجملة أن المرء قد حصل على السامادهي تنص بطريقة مهذبة إلى أن شخص ما قد توفي، أو إن كان يعني الموكتي الحقيقي، فقال شري بهاغافان أنها تعني الموكتي.

شري راماناشرام

عندما اتبع المريدين شري بهاغافان نزولاً نحو سامادهي الوالدة عند سفح التلة في كانون الأول ١٩٢٢، كان هنالك كوخ ذات سقف من ورق الشجر فقط كأشرام.

خلال السنوات اللاحقة كبر العدد، أتت التبرعات و تم بناء أماكن العمل الاعتيادية في أرض الأشرام – القاعة حيث جلس شري بهاغافان، المكتب و مكتبة الكتب، قاعة تناول الطعام و المطبخ، حظيرة البقر، مكتب البريد، المستوصف، غرفة الضيوف للذكور (بالحقيقة ليست غرفة و لكن مكان كبير للنوم لمن يرغب بالبقاء لبضعة أيام في الأشرام)، بيتين صغيرين من القش للضيوف الذين كانوا يرغبون بالبقاء لفترة أطول – جميعهم بناء مكون من طابق واحد و مدهونين بالأبيض من الخارج على الطريقة الهندية.

مباشرةً إلى غرب الأشرام هنالك بركة كبيرة ذلت أدراج من حجر تقود مباشرة إلى الماء من النواحي الأربعة. جنوب الأشرام يوجد طريق الباص من تيروفاناماالاي إلى بانغالور والتي تسري شرقاً و غرباً، و إن نظر المرء إلى الشمال، فهو يرى، عبر قناة المياه تحت الأرض، قوس خشبي مدهون بالأسود عليه الاسم "شري راماناشرام" (الشكلين "أشرام" و "أشرامام" صحيحان، أحدهم سانسكريتي و الثاني بالتاميلي) بالأحرف الذهبية. لا بوابة، فقط مقاربة مفتوحة (هذا الامر تغير الآن). أوراق شجر جوز الهند تغطي مبنى الأشرام و ما وراءه، هنالك طلعة الجبل الجليلة و الملوكية.

لم يتم بناء الأشرام فقط. عبر الطريق، قام ماهاراجا مورفي ببناء منزل للضيوف من أجل الراجا الزائرين. و مستعمرة من الأكواخ و الشقق أنشأت، تم بنائها من قبل المريدين أرباب المنازل. مباشرة للجهة الجنوبية من الأشرام، ما بين البركة و الجبل، قام السادهو بإنشاء مستعمرة في بالاكوتو، ساكنين في الكهوف أو الأكواخ ما بين الشجر. داخل الأشرام نفسه هؤلاء الذين كانوا منجذبين أكثر إلى الحركة من التأمل قاموا بأداء حياة من الخدمة في المكتب، الحديقة، مكتبة الكتب، المطبخ، في قسم أو آخر، معتبرين أنفسهم مباركين لوجودهم بالقرب من شري بهاغافان، لرؤيته يمر، ربما ما بين الحين و الأخر ليلاحظهم و يحدثهم.

كل هذا العمار و التخطيط و التعامل مع المال تتطلب إدارة للأشرام لأن شري بهاغافان كان لا يقوم بأي من تلك الأشياء.

لهذا السبب صار أخوه، نيرانجانانداندا سوامي، الشارفاردهيكاري أو حاكم الأشرام. القواعد نمت لتحكيم الحياة في الأشرام. البعض منها كان مزعجاً بالنسبة للمريدين؛ و لكن، إن شعر أي منهم بالرغبة للاعتراض أو الثورة فإن موقف شري بهاغافان كان يمنعه من ذلك، لأنه كان ملتزماً بكل قاعدة و يحترم السلطة، ربما ليس لتلك الدرجة، في المسألة المحددة في وقتها و على القاعدة العامة أنه يجب طاعة الأوامر. كان هنالك معنى في هذا، كما في كل شيء يفعله.

كان ينصح بكتاب من الممكن إتباعه ليس في العزلة و لكن في ظروف العالم في عصر الكالي يوغا هذا، هذا العصر المظلم من الروحانية، و ان كان يحث اتباعه على تذكر الذات خلال التعايش مع الظروف الحياتية اليومية التي قد لا تكون متناسبة جداً مع الحياة الروحية، هو بنفسه قد شكل المثال من خلال الإلتزام و التعايش مع كل قواعد الأشرام. إضافةً لهذا، كان لا يوافق على الناس الذين لجأوا اليه وابتعدوا عن الهدف من خلال الانخلاط بمواضيع الإدارة و جدالاتها. لقد قال، "الناس تأتي الى الأشرام من أجل الحرية و من ثم تتعلق بسياسات الأشرام و تنسى لما أتت الى هنا." إن كانت هكذا أمور هي ما يهمهم، لما كان عليهم المجيء الى تيروفانامالاي من أجلها.

كانت هنالك مناسبات للانتفاضات المبنية على المعارضة و عدم الرضى، و لا يمكن للمرء أن يقول أنها لم تكن محقة، و لكن شري بهاغافان لم يؤيدها. في احدى المرات، أتت مجموعة من المريدين المكونة من رجال أعمال و محترفين من مادراس، و أتت خصيصاً في باص مأجور لإدارة الأشرام و إنشاء مؤسسة جديدة من أجل نظام جديد و أفضل. تجمعوا و دخلوا سوية إلى القاعة و جلسوا أمام شري بهاغافان. جلس صامتاً، وجهه قاسياً، متحفظاً، أبدي كالصخرة. قلقوا، تخبطوا و لم يتجرأ أي منهم على الكلام. في النهاية غادروا القاعة و عادوا إلى مادراس كما جاؤوا. فقط عندها تم إخبار شري بهاغافان عن غاية قدومهم إليه، فقال: "أتسأل لما يأتون إلى هنا. هل يأتون لتصحيح أنفسهم أو تصحيح الأشرام؟"

في الوقت نفسه – درس آخر يجدر ذكره – إن كان أي قانون مثير للقلق أو غير عادل كان لا يلتزم به، تماماً كما لم يلتزم بفكرة اقتراح الدفع من أجل الدخول إلى كهف فيروباكشا. حتى في وقتها، وسيلته نادراً ما كانت بالاعتراض و لكن عبر لفت الانتباه إلى عدم العدالة من خلال تصرفه. في وقت ما كانت الوجبات تقدم في قاعة تناول الطعام في الأشرام و لكن لم يكن من الممكن تقديم القهوة للجميع، لذا هؤلاء الذين كانوا يتناولون الطعام في أخر القاعة، كان يقدم لهم الماء. لاحظ شري بهاغافان – كان دائماً يلاحظ كل شيء – فقال، "أعطوني الماء أيضاً." بعد ذلك شرب الماء و لم يقبل القهوة أبداً.

مرةً عندما تقدّم بالعمر و ركبتاه متيبستان و مشوهتان بسبب الروماتيزم، أتت مجموعة من الأوروبيين ؛ كانت امرأة فيما بينهم، غير معتادة على الجلوس و الساقان متشابكتان حسب الطريقة الهندية، فاستلقت على

الحائط و مدت ساقيها أمامها. أحد الساكنين في الأشرام، ربما لا يعرف كم من المؤلم الجلوس و الأرجل متشابكة لشخص غير معتاد على الموضوع، طلب منها عدم الجلوس هكذا. السيدة المسكينة احمرت خجلاً و أدخلت رجليها إلى الداخل. جلس شري بهاغافان على الفور بشكل مستقيم و ساقيه متشابكين. بالرغم من الالم في ركبتيه استمر بالقيام بذلك و عندما طلب منه المريدين عدم القيام بذلك، لقد قال: "إن كانت هذه هي القاعدة فعلي طاعتها كما الجميع. إن كان من قلة الاحترام أن يمد المرء ساقيه فأنا أقلل من احترام الجميع في القاعة."

كان المقيم في الاشرام قد غادر القاعة بالفعل و لكن تم إعادته إلى القاعة، فطلب من السيدة الجلوس كما يناسبها. حتى عندها كان من الصعب إقناع شري بهاغافان بالراحة.

في السنوات المبكرة كان يتم التصادف مع الانتقاد ما بين الحين و الأخر. كان المريدين الغربيين عرضةً لإنقضاضات المبشرين. أحد المتحمسين دخل حتى إلى القاعة و أطلق خطابه على شري بهاغافان نفسه. شري بهاغافان لم يرد عليه، و لكن صوت الرائد شادويك ذاع في القاعة و هو يتحدى من الخلف تفسير المتحدث للمسيحية، الأمر الذي أقلقه كثيراً فتخلى عن محاولته. حتى في السنوات اللاحقة استمر رجال الدين الكاثوليك بالمجيء، لإظهار الاهتمام و الاحترام و من ثم إلقاء بعض الشكل بطريقة تجعل المرء يتساءل إن كانت قلوبهم مفتوحة أو إن كان هدفهم هو مجرد التبشير و سوء التمثيل.

أتى مسلم في احدى المرات للمجادلة، و لكن لا بد و أنه كان صادقاً في تحديه لأن شري بهاغافان أجابه بصبر.

"هل لله شكل؟" كان السؤال.

"من يقول أن لله شكل؟" رد عليه شري بهاغافان.

أصر السائل، "ان كان الله من دون شكل أليس من الخطأ تمثيله في شكل تمثال و عبادته فيه؟"

فهم الرد على أنه يعني، "لا أحد يقول أن لله شكل." و لكنه عنى تماماً ما عناه ، "دع الله وحده؛ قل لي أولاً إن كان لديك شكل."

بالطبع لدي شكل كما ترى، و لكنني لست الله."

"هل أنت فإذاً الجسد المادي المكون من اللحم و العظم و الدماء المرتدي ثياباً جميلة؟"

"أجل، لا بد و أن يكون الأمر كذلك؛ أنا واعي لوجودي في هذا الشكل الجسدي."

"أنت تنادي نفسك على أنك هذا الجسد لأنك الآن واعي لجسدك، و لكن هل أنت فعلاً هذا الجسد؟ هل من الممكن أن يكون ذاتك خلال النوم العميق عندما تكون غير واعي على الاطلاق لوجوده؟"

"أجل، لا بد و أنني بقيت في الشكل الجسدي نفسه حتى خلال النوم العميق لأنني كنت لا أزال واعي له لحين ما استسلمت للنوم، و في اللحظة التي أستيقظ بها أجد أنني نفسي تماماً كما عند اللحظة التي نمت فيها ."

"و عندما يحصل الموت؟"

توقف السائل و فكر لدقيقة، "حسناً، عندها أعتبر ميتاً و الجسد يدفن."

"و لكنك قلت أن جسدك هو نفسك. عندما يتم أخذه ليدفن لماذا لا يعترض و يقول: "كلا! كلا! لا تأخذوني بعيداً! هذه الممتلكات قد حصلت عليها، هذه الثياب التي ألبسها، هذه الأولاد التي أنجبتها، كلهم لي، يجب علي البقاء معهم!"

إعترف الزائر عندها أنه قد تعارف عن طريق الخطأ مع الجسد و قال، "أنا الحياة في الجسد، و ليس الجسد نفسه."

عندها قام شري بهاغافان بالشرح له: "حتى الآن كنت تعتبر نفسك جدياً على أنك الجسد و أنك تملك شكل. هذا هو الجهل الأول والذي هو السبب الأساسي لكل المتاعب. لحين ما يتم التخلص من ذلك الجهل، لحين ما تعرف طبيعتك التي من دون شكل، إنه لمجرد تحذلق الحديث حول إن كان لدى الله شكل أو لم يكن أو إن كان من الصحيح عبادة الله في صنم حينما هو حقيقةً من دون شكل. لحين ما يرى المرء الذات التي من دون شكل، لا يمكن له أن يعبد حقيقةً الله الذي من دون شكل.

في بعض الأحيان، الأجوبة كانت مقتضبة و مبهمة، و في بعض الأحيان كاملة و واضحة، و لكن دائماً متناسبة مع السائل و حاله. في احدى المرات دخل فقير متنسك عاري من الثياب و بقي لحوالي أسبوع، جالساً مع يده اليمنى مرفوعة بشكل دائم. لم يدخل القاعة بنفسه و لكنه أرسل السؤال، "ماذا سوف يكون مستقبلي؟"

"قولوا له أن مستقبله سوف يكون كحاضره،" كان الجواب. لم يقم فقط بالتوبيخ حول هذا الاهتمام بالمستقبل، و لكن قام بتذكيره حول نشاطه الحاضر، صادق أو غير صادق، كان يخلق حالته المستقبلية.

قام زائر بعرض من المعرفة، مراجعاً للطرق المختلفة التي يمثلها معلمين مختلفين و مستعيناً بأقوال الفلاسفة الغربيين. "أحدهم يقول شيء و آخرين يقولون شيئاً آخر،" استنتج بالنهاية. "أيٍ منكم على حق؟ أي طريق يجب أن أسلك؟"

بقي شري بهاغافان صامتاً، و لكن الزائر ثابر على سؤاله، "رجاءً أخبرني أي طريق يجب علي أن أسلك."

عند اللحظة التي كان شري بهاغافان على وشك مغادرة القاعة، أجابه بلياقة، إذهب في الطريق الذي جئت منه."

تذمر الزائر أمام المريدين و قال لهم أن الجواب لا يساعد، فأشاروا إلى معانيه الأعمق: أن الطريقة الوحيدة هي في العودة إلى المصدر، العودة إلى حيث أتى المرء. في الوقت ذاته، كان الجواب الذي يستحقه.

سونداريسا آييار، أحد المريدين الذين تم الإشارة إليهم سابقاً، سمع أنه سوف يتم نقله إلى بلدة أخرى فبدأ يتذمر و يشكي همه: "أربعون سنة و أنا مع بهاغافان و الآن سوف يتم إرسالي بعيداً. ماذا سوف أفعل بعيداً عن بهاغافان؟"

"كم من الوقت بقيت مع بهاغافان؟".

"أربعون سنة."

عندها، مستديراً نحو المريدين، قال لهم شري بهاغافان، "ها هو شخص كان يستمع لتعاليمي منذ أربعون سنة و ها هو يقول الآن أنه سوف يذهب بعيداً عن بهاغافان!" هكذا جذب الانتباه نحو حضوره الكوني. بالرغم من هذا، تم إلغاء النقل.

سنة بعد سنة بقيت القاعة هي مركز المريدين و نقطة تركيز جميع الذين في العالم و لم يتمكنوا من التواجد في الجسد. بالنسبة لمراقب سطحي قد يبدو أن القليل كان يحدث، و لكن حقيقةً النشاطات كانت هائلة.

على مر السنوات، تغير روتين الحياة بعض الشيء؛ أيضاً المزيد من الروتين، و من القواعد، بدأ يظهر الضعف التدريجي للشكل الجسدي لبهاغافان. لحين ما طرأ التقدم بالسن لم يكن هنالك من ساعات محددة حول الاقتراب أو عدمه نحو بهاغافان. كان متوفراً في كل الأوقات، في النهار و الليل. حتى عندما كان نائماً لم يرض أن تكون أبواب القاعة مغلقة لكي يدخل كل من هو بحاجة إليه. غالباً ما كان هو بنفسه يتحدث إلى مجموعة من المريدين عند المساء و حتى وقت متأخر. البعض منهم، كما سونداريسا آييار، أرباب منزل و لديهم عمل في اليوم التالي، شعروا أنهم بعد قضاء ليلة كهذه مع شري بهاغافان كانوا لا يشعرون بالتعب على الإطلاق بسبب نقص النوم.

في الدائرة الواقعية للحياة اليومية كانت الأمور عادية و تسري بتوقيت و دقة لأن هذا كان فيه تقبل للحياة التي كان شري بهاغافان يعيشها و هو مثال لها. لهذا السبب أيضاً، كان كل شيء نظيفاً و مرتب و في مكانه الصحيح.

كان عادةً ما ينهض حوالي الساعة الثالثة أو الرابعة صباحاً و يمضي حوالي الساعة أو اثنين بتقطيع الخضار أو تحضير الصحون المؤلفة من ورق الشجر (قبل بداية نمو ورق الموز في الأشرام و استعماله لتناول الطعام). في هذا، كما في كل شيء، كان المريدين يتجمعون للمساعدة، للذة التواجد بالقرب منه. في بعض الأحيان كان يقدم المساعدة في الطبخ الأساسي. أعطى التعليمات بعدم رمي قشرة الخضار المقطعة و إعطائها للحيوانات. لا شيء يجب أن يهدر. في أحد الأيام وجد أنه، بالرغم من تعليماته، قد تم رمي الأوراق، فلم ينضم للعمل في المطبخ مجدداً من بعدها.

عام ١٩٢٦ توقف عن القيام بالغيري براداكشينا (الدوران حول الجبل). صارت الحشود كبيرة إلى حد يُصعب إدارته؛ لم يرغب أي شخص بالبقاء في الأشرام عندما كان يذهب إلى هناك، و لكن الجميع أراد صحبته. بالإضافة لهذا، كان الزوار يأتون للدارشان – لحضوره – و هو غائب و لكنهم كانوا يعودون خائبي الأمل بسبب عدم وجوده . في احدى المناسبات أشار أن إعطاء الدارشان، كان وظيفته في الحياة و أنه يجب أن يكون متوفراً لكل من يأتي. ذكر هذا كأحد الأسباب لبقائه عند سفح الجبل بدل العودة إلى سكانداشرام، الذي كان من الصعب الوصول إليه.

لم يتوقف فقط عن القيام بالبراداكشينا و لكنه صار حاضراً دائماً في الأشرام و لا يغيب لأي سبب على الإطلاق باستثناء السير لوقت قليل عند الصباح و المساء. حتى تخليه عن العمل في المطبخ كان أيضاً بسبب الحاجة له ليكون متوفراً لجميع المريدين، بما أن قلة فقط كانت قادرة على الانضمام إليه في هكذا عمل. عندما تم حثه على القيام برحلة لزيارة الأماكن المقدسة في الهند، أحد الأسباب التي أعطاها للرفض كانت أن المريدين قد يأتون إلى الأشرام و لا يجدونه هنا. و خلال مرضه أصر حتى النهاية أن كل من يأتي يجب أن يحصل على الدارشان.

من الممكن أن تُملأ مجلدات حول اختبارات المريدين خلال تلك السنوات و التعاليم و التوجيهات التي تلقوها. و لكن، ليست غاية هذا الكتاب إعطاء سرد مفصل، و لكن صورة عامة حول حياة و تعاليم شري بهاغافان.

الحياة مع شري رامانا بهاغافان

ربما من الصعب تخيل الرجل المقدس في حياته اليومية بدلاً من تلك العجائبية و غير الظاهرة، و لهذا السبب، روتين الحياة اليومية خلال السنوات الأخيرة سوف يساعدنا. الأحداث التي حصلت خلال هذه الفترة هي بقدر القيمة ذاتها كما تلك التي حصلت في السابق، تماماً كما أن المريدين أشاروا إلى أنها كانت مذهلة بقدر الكثير الذي لم يتم ذكره.

عام ١٩٤٧. خمسون عاماً كانت قد مرت في تيروفانامالاي. مع أثر التقدم في السن و الصحة المتردية، تم وضع القيود و لم يعد شري بهاغافان متوفراً لجلسة خاصة أو في كل الساعات. كان ينام على الكنبة حيث كان يعطي الدارشان، بركة حضوره، خلال اليوم، و لكن مع الأبواب مغلقة الآن. عند الساعة الخامسة كانت الأبواب تُفتح و يدخل المريدين في الصباح الباكر بهدوء، ينحنون أمامه و يجلسون على الأرض المكونة من صخر أسود، الذي صار ملساً و لماعاً بسبب كثرة الاستعمال، الكثير منهم على سجادات صغيرة كانوا قد أحضروها معهم. لماذا كان شري بهاغافان، الذي كان متواضعاً جداً، و يصر على المعاملة بمساواة مع الأكثر تواضعاً، يسمح بالانحناء أمامه؟ بالرغم من أنه بشرياً كان يرفض كل الامتيازات، كان يدرك أن التعبد الخارجي للغورو في شكله المتجلي الظاهر كان يساعد السادهانا، في التقدم الوحي. ليس لأن الأشكال

الخارجية من الاستسلام كانت كافية. قالها في احدى المرات بوضوح، "الناس تنحني أمامي و لكنني أعرف لمن هي تسلم في قلبها."

مجموعة صغيرة من البراهمين، التي كانت تسكن في الأشرام، تجلس بالقرب من رأس الكنبة و ترنم الفيدا؛ واحد أو اثنين من الذين ساروا من البلدة، لميل أو اثنين، انضموا إليهم. عند أسفل الكنبة تم إشعال أعواد البخور، التي كانت تنشر رائحتها اللطيفة في الهواء. ان كان الطقس خلال أشهر الشتاء فكانت جمرات مشتعلة من الفحم بالقرب من الكنبة، دليل على صحته المتردية. كان في بعض المرات يدفئ أيديه الضعيفة و أصابعه الرقيقة، تلك الأيدي الرائعة تحت لمعان الضوء و يفرك بعض الدفء في أعضائه. الجميع يجلس بهدوء و في أغلب الأحيان أعينهم مغلقة و في تأمل.

قبل الساعة السادسة ببضعة دقائق يتوقف الترنيم. ينهض الجميع و شري بهاغافان يرفع نفسه بجهد عن الكنبة، يمد يده نحو العصا التي يضعها أحد المريدين بيده، و يمشي بخطى صغيرة نحو الباب. ليس بسبب الضعف أو الخوف من الفشل في السير نظرته نحو الأرض؛ المرء يشعر و كأنه تواضع فطري.

يغادر القاعة من خلال بابها الشمالي، من ناحية التلة، و يمر ببطء، متكئاً على عصاه و منحنياً بعض الشيء، على طول الممر ما بين قاعة تناول الطعام ذات الحيطان البيضاء و مبنى المكتب، عندها، يلتف حول منزل الضيوف، نحو غرفة الاستراحة بالقرب من حظيرة البقر، نحو أقصى الشرق من أبنية الأشرام. اثنين من المريدين يتبعونه، ممتلئين الجسم، قصيرين و سمر البشرة و يلبسون الدوتي البيضاء نزولاً نحو ركبتيهم، في حين هو طويل و رشيق و بشرته ذهبية اللون و مغطى بمئزر أبيض فقط لا غير. يرفع نظره بين الحين و الأخر فقط عند مناسبة قدوم بعض المريدين نحوه أو للابتسام لطفل ما.

ليس هنالك من طريقة لوصف شعاع ابتسامته. المرء الذي قد يبدو كرجل أعمال قاسي قد يغادر تيروفانامالاي مع إيقاع في قلبه بسبب تلك الابتسامة. امرأة بسيطة قالت: "أنا لا أفهم الفلسفة و لكن عندما يبتسم تجاهي أشعر بالأمان، تماماً كما الطفل في ذراعي والدته. لم أكن قد رأيته بعد عندما استلمت رسالة من ابنتي ذات الخمسة سنوات: "سوف تحب بهاغافان. عندما يبتسم لا بد و أن الجميع سعيد."

الإفطار عند السابعة. بعد الإفطار يذهب شري بهاغافان للمشي قليلاً و من ثم يعود إلى القاعة. في الفاصل تكون القاعة قد تم تكنيسها و ووضع أغطية نظيفة على كنبته، البعض منها مطرز بشكل ثمين، كونها هدايا من مريديه. كلها نظيفة تماماً و مطوية بحذر، لأن مرافقيه يعلمون كم هو دقيق و سيلاحظ كل تفصيل، و إن علق عليه أم لا يعلق.

عند الساعة الثامنة يكون شري بهاغافان قد عاد إلى القاعة و يبدأ المريدين بالوصول. عند الساعة التاسعة تكون القاعة ممتلئة. إن كنت قادم جديد فأنت تشعر على الاغلب كم القاعة حميمة، و كم أنت قريب من المعلم، لأن المساحة كاملة هي فقط حوالي ٤٠ قدم ب١٥. هي تسري من الشرق و الغرب مع باب من كل جهة. ذلك الذي على الشمال، ينفتح على مربع مغطى من فوق بأغصان الشجر و قاعة تناول الطعام على الجهة الشرقية و من الغرب الحديقة و المستوصف. ذلك الذي على الجنوب يقود إلى خارج المعبد، و بعده، الطريق، الناحية التي يأتي منها المريدين. الكنبة هي على الجهة الشرقية من ناحية الشمال للقاعة. جنبها خزانة من الكتب يحتوي على الكتب التي غالباً ما هي عن الطلب، و عليه تقف ساعة، في حين واحدة أخرى معلقة على الحائط بالقرب من الكنبة، الاثنين على التوقيت ذاتها تماماً.

إن تم احتياج أي كتاب كمرجع، يعرف شري بهاغافان تماماً أين موقعه، على أي رف، و على الاغلب الصفحة و المقطع المحدد الذي سوف يُشار إليه. خزانات كبيرة من الكتب مع أبواب من الزجاج لتغطيتها تقف على الحائط الجنوبي.

معظم المريدين يجلسون في القاعة، متقابلين مع شري بهاغافان، أي بمقابل الشرق، النساء أمامه، على النصف الشمالي من القاعة، و الرجال على يساره. فقط بضعة من الرجال يجلسون بالقرب من الكنبة، مع ظهورهم إلى الحائط الجنوبي و أقرب إلى شري بهاغافان من الآخرين. بعض السنين سابقاً كان للنساء هذا الشرف و بعدها لسبب ما، تم تغيير الموقف. التقليد الهندي هو بجلوس الرجال و النساء منفصلين عن بعض و شري بهاغافان وافق على هذا، لأن الجاذبية التي فيما بينهم قد تقلق الجاذبية الروحية الأعظم.

من جديد أعواد البخور مشتعلة. البعض يجلس هناك و أعينهم مغلقة في التأمل، و البعض الآخر مسترخي و يتمتع بالنظر إلى شري بهاغافان. زائر يقوم بغناء لأغاني تقدير قام هو بتأليفها. شخص كان بعيد و عاد، يمنح تقدمة من الفواكه عند أقدامه، و من بعدها يجد مكان له ما بين الصفوف الجالسة أمامه. أحد المريدين يقوم بإعطاء جزء من التقدمة التي تم منحها لشري بهاغافان كنوع من البراسادام؛ قد يعطى شيءٍ ما للأطفال الذين يدخلون القاعة، للقردة التي تقف عند النافذة بالقرب من الكنبة أو تنظر من الباب، و لطيور الطاووس، أو البقرة لاكشمي إن قامت بالزيارة. الباقي يؤخذ لاحقاً إلى قاعة تناول الطعام لمشاركته بين المريدين.

لا يقبل شيئاً شري بهاغافان لنفسه. هنالك رقة أقدس من أن تذكر في نظرته. ليست فقط التعاطف للمشاكل الآنية للمريدين و لكن للحمل الكبير بأكمله للسامسارا، لحياة الإنسان. و لكن، بالرغم من رقته، الخطوط على وجهه تُظهر شدة شخص قد هزمَ و لم يتنازل ابداً. منحى القساوة هذا عادةً ما هو مغطى بنمو لطيف للشعر الابيض، لأنه، كسانياسين، رأسه و وجهه يتم حلقهم في يوم اكتمال القمر من كل شهر. العديد من المريدين يتندمون على هذا لأن نمو الشعر الابيض على الرأس و الوجه يعززان كثيراً منحى البركة و الرقة و لكن لا احد يتجرأ على ذكر ذلك.

وجهه كوجه الماء، دائماً متغير، و لكن دائماً هو ذاته. من المذهل كيف ينتقل مباشرة من الرقة إلى العظمة الشبيهة بالصخر العملاق، من الضحك إلى الرقة. يأتي إلى الحياة بشكل كامل تغير كل وجه لدرجة أن المرء لا يشعر بأن هذا وجه شخص واحد بل وجه كل البشرية. تقنياً قد لا يكون جميلاً، لأن الملامح ليست عادية؛ و بالرغم من هذا أكثر الوجوه جمالاً يبدو بلا قيمة أمامه. هكذا حقيقة في وجهه تعطي انطباعاً ينغمس في الذاكرة و يبقى في حين الذكريات الأخرى تغيب. حتى هؤلاء الذين رأوه فقط لفترة قصيرة أو في الصورة يتذكرونه بعين بصيرته واضحاً أكثر من هؤلاء الذين يعرفونهم جيداً. بالفعل، قد يكون الحب، البركة، الحكمة، الفهم العميق، براءة الأطفال التي تشع من هكذا صورة هي نقطة بداية للتأمل أفضل من أية كلمات.

حول الكنبة، بضعة أقدام بعيداً عنها، هنالك درابزين يعلو حوالي ١٨ إنشاً. سبب بعض الجدال عند البداية. لاحظت إدارة الأشرام كيف أن شري بهاغافان عادةً ما كان يمتنع من أن يتم لمسه و ينسحب إلى الوراء إن حاول أي شخص القيام بذلك. متذكرين، إضافةً لهذا، كيف أن مريد مضلل قام باحدى المرات بكسر قشرة جوز الهند و سكب الحليب فوق رأسه، لهذا قرروا أن هذا النوع من العزلة قد يكون أفضل. العديد من المريدين، من ناحية أخرى، شعروا أن الدرابزين حاجزاً ما بينهم و شري بهاغافان. النقاش حول إن كان موافقاً على هذا استمر أمامه، و لكن لم يتجرأ احد على الطلب منه أن يقرر. جلس شري بهاغافان غير متأثراً.

بعض المريدين، دون النهوض من مكانهم، يتحدثون مع شري بهاغافان عن أنفسهم و أصدقائهم، و يشاركون الأخبار حول المريدين الغائبين، و يطرحون الأسئلة العقائدية. المرء يشعر و كأنه في جو منزلي، لعائلة عظيمة. ربما لدى فرد ما مسألة شخصية ليشاركها فيذهب إلى الكنبة للحديث إلى شري بهاغافان بنغمة متدنية أو لإعطائه ورقة كتب عليها كل شيء يرغب ببوحه. قد يرغب بجواب أو قد يكون من الكافي مجرد إعلام شري بهاغافان و الإيمان أن كل شيء سوف يكون بخير من بعدها.

تأتي والدة و معها طفل صغير و هو يبتسم له بشكل أجمل من الأم. فتاة صغيرة تأتي بلعبتها و تنحني أمام الكنبة و من ثم تعرضها أمام بهاغافان الذي يتناولها و ينظر إليها. قرد صغير يتسلل من خلال الباب و يحاول التقاط حبة موز. أحد المرافقين يطرده، و لكن هنالك مرافق واحد فقط موجود، فيركض القرد الصغير إلى نهاية القاعة و من ثم من خلال الباب الآخر فيهمس له شري بهاغافان بعجلة: "بسرعة! بسرعة! سوف يعود قريباً." سادهو ذات شكل بربري مع شعر متعقد و ثوب أرجواني يقف و أيديه مرفوعة أمام الكنبة. رجل ثري من البلدة يرتدي بزة أوروبية يقوم بانحناءة لائقة و يؤمن مقعد أمامي؛ صديقه، ليس متأكد تماماً من تعبده، لا ينحني على الاطلاق.

مجموعة من علماء الدين تجلس بالقرب من الكنبة، تترجم عمل سنسكريتي، و تأخذه إليه من وقت لوقت لتوضيح نقطة معينة. فتى عمره ثلاث سنوات، لكي لا يتخطاه أحد يأخذه قصته حو بو بيب الصغير، و شري بهاغافان يتناولها أيضاً، و باللياقة ذاتها، ينظر إليها بذات الاهتمام؛ و لكنها ممزقة، لذا يمررها إلى أحد المرافقين لإعادة تجديدها و يعيدها إليه في اليوم التالي و قد تم اصلاحها بشكل لائق.

المرافق مثابر في عمله. هو يحتاج لهذا لأن شري بهاغافان نفسه هو عالم بالعين و اليد و لن يمرر أي عمل قذر. المرافقون يشعرون أنهم يتمتعون بالبركة الخاصة لشري بهاغافان. كذلك العلماء. و كذلك الفتى ذو الأعوام الثلاث. المرء يدرك تدريجياً كيف أن عمق الرد بسرعة يؤدي بمريدين ذات ميول عقلية مختلفة إلى الحصول على علاقة حميمة خاصة مع المعلم.

تدريجياً المرء يلاحظ المرء أيضاً شيئاً من المهارة و اللطافة بإرشاد شري بهاغافان – أو بدلاً عن التحكم الإنساني لطريقة إرشاده، لأن الإرشاد نفسه هو غير ظاهر. الجميع هم كتاب مفتوح بالنسبة له. يرمي نظرة حادقة نحو هذا المريد أو ذاك لرؤية تقدم التأمل خاصته؛ و بين الحين و الأخر تقع عيناه كاملةً على أحدهم و تبقى لفترة، ناقلة للقوة المباشرة لبركته. و بالرغم كل هذا يتم المحافظة عليه بشكل عادي قدر الامكان: النظرة قد تكون جانبية أيضاً لتجنب الانتباه، نظرة حازمة اكثر قد تكون فيما بين قراءة الجريدة أو عند جلوس المتلقي هو نفسه و أعينه مغلقة و هو غير مدرك؛ هذا قد يكون للحرس تجاه الخطر ذو حدين للغيرة فيما بين المريدين و غرور الذي تم اختياره للحصول على النظرة.

الانتباه الخاص عادةً ما يُمنح للقادم الجديد – هذا الموضوع اعتاد المريدين عليه. ربما سوف ترحب به ابتسامة في كل مرة يدخل فيها إلى القاعة، سوف تتم مراقبته في التأمل، و تشجيعه بتعليقات ودية. قد يستمر هذا الأمر لبضعة أيام أو أسابيع أو أشهر، لحين ما يتم إيقاد التأمل في قلبه أو لحين ما يصير متعلقاً بحبه نحو شري بهاغافان. و لكن طبيعة الأنا المغرورة للإنسان على الأغلب قد تكون تغذت على الانتباه و قد بدأت بإعطائه نوع من الفوقية على المريدين الآخرين فقط هي و شري بهاغافان يرونه. و من بعدها سوف يتم تجاهله لفترة لحين ما ينتج جواب أعمق من الداخل بسبب فهم أعمق. لسوء الحظ، لا يحصل هذا دائماً؛ في بعض الأحيان الغرور حول علاقة فردية مميزة خاصة مع شري بهاغافان يبقى.

عند حوالي الساعة الثامنة و النصف يتم جلب الصحف إلى شري بهاغافان و إن لم يتم طرح أي سؤال عليه فسوف يفتح البعض منها و يلقي نظرة، و ربما يعلق على موضوع ذو اهتمام – بالرغم من أنه على الاطلاق ولا بأي شكل من الممكن تناوله كرأي سياسي. بعض الصحف تُرسل إلى الأشرام نفسه؛ البعض يتم طلبها بشكل خاص من قبل مريد أو آخر و يتم تمريرها إلى شري بهاغافان أولاً، فقط للذة قراءة ورقة قد لمسها هو. من الممكن للمرء أن يرى الصحيفة الخاصة بشخص ما لأنه سوف يعيد ترتيبها كما كانت قبل قراءتها فيستلمها مالكها بحالتها الأصلية كما وصلت.

حوالي الساعة العاشرة كان شري بهاغافان يذهب للمشي حوالي التلة، و لكن خلال السنوات الأخيرة صار جسده ضعيفاً جداً فصار يمشي فقط حول الأشرام. الجميع ينهض حينما يغادر القاعة، باستثناء الذين هم في حالة من التأمل العميق. خلال هذه الاستراحة يتجمعون و يتحدثون بمجموعات صغيرة – الرجال و النساء سوية، لأنه فقط خلال جلوسهم في القاعة يكونون منفصلين عن بعضهم البعض. البعض يقرأ جريدته؛ الآخرون يذهبون للحصول على البريد خاصتهم من راجا آيير، مسؤول البريد الخدوم و الحذق الذي يعرف كل شيء حول الجميع.

يدخل شري بهاغافان من جديد، و إن كان الذين في القاعة يتحركون بما يوحي نهوضهم فهو يشير إليهم بالبقاء جالسين كما هم. "إن قمتم بالنهوض عندما أدخل فيجب عليكم النهوض لكل شخص يدخل إلى القاعة." في أحدى المرات، خلال الأشهر الحارة من السنة، تم وضع مروحة كهربائية على النافذة بالقرب منه. طلب من احد مرافقيه أن يطفئها، و عندما لم يقم بما طلب منه المرافق قام هو بنفسه بالنهوض و سحب الشريط الكهربائي. كان المريدين بكل بساطة في حالة حر شديد؛ لماذا عليه هو فقط الحصول على مروحة؟ لاحقاً تم وضع مراوح على السقف واستفاد الجميع من الموضوع.

تم جلب البريد للتو إلى شري بهاغافان. رسالة وجهتها بكل بساطة "الماهارشي، الهند." صندوق من بذور الورد من قبل مريد من أميركا لزرعها في حديقة الأشرام. رسائل من مريدين من كافة أنحاء العالم. شري بهاغافان يقرأ كل واحدة منها بدقة، حتى مدققاً بالعنوان و الطابع البريدي. إن كانت اخبار من مريد لديه اصدقاء في القاعة فسوف يشاركها معهم. هو بنفسه لا يجيب على الرسائل. هذا يعبر عن موقف الجناني (المتنور)، كونه لا يملك علاقات، ولا اسم لكي يوقعه. تتم كتابة الأجوبة في مكتب الأشرام و تقديمها إليه عند فترة بعد الظهر و يشير أن كان هنالك أمر غير لائق فيها. إن كانت هنالك حاجة لشيء محدد أو شخصي في الجواب قد يشير إلى الموضوع، و لكن على صعيد عام فإن تعاليمه واضحة جداً لدرجة أن المريد قادر بسهولة على تكريرها لفظياً – هي البركة خلف الكلمات التي من الممكن له هو وحده إعطائها.

بعد الانتهاء من الرسائل قد يجلس الجميع بصمت، و لكن ليس من توتر في الصمت؛ إنه مشع بالسلام. ربما يأتي أحدهم لأخذ الاذن بالرحيل، سيدة عيونها تدمع و مضطرة إلى الرحيل، و العيون المنيرة لبهاغافان تسكب الحب و القوة. كيف من الممكن للمرء وصف تلك العيون؟ النظر إليها يجعل المرء يشعر أن كل أحزان العالم، كل صراعات المرء الماضية، كل مشاكل العقل، تسقط كما لو أنه قد تم رفع المرء من مستنقع خانق إلى الحقيقة الساكنة للسلام. ليس هنالك من حاجة للكلمات؛ بركته تثير قلب المرء فهكذا يقوم الغورو الخارجي بتوجيه المرء للاستدارة و التواصل مع الغورو في الداخل.

عند حوالي الساعة الحادية عشرة يرن جرس الأشرام للنداء إلى تناول الغذاء. الجميع ينهض لحين خروج شري بهاغافان من القاعة. إن كان يوماً عادياً ينصرف المريدين إلى منازلهم، و لكن ربما قد يكون هنالك احتفال ما أو يتم منح البهيكشا من قبل احد المريدين كتقدمة أو شكر و الجميع مدعوين إلى الغذاء. قاعة تناول

الطعام الكبيرة خالية تماماً من المفروشات. قطع من قشرة الموز يتم طرحها كصحون في صفوف مزدوجة بالعرض على طول الأرض المصفوفة بالبلاط الاحمر و يجلس المريدين متشابكي الأرجل أمامها. التقسيم في وسط القاعة يمتد إلى ثلاثة أرباع من عرض القاعة. في أحد الجهات يجلس البراهمين الذين يفضلون الاحتفاظ على أورذوذوكسيتهم (تقاليدهم)، و على الجهة الأخرى الغير براهمين، و الأجانب و البراهمين الذين يفضلون تناول الطعام مع باقي المريدين. هكذا يتم تحضير الطعام للأورثوذوكسيين، و لكن شري بهاغافان لا يقول شيئاً نحو توجيه البراهمين إلى الامتناع أو إلغاء أورثوذوكسيتهم، على أي معيار ليس بشكل ظاهر أو إلى الجميع. هو بنفسه يجلس و الحائط الشرقي ورائه و يستطيع أن يرى أمامه قسمي المريدين.

المرافقين و نساء البراهمين يسيرون على طول الصفوف و يقدمون الأرز، الخضار و التوابل على الأوراق. الجميع ينتظر شري بهاغافان للبدء في تناول طعامه و هو ينتظر لحين ما يتم تقديم الطعام للجميع. تناول الطعام هو وظيفة لها وقتها الكامل، و لا يتم خلطها مع الأحاديث، كما في الغرب. امرأة أميركية تجد أنه من الصعب التأقلم مع العادات الهندية قد جلبت ملعقة معها. أحد المقدمين يضع بعض الخضار على ورقتها و يقول لها أنه قد تم تحضيرهم خصيصاً لها من دون إضافة التوابل خلال الطبخ – شري بهاغافان نفسه قد أعطى التعليمات حول هذا الموضوع. البقية تأكل بانغماس بأيديها. المرافقين يمرون صعوداً و نزولاً على طول الصفوف، مقدمين حصة ثانية، للماء، زبدة الحليب، الفاكهة أو الحلويات. شري بهاغافان ينادي أحد المريد ين بغضب. عندما يكون هنالك إهمال في التقنيات الخارجية للحياة فهو قد يظهر الغضب. المرافق يضع ربع مانغا على كل ورقة و قد وضع نصف على صحنه هو. فيعيدها اليه و يأخذ أصغر قطعة يستطيع رؤيتها.

واحداً تلو الآخر ينتهي العشاء، و عند انتهاء كل واحد ينهض و يغادر، متوقفاً لغسل يديه عند الحنفية في الخارج قبل خروجه من المنزل.

لحين الساعة الثانية يرتاح شري بهاغافان في القاعة و يتم إغلاقها أمام المريدين. إدارة الأشرام قد قررت أن صحته المتدهورة قد جعلت فترة الراحة هذه خلال وسط النهار ضرورية، و لكن كيف كانوا سوف يعرضون الأمر عليه. إن تم الطلب منه قبول معاملة مميزة قد لا تتناسب مع المريدين فقد يرفض على الأغلب. بدلاً من المخاطرة قرروا القيام بالتغيير بطريقة غير رسمية من خلال الطلب من المريدين عدم دخول القاعة عند ذلك الوقت. لبضعة أيام سار كل شيء على ما يرام، و عندها أتى قادم جديد، لا يعرف القواعد، و دخل الى القاعة بعد تناول الغذاء. ترجاه أحد المرافقين للخروج، و لكن شري بهاغافان ناداه و سأله ما الذي يحصل. بعد الغذاء في اليوم التالي كان شري بهاغافان جالساً عند عتبات القاعة و عندما سأله المرافقين ما الذي يحصل، قال لهم "يبدو أنه من الممنوع على الأشخاص الدخول إلى القاعة لحين ما تصير الساعة الثانية." فقط بعد صعوبةٍ كبيرة قبل بساعات الراحة هذه.

بعد الظهيرة قد تكون هنالك وجوه جديدة في القاعة، لأن قلة من المريدين تجلس كل النهار هناك. حتى هؤلاء الذين يعيشون بالقرب من الأشرام عادةً ما يكون لديهم واجباتهم المنزلية أو واجبات أخرى و العديد لديهم أوقاتهم المحددة للحضور.

شري بهاغافان لا يتحدث على الاطلاق حول العقيدة إلا باستثناء الجواب على سؤال، أو فقط نادراً جداً. و عندما يجيب على الأسئلة لا تكون نبرته كتلك التي يعتمدها المبشر أو الكاهن بل في سبيل الحديث العادي، عادةً مع الحذاقة و الضحك. و ليس حتى من المتوقع بالنسبة للسائل أن يقبل أي شيء لأنه هو يقوله؛ هو حر في المناقشة لحين ما يقتنع. احد الثيوصوفيين سأل شري بهاغافان حول ما إذا كان موافقاً على البحث عن

المعلمين الخفيين فأجاب بحذاقة سريعة، "إن كانوا مخفيين فكيف من الممكن لك رؤيتهم؟" "في الوعي،" أجابه الثيوصوفي، و عندها أتى الجواب الحقيقي، "في الوعي ليس هنالك من آخرين."

أحدهم من أشرام آخر قام بطرح السؤال، "هل أنا محق في القول أن الفرق هو في أنك لا تنسب الحقيقة للعالم في حين أننا نحن نفعل ذلك؟"

فقام شري بهاغافان باستعمال المزاح من أجل تفادي الجدل. "على العكس، بما أننا نقول أن الكينونة هي وحيدة ننسبها للحقيقة الكاملة للعالم، و ما هو أكثر فنحن ننسب الحقيقة الكاملة لله: و لكن من خلال القول أنه هنالك ثلاثة فأنت تعطي ثلث حقيقة فقط للعالم، و ثلث حقيقة واحد فقط لله.

إنضم الجميع في الضحك، و لكن بالرغم من هذا انجرف بعض المريدين في الجدال مع الزائر، و ثم علق من بعدها شري بهاغافان، "ليس هنالك من فائدة كبيرة في هكذا أحاديث."

إن كانت الأسئلة بالإنكليزية يجيب من خلال مترجم. بالرغم من أنه لا يتحدث الإنكليزية بطلاقة فهو يفهم كل شيء و يسحب المترجم بحال كان هنالك عدم دقة في الترجمة.

بالرغم من أنها ترتدي زّي عقائدي، أجوبة شري بهاغافان هي أكثر موجهة للحال الحالي، تختلف استناداً إلى السائل. مبشر مسيحي طرح عليه السؤال التالي، "هل الله شخصي؟" و، من دون التنازل بعقيدة الأدفايتا، حاول شري بهاغافان جعل الجواب سهلاً بالنسبة له: "أجل، هو دائماً الشخص الأول، "الأنا" التي تقف دائماً أمامك. إن كنت تعطي الأولوية للأشياء المادية فإن الله يبدو و كأنه يتراجع إلى الخلفية؛ إن تخليت عن كل شيء آخر و بحثت عنه هو وحده فهو وحده سيبقى كالأنا، الذات الحقيقية."

يتساءل المرء إن كان المبشر قد تذكر أن هذا هو اسم الله الذي تم إعلانه من خلال موسى. شري بهاغافان يعلق في بعض الأحيان على عظمة اسم "أنا هو" كاسم مقدس.

القادمين الجدد عادةً يطرحون الأسئلة و ينالون الأجوبة. المريدين نادراً ما يكون لديهم أسئلة ليطرحوها، البعض منهم أبداً. الأجوبة ليست هي التعاليم؛ هي فقط لوحة إعلان للتعاليم.

عند الساعة الخامسة إلا ربع. يدلك شري بهاغافان ركبتاه المتيبستان و قدميه و يتناول عصاه. في بعض الأحيان يتطلب الأمر منه محاولتان أو ثلاثة للنهوض عن الكنبة، و لكنه لا يقبل المساعدة. خلال العشرون دقيقة من غيابه يتم تنظيف القاعة و تغيير أغطية الكنبة.

حوالي العشرة إلى خمسة عشرة دقيقة بعد عودته يبدأ ترنيم الفيدا، و يتبعه الأوباديسا سارام، "التعاليم في ثلاثون آية" لشري بهاغافان. هذه نقطة حيث شري بهاغافان قد أزال التقليد، لأنه بالطريقة الأورثوذوكسية، من المسموح فقط للبراهمين أن يستمعوا لترنيم الفيدا، في حين أن الجميع يفعل هذا الأمر هنا. عندما تم سؤاله ما هي الفائدة من هذا، أجاب بكل بساطة، "صوت الترنيم يساعد في تهدئة العقل." لقد قال أيضاً بشكل واضح أنه ليس من الضروري أن يتعلم المرء المعنى. هذا وصف عملي لما تم قوله عن "التأمل" الذي كان يلقنه – أنه الوجهة ليست الفكر إنما التوجه الى الداخل نحو الوعي فيما يتعدى الفكر.

يدوم الترنيم لحوالي الثلاثةٌ و خمسون دقيقة. و الأمر يحصل، غالباً ما يجلس هو جامداً، من دون حركة، بجلال، كما و لو أنه محفور في الصخر. عندما ينتهي الترنيم يجلس الجميع حتى الساعة السادسة, موعد

مغادرة النساء. بعض الرجال يبقى لساعة أخرى، عادةً في صمت، في بعض الأحيان يتحدثون و يتلون الأغاني التاميلية؛ و من بعدها هنالك العشاء و يغادر المريدون.

الجلسة المسائية هي بالتحديد ثمينة لأنها تحتوي على قدسية الصباح الباكر مع حميمية الساعات الأخيرة. و بالرغم من هذا، بالنسبة لهؤلاء الذين يفهمونها، القدسية هي دائماً هناك، حتى عندما يضحك شري بهاغافان و يمزح.

يأتي مريد لتدليك قدميه ببعض المراهم، و لكنه يأخذه منه. يتذمرون كثيراً. و لكنه يحول الرفض إلى مزحة: "لقد حصلت على البركة من خلال النظرة و الكلام و الآن تريد البركة من خلال اللمس؟ دعني أحصل على البعض من بركة اللمس بنفسي."

و لكن، الأمر مجرد انعكاس بسيط لحس الفكاهة لديه الذي من الممكن وضعه على الورق، لأن طريقة قوله للكلام كانت أهم من سرده له، بالرغم من أن الكلام كان مليء بالدهاء و الحنكة. عندما كان يسرد قصة، كان ممثلاً كاملاً، يعيد إنتاج الأجزاء و كأنه يعيشها. من المذهل مشاهدته، حتى بالنسبة لهؤلاء الذين لم يتفهموا اللغة. الحياة الحقيقية أيضاً هي جزء كان يلعبه إذن في الواقع التحول من الفكاهة إلى التعاطف العميق كان امراً سريعاً جداً.

حتى في الأيام الأولى، عندما كان الجميع يعتقد أنه غير مدرك لشيء، كان لديه حس فطن من الفكاهة، و كانت دعابات لم يسردها إلا بعد سنين لاحقة. خلال أحدى المناسبات قامت والدته و حشد بزيارته في بافالاكونرو، قاموا بإقفال الباب من الخارج عندما ذهبوا إلى البلدة لإحضار الطعام، خوفاً منهم من أن يغادر. و لكنه ، كان يعرف أنه من الممكن رفع مسكاته و فتحه حتى و هو مقفل، لذا لكي يتجنب الحشد و الإزعاج قام بالانسحاب بهذه الطريقة عندما كان الحشد غير موجوداً. عند عودتهم وجدوا الباب مغلقاً و لكن الغرفة فارغة. لاحقاً، عندما لم يكن احد منهم موجوداً، عاد بذات الطريقة. جلسوا يتشاركون الأخبار حوله كيف أنه اختفى و باب الغرفة مغلق من الخارج و من بعدها عاد و ظهر من خلال السيدهيز (القوى الخارقة)، و لم تظهر أي رجفة على وجهه، و لكن بعد سنوات لاحقة راحت القاعة تهتز كلها بسبب الضحك عندما تحدث عن القصة.

يجب قول كلمة أيضاً عن الاحتفالات السنوية الكبيرة. كان معظم المريدين غير قادرين على العيش بشكل دائم في تيروفانامالاي و قادرين على القدوم فقط بين الحين و الأخر، لهذا كان هنالك دائماً حشود عند الأعياد الرسمية، بالأخص للأعياد الأربعة كارتيكاي، ديبافالي، ماهابوجا (عيد وفاة الوالدة) و جايانتي (عيد مولد شري بهاغافان). جايانتي كان أعظم و اكثر الاعياد حضوراً فيما بين هؤلاء. في البداية كان شري بهاغافان متردداً حول الاحتفال به على الإطلاق. فقام بتأليف الستانزا:

أنتم الذين ترغبون بالاحتفال في عيد ميلادي، أبحثوا أولاً عن أية لحظة كان فيها مولدكم. العيد الحقيقي للمرء هو عندما يدخل ذاك الذي يتعدى الولادة و الموت – الكائن الأزلي.

على الاقل خلال عيد ميلاد المرء يجب عليه أن ينعى دخوله إلى هذا العالم (السامسارا). التعظيم و الاحتفال به هو كإمتاع و تزيين جثة. البحث عن الذات الحقيقية للمرء و الاتحاد فيها: هذه هي الحكمة.

و لكن، بالنسبة للمريدين، عيد مولد شري بهاغافان كان سبباً للفرح و تم حثه على الرضوخ؛ و لكنه رفض عندها و عند أية مناسبة القيام بالبوجا له (العبادة الطقسية). كان الحشد عظيماً و تناول جميع المريدين

وجباتهم مع شري بهاغافان عند ذلك اليوم. حتى قاعة تناول الطعام الكبيرة كانت غير ملائمة؛ تم إنشاء سقف من ورق النخيل مرفوع بقصب البامبو فوق الساحة في الخارج و جلس الجميع هناك. تمّ إطعام للفقراء أيضاً، في بعض الأحيان كان الامر يتطلب مناوبتين أو ثلاثة لإطعامهم، مع وجود الشرطة و فتيان الكشافة يحرسون المكان و ينظمون الحشود.

في هكذا أيام كان شري بهاغافان يجلس متحفظاً، هادئ، و بالرغم من هذا كانت لديه نظرة تعارف حميمة مع كل مريد يحضر. خلال احدى احتفالات الكارتيكاي، عندما كانت الحشود تملأ أرضية الأشرام بكامله، و تم تأسيس درابزين حواليه لكي يحافظوا على مسافة بينه و بينهم، تسلل ولد صغير من خلال القضبان و ذهب نحوه ليُريه لعبته الجديدة. فاستدار نحو مرافقه و قال له، ضاحكاً، "أترى كم هذا الدرابزين مفيداً!"

في أيلول ١٩٤٦ حصل احتفال كبير بمناسبة العيد الخمسون لقدوم شري بهاغافان إلى تيروفانامالاي. فاجتمع المريدين من كافة الأصقاع. تم تجميع تذكار يوبيل ذهبي من المقالات و القصائد التي تم كتابتها للمناسبة.

خلال السنوات الأخيرة صارت القاعة القديمة صغيرة جداً حتى خلال الأيام العادية، و صارت العادة المعتمدة أكثر هي الجلوس خارجاً تحت سقف ورق النخيل.

عام ١٩٣٩ بدأ العمل على المعبد فوق سامادهي الوالدة، وانتهي عام ١٩٤٩، سوية مع قاعة جديدة ليجلس فيها شري بهاغافان و مريديه. كانوا جزئين من مبنى واحد، تم بنائهما سوية من خلال بنائي معابد تقليديين استناداً للطقوس الساسترابيك (المخطوطة).

المبنى يمتد جنوب القاعة القديمة و المكتب، و فيما بينهم طريق. الجانب الغربي منه، جنوب القاعة القديمة، هو المعبد، الجانب الشرقي عملاق، مربع، تهوئته جيدة حيث كان شري بهاغافان يجلس مع مريديه.

الكومبهابهيشيكا، أو الافتتاح الطقسي للمعبد و القاعة، كان احتفالاً مهيباً بالنسبة لكل من حضر من المريدين. لقد توج سنين من الجهد، العمل و التخطيط. و لكن شري بهاغافان، كان متردداً في الدخول الى القاعة الجديدة.

كان يفضل البساطة و لم يكن يحب أشكال التعظيم و التكبير على حسابه. العديد من المريدين كانوا أيضاً مترددين – القاعة القديمة كانت حيوية جداً بحضوره و الجديدة بدت و كأنها باردة و خالية من الحياة . عندما قام بالدخول إليها كان المرض الأخير قد تملك جسده.

"أوباديسا" شري بهاغافان أو توجيهاته لمريديه

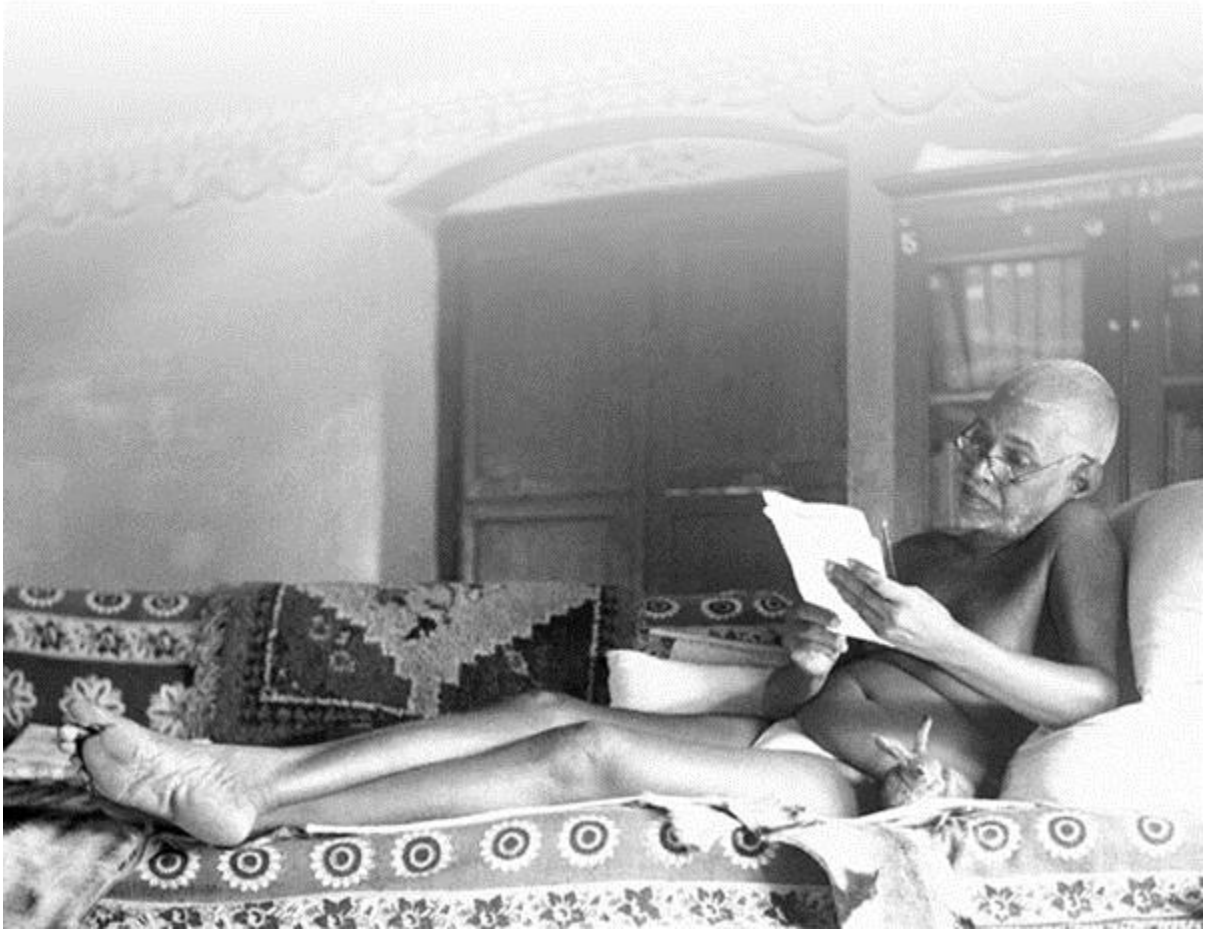

من المفاجيء كم كانت سرية الأوباديسا التي كان يقدمها شري بهاغافان، أي التعاليم أو الإرشادات التي كان يقدمها لمريديه – ليس هنالك من ترجمة محددة للكلمة. بالرغم من أنه كان متوفراً للجميع سواسية، و بالرغم من أن الأسئلة عادةً ما كانت تطرح و يتم الإجابة عليها في العلن، التعليم الذي كان يعطى لكل مريد كان يختص بذلك المريد مباشرة و بشخصه. عندما سأله في أحدى المرات سوامي يوغانداندا، سوامي له أتباع كثر في أميركا، ما هي التعليمات الروحية التي يجب أن تعطى للناس من أجل رفعهم، أجابه: "الامر يعتمد على العقلية و النضوج الروحي للفرد. لا يمكن أن يكون هنالك توجيهات للحشود." يكفي استحضار قصة أربعة من المريدين الذين تم الإشارة إليهم سابقاً – إيشامال، الوالدة، شيفابراكاسام بيلاي و ناتيسا موداليار – للإدراك كم أن المعالجة قد اختلفت بشكل كبير.

كان شري بهاغافان فاعلاً جداً – هو بنفسه قد قال ذلك، بالرغم من أن أحداً قد اختبر بركته كان بحاجة لأي تأكيد – و بالرغم من هذا كانت نشاطاته متخفية جداً لدرجة أن الزوار العرضيين و هؤلاء الذين فشلوا في التصديق أنه كان يعطي أي أوباديسا على الاطلاق و أنه كان غير مبالي لحاجات الباحثين. كان هنالك الكثير من هذا النوع، كالسوامي الذي حاول إقناع ناتيسا موداليار بعدم زيارة بهاغافان.

الأهمية القصوى لهذا السؤال تقع في الواقع أن (بإستثناء الحالات النادرة، كما حالة شري بهاغافان نفسها) التنور هو ممكن فقط من خلال بركة الغورو. كان شري بهاغافان حازماً بشأن هذا الموضوع كأي معلم آخر. لهذا السبب لم يكن كافياً بالنسبة للسادهاكا (الباحث) أن يعرف أن تعليمه كان مقدساً و حضوره ملهم؛ كان من الضروري معرفة أنه غورو يعطي الديكشا (البركة) و الأوباديسا (التعليم).

العبارة "الغورو" هي مستعملة في ثلاثة معاني. من الممكن أن تعني، شخص و بالرغم من أنه ليس لديه أي إدراك روحي، قد تم منحه (كتعيين الكاهن) الحق بمباركة الناس و إعطائهم الأوباديسا. عادةً ما يكون الأمر بالوراثة و ليس كطبيب العائلة من أجل الصحة الروحية. ثانياً، من الممكن أن يكون الغورو شخص، بالإضافة إلى ما ورد سابقاً، قد حصل على بعض الإدراك الروحي و من الممكن أن يوجه مريديه من خلال أوباديسا أكثر قوة (بالرغم من أن الممارسات الفعلية التي يتم تعليمها قد تكون هي ذاتها) إلى الحد الذي وصل اليه هو. و لكن في المعنى الأعلى و الأكثر حقاً للكلمة، الغورو هو الشخص الذي قد أدرك الوحدة مع الروح التي هي ذات الكل. هذا هو الساتغورو.

بهذا المعنى الأخير كان شري بهاغافان يستعمل الكلمة. لهذا السبب قال، "الله، الغورو و الذات الحقيقية هم ذات الشيء." و بوصفه للغورو لقد قال (في التعليمات الروحية):

"الغورو هو المرء الذي يقبع في كل الأوقات بأعماق الذات الحقيقية. لا يرى أي فرق على الإطلاق بين نفسه و الآخرين و هو حر تماماً من المفاهيم الخاطئة حول التمييزات – أنه هو نفسه متنور أو متحرر في حين أن الآخرين حوله هم في حبس الحياة أو في ظلمة الجهل. ثباته أو إدراكه لا يمكن هزه تحت أي ظرف و هو غير منزعج على الإطلاق."

الانصياع لهذا الغورو هو ليس انصياعاً لأي أحد خارج ذاتنا بل للذات الحقيقية المتجلية بالخارج في سبيل مساعدتنا على اكتشاف الذات الحقيقية في داخلنا. "المعلم في الداخل؛ الهدف من التأمل هو إزالة الفكرة الجاهلة حول أنه فقط بالخارج. إن كان غريباً و أنت بانتظاره فهو محتم بأن يختفي أيضاً. ما هي فائدة كائن زمني كهذا؟ و لكن طالما تظن أنك منفصل و أنك الجسد، طالما أن المعلم الخارجي أيضاً هو ضروري و سوف يظهر و كأنه يملك جسداً. عندما يتوقف التعارف الخاطئ للمرء مع الجسد عندما يتم الاكتشاف أن المعلم هو ليس شيء آخر غير الذات الحقيقية."

من البديهي أن الغورو الذي قد أدرك المعنى الأخير من معرفة هويته كالمطلق لا يقول ذلك بالعلن، تماماً كما أنه لم يعد هنالك من أنا مغرورة للتأكيد على الهوية. هو أيضاً لا يقول أن لديه مريدين، لأنه، كونه فيما يتعدى الثنائية، لا يمكن أن يكون هنالك من علاقة بالنسبة له.

بالرغم من أن الجناني (المتنور) هو واحداً مع المطلق، صفات شخصيته تستمر بالوجود خارجاً كالوسيلة لتجليه، لذا من الممكن لجناني أن يكون لديه اختلاف تام بالصفات عن آخر. احدى صفات شري بهاغافان كانت دهائه و فطنته. ليس هنالك من شك أنه، تماماً كما كان يسمح لنفسه بأن يعتبره الناس كمّوني (شخص قد أخذ نذر الصمت) خلال السنوات الأولى في تيروفاناماالاي في سبيل تجنب الازعاج، هكذا أيضاً كان يستغل هذه العقيدة المستحيلة فيما يتعلق بتأكيد الهوية أو الاعتراف بالعلاقات مع الآخرين لكي يبعد عنه الطلبات غير المرغوبة سعياً وراء الأوباديسا من هؤلاء الذين لم يكونوا مريديه الحقيقيين. من المذهل كم كان دفاعه ناجحاً، في حين أن المريدين الحقيقيين لم يتأثروا بهذا الامر و لم يكن من المعمد حصول ذلك لهم.

دعونا ندقق بمقولات شري بهاغافان بحذر. لقد قال في بعض المرات أنه لم يكن لديه أي مريدين و لم يقل بشكل علني أنه كان الغورو؛ و لكن، لقد استعمل عبارة "الغورو" كمساوية "للجناني" و بطريقة لم يترك فيها شك على أنه الغورو، و أكثر من مرة شارك في تلاوة الأغنية "رامانا ساتغورو".

أكثر من ذلك، عندما يكون مريد مرتبكاً و يبحث عن حل كان في بعض الأحيان يطمئنه و لا يترك له أي مجال للشك.

أحد المريدين الإنكليز، الرائد شادويك، احتفظ بسجل حول هكذا تطمين قد تم منحه إياه في العام ١٩٤٠:

شادويك: بهاغافان يقول أنه ليس لديه أي مريدين؟

بهاغافان: أجل.

شادويك: هو يقول أيضاً أن الغورو ضروري إن كان المرء يتمنى الحصول على التحرر؟

بهاغافان: أجل.

شادويك: ماذا علي فعله عندها؟ هل جلوسي هنا كل تلك السنين كان مجرد مضيعة للوقت؟ هل علي الذهاب و البحث عن غورو ليلقنني طريقه كون بهاغافان يقول أنه ليس غورو؟

بهاغافان: ماذا تظن الذي جلبك إلى هنا من تلك المسافة البعيدة و جعلك تبقى كل هذا الوقت؟ لماذا تشك؟ إن كان هنالك من حاجة للبحث عن غورو في مكان آخر كنت رحلت منذ زمنٍ بعيد.

الغورو أو الجناني (المتنور) لا يرى أي فرق ما بين نفسه و الآخرين. بالنسبة له الجميع هم جنانيين، الجميع هم واحد مع ذاته، فكيف يمكن للجناني أن يقول أن هذا أو ذاك هم أتباعه؟ و لكن غير المتحرر هو من يرى التعددية، يرى الجميع مختلفاً عن ذاته، لذا بالنسبة له، العلاقة ما بين المريد و المعلم هي حقيقة، و هو بحاجة لبركة الغورو من أجل أن توقظه للواقع. بالنسبة له هنالك ثلاثة طرق للتلقين، من خلال اللمس، النظرة أو الصمت. (شري بهاغافان جعلني هنا أفهم أن طريقه هي من خلال الصمت، كما جعل الكثيرين من الآخرين يفهمون ذلك في أوقاتٍ أخرى).

شادويك: فإذاً بهاغافان لديه أتباع!

بهاغافان: كما قلت، من خلال وجهة نظر بهاغافان ليس هنالك من أتباع؛ و لكن من تلك الخاصة بالمريد بركة الغورو هي كالمحيط. إن أتى بكوب فسوف ينال فقط بقدر حجم ذلك الكوب. ليس هنالك من فائدة في التذمر حول كمية عطاء المحيط؛ كلما كانت المركبة أكبر كلما تمكن من حمل المزيد. الأمر يعتمد تماماً عليه.

شادويك: فإذاً لمعرفة إن كان بهاغافان الغورو خاصتي أم لا هو فقط مسألة إيمان. إن كان بهاغافان لن يقر بذلك.

بهاغافان: (جالساً باستقامة و مستديراً نحو المترجم و متحدثاً مع التشديد على كلامه). اسأله، هل يريدني أن أعطيه وثيقة مكتوبة؟

قلةٌ كانت مصرة على هذا الشكل كما الرائد شادويك من أجل التأكد منه. العبارة التي سوف تؤكد على الثنائية لن تحصل، و لكن قريباً من هذا شري بهاغافان أقر أنه كان الغورو بشكل واضح بما فيه الكفاية لكل شخص يملك فهماً و نية سليمة؛ و البعض عرف ذلك من دون التأكيد اللفظي.

أ. بوزي، صناعي بنغالي، كما سجل س.س. كوهين، حاول في أحدى المرات الحصول على عبارة واضحة. لقد قال، "أنا مقتنع أن الغورو هو ضروري من أجل نجاح نشاطات السادهاكا (المريد)." و من بعدها أضاف بطريقة و هو مبتسماً بدهاء، "هل يشعر شري بهاغافان فينا؟"

و لكن شري بهاغافان أدار الطاولة عليه، "الممارسة ضرورية في حالتك؛ البركة هي دائماً هناك." بعد صمت قصير أضاف، "أنت في الماء حتى عنقك و بالرغم من هذا تصرخ أنك عطشان."

حتى الممارسة عن حقيقةً جعل المرء نفسه مستقبلاً للبركة؛ قام شري بهاغافان بشرح هذا من خلال القول أنه بالرغم من أن الشمس تشع يجب أن تقوموا بالجهد للنظر نحوها إن كنتم تريدون أن تروها. البروفيسور فينكاترامياه سجل في مذكراته أنه قال للسيدة بيغوت، زائرة إنكليزية، "التحقق هو نتيجة بركة الغورو أكثر من التعليم، القراءات و المحاضرات، التأملات، الخ. هذه الأمور ثانوية و لكن هذا هو السبب الأول و الأساسي."

البعض الذين كانوا يعرفون تعاليمه من خلال طريقة غير مباشرة اقترحوا أنه لم يعتبر من الضرورة الحصول على غورو و شرحوا نقص ضرورة التلقين بتلك الطريقة، و لكنه رفض هذا الاقتراح بشكل لا لبس فيه. س.س. كوهين قام بتدوين هذه المحادثة حول الموضوع مع الدكتور ديليب كومار روي، الموسيقار المشهور لشري أوروبيندا شرام:

ديليب كومار روي: البعض يقولون أن الماهارشي ينكر الحاجة لغورو. و آخرين يقولون العكس. ماذا يقول الماهارشي؟

بهاغافان: لم أقل أبداً أنه ليس هنالك من حاجة لغورو.

ديليب كومار روي: شري أوروبيندو غالباً ما يشير إليك على أنك لم يكن لديك غورو.

بهاغافان: الأمر لا يعتمد على ما تسميه بالغورو. ليس هنالك حاجة ضرورية لأن يكون بشكل بشري. كان لداتاتريا أربعةٌ و عشرون غورو – العناصر، الخ. هذا يعني أن أي شكل في العالم كان الغورو خاصته. الغورو حاجة ضرورية تماماً. الأوبانيشاد تقول أنه لا أحد سوى الغورو بإمكانه أخذ المرء خارجاً من غابة الفكر و الحواس، لذا يجب أن يكون هنالك غورو.

ديليب كومار روي: أنا أعني غورو بشري. الماهارشي لم يكن لديه واحداً.

بهاغافان: ربما كان لدي في احدى الأوقات. و ألم أغني التراتيل لأروناتشالا؟ ما هو الغورو؟ الغورو هو الله أم الذات الجوهرية. في البداية يصلي المرء لله من أجل إتمام رغباته، و من بعدها يأتي وقت عندما يتوقف عن الصلاة لإتمام رغبة بل من أجل الله نفسه. لذا يظهر الله أمامه بشكل أو بآخر، بشري أو غير بشري، لإرشاده كغورو إجابةً لصلواته.

فقط عندما ذكر أحدهم الاعتراض أن شري بهاغافان لم يكن لديه هو نفسه غورو قام بالشرح أنه ليس من الضروري للغورو أن يأخذ شكلاً بشرياً، و ما تم استيعابه هو أن هذا الأمر كان يشير إلى حالات نادرة جداً.

ربما مع ف. فينكاترامان وصل أقرب شيء إلى الاعتراف أنه كان الغورو. لقد أخبره في احدى المرات: "يجب القيام بشيئين، أولاً البحث عن غورو خارج ذاتك و من بعدها البحث عن الغورو في الداخل. و لقد قمت بالجزء الأول."

أو ربما التأكيد الذي نلته أنا نفسي كان أكثر صراحةً. بعد مرور بعض الأسابيع في الأشرام أدركت أن شري بهاغافان كان حقيقةً غورو يمنح التلقين و التوجيه. لقد كتبت لإعلام الأصدقاء في أوروبا حول هذا الموضوع، و قبل إرسال الرسالة، شاركتها مع شري بهاغافان و سألته ان كان من الممكن إرسالها أم لا. لقد وافق على الموضوع، و سلمها إلي من جديد، و قال، "أجل، أرسلها."

أن يكون المرء غورو هو أن يعطي التلقين و الأوباديسا. الاثنان لا ينفصلان، لأنه ليس هنالك من أوباديسا من دون الفعل الأساسي للتلقين و لا فائدة من التلقين إن لم تلحقها الأوباديسا. السؤال، لهذا السبب، كان في بعض الأوقات يأخذ الشكل حول إن كان شري بهاغافان يعطي التلقين أو الأوباديسا.

عندما تم سؤاله حول إن كان يعطي التلقين كان شري بهاغافان دائماً يتجنب الجواب المباشر. لو كان الجواب "كلا" كان ليقول بالتأكيد "كلا"؛ و لكن لو قال "أجل" الدفاع حول المتطلبات غير الضرورية من أجل التلقين كانت لتحصل و كان ليكون من الضروري قبول البعض أو رفض الآخر من خلال قرار قد يبدو انحيازياً بدل ترك فهمهم أو قلة فهمهم تقوم بالقرار.

الشكل المعتاد لجوابه كان ذلك الذي أعطاه للرائد شادويك، "هنالك ثلاثة أساليب للتلقين، من خلال اللمس، النظرة أو الصمت." هذه كانت الممارسة المعتادة لشري بهاغافان من أجل القيام بالحديث عن عقيدة غير شخصية حيث من الممكن للمرء فيها، على أية حال، أن يجد الجواب على سؤال محدد. المقولة معروفة جداً، وسائل التلقين الثلاثة – إستناداً للهندوس – هي مصنفة من خلال الطائر، الذي يحتاج للجلوس على بيضه من أجل تفقيسهم، السمكة، التي تحتاج فقط للنظر إليهم، و السلحفاة، التي تحتاج فقط للتفكير فيهم. التلقين من خلال النظرة أو الصمت قد أصبح نادراً جداً في هذا العصر؛ هو المونا ديكشا لأروناتشالا، لداكشينامورتي، و هو وسيلة متناسبة جداً مع الطريق المباشر لإستفسار الذات الذي كان شري بهاغافان يعلمه. لقد كان، لهذا السبب، من المناسب بشكلين، داخلياً و كموفر لتمويه ملائم.

التلقين من خلال النظرة كان أمراً حقيقياً جداً. شري بهاغافان كان يستدير نحو المريد، عيناه مثبتتان عليه مع حدة مشعة. النورانية، قوة عينيه كانت تخترق المرء، كاسرةً لعملية الفكر. في بعض الأوقات كان الامر و كأن تيار كهربائي يمر عبر أحدهم، و في بعض الأحيان سلام واسع، فيضان من النور. احد المريدين قد وصف الأمر: "فجأةً وجه شري بهاغافان عينيه النورانيتين، الشفافتين نحوي. قبل هذا لم أكن أتمكن من تحمل نظرته لوقت طويل. الآن صرت أنظر مباشرة نحو تلك العينين القويتين و الرائعتين، لكم من الوقت لم أكن أعلم. كانا يمسكان بي في ذبذبة صوتها مسموع بالنسبة لي. "دائماً كان الأمر يلحقه الشعور، القناعة التي لا شك فيها، أن المرء قد تم تبنيه من قبل بهاغافان، أنه من الآن فصاعداً سوف يتولى زمام الأمور، كان هو يوجه.

هؤلاء الذين كانوا يعرفون كانوا يلاحظون عندما يحصل التلقين، و لكن الأمر عادةً ما يكون غير واضح؛ قد يحصل خلال ترنيم الفيدا، عندما يكون القليلون يشاهدون أو المريد قد يشعر باندفاع فجائي للذهاب عند شري بهاغافان قبل طلوع الفجر أو في بعض الأحيان عندما لا يكون أحد موجود.

التلقين من خلال الصمت كان أيضاً حقيقياً جداً. كان يدخل في هؤلاء الذين استداروا نحو شري بهاغافان في قلوبهم من دون التمكن من الذهاب جسدياً إلى تيروفانامالاي. في بعض الأوقات كان يعطى في المنام، كما مع ناتيسا موداليار.

لم يكن أي معلم حاسماً أكثر من شري بهاغافان حول توجيهه و حمايته متى ما كان يتبنى مريد و يدخله في التلقين الصامت. طمأن شيفابراكاسام بيللاي في الكتيب الذي تم نشره لاحقاً تحت عنون "من أكون أنا؟": "ذاك الذي ربح بركة الغورو سوف يتم إنقاذه من دون أي شك و لن يترك، تماما كما الضحية التي قد سقطت في فم النمر لن يتم السماح لها أبداً بالهروب."

مريد هولندي، ل. هارتز، لم يستطع البقاء إلا لفترة قصيرة، و خوفاً من فقدان عزيمته عند مغادرته، طلب التطمين و تم القول له، "حتى لو تركت بهاغافان، بهاغافان لن يتخلى عنك."

مريدون آخرون، ديبلوماسي تشيكوسلافي و بروفيسور مسلم، مصدومين بالقوة غير الاعتيادية للتطمين، سألوا إن كان الأمر فقط ينطبق على هارتز أو على كل المريدين، فتم القول لهم، "على الجميع."

خلال مناسبة أخرى، أصيب مريد بالإحباط و الملل بسبب عدم رؤيته للتقدم في داخله فقال، "أنا خائف من أنني لو استمريت هكذا فسوف أذهب إلى الجحيم." فأجابه شري بهاغافان، "إن فعلت ذلك فسوف يلحقك بهاغافان و يعود بك."

حتى ظروف حياة المريد تتنمق من خلال الغورو لكي تساهم في تدعيم السادهانا (التطور الروحي). تم إخبار أحد المريدين، "أن المعلم هو في الداخل و الخارج، لذا هو يخلق الظروف ليدفع بك إلى الداخل و في الوقت ذاته يحضر الداخل لجلبك إلى المركز."

إن كان احدهم غير متوجهاً في قلبه نحو شري بهاغافان و طرح عليه السؤال حول إن كان قد منح الأوباديسا فقد يقوم بالإجابة بطريقة غامضة أو لا يجاوب على الإطلاق، و بأية حالة سوف يتم استنتاج جواب سلبي. بالواقع، الأوباديسا خاصته، كما تلقينه، كانت من خلال الصمت. كان يتم إدارة العقل بصمت نحو الاتجاه الذي يجب أن يسعى نحوه. كان من المتوقع من المريد أن يفهم هذا. قلةٌ هم من كانوا بحاجة للتطمين اللفظي.

قصة ف. فينكاتارامان، الذي قد تم الإشارة إليه سابقاً، هي تعبيرية. في صباه كان مريداً عظيماً لشري راماكريشنا، و لكنه كان يشعر بالحاجة لمريد حّي باللحم و الدم، لذا بدأ بالصلاة له مع حرارة الشوق القوي جداً، "يا معلمي، امنحني غورو حياً لا أقل كمالاً منك أنت نفسك." قريباً جداً من بعدها سمع عن شري رامانا، و ثم بضعة سنوات لاحقاً في الأشرام عند قدم التلة. ذهب إلى هناك و هو يحمل تقدمة من الورود. لقد حصل (كما دائماً يحصل عندما يكون الأمر مرغوباً) أنه لم يكن هنالك أي أحد آخر في القاعة عندما وصل. كان شري بهاغافان متكئاً على الكنبة، وراءه صورة لشري راماكريشنا كان فينكاتارامان قد صلى لها. قطع شري بهاغافان الاكليل بالنصف؛ احد النصفين منحه إلى المرافق ليضعه على صورته و النصف الآخر على لينغام المعبد. راود فينكاتارامان شعوراً بالخفة و الراحة. كان في منزله، هدفه قد تحقق. شارك قصة قدومه. سأله شري بهاغافان، "هل تعلم حول داكشينامورتي؟"

أجابه، "أعلم أنه كان يمنح الأوباديسا الصامتة."

فأجابه شري بهاغافان، "هذه هي الأوباديسا التي سوف تنالها هنا."

هذه الأوباديسا الصامتة كانت في الواقع مختلفة جداً. شري بهاغافان كتب و تحدث في معظم الأوقات عن الفيتشارا أو استفسار الذات، و لهذا السبب برز الرأي أنه كان فقط ينصح بالجنانا مارغا، طريق المعرفة، الذي يجده معظم الناس عمودياً جداً في هذا العصر. و لكن في الواقع لقد كان كونياً و منح التوجيه استناداً لكل ميل لدى الاشخاص، من خلال طريق التعبد لا أقل من المعرفة. الحب و التعبد بالنسبة له هم الجسر فوق القاع نحو الخلاص. لقد كان لديه العديد من المريدين الذين لم ينصحهم بأي درب آخر.

الفينكاتارامان هو ذاته صار مضطرباً بعد مرور بعض الوقت من دون أن يتم منحه أي سادهانا – أي لا ممارسة للقيام بها – فتذمر.

"و ما الذي جلبك إلى هنا؟" سأله شري بهاغافان.

"التفكير بك، سوامي."

"فإذاً هذا الامر هو أيضاً السادهانا خاصتك. هذا كافي." و بالفعل، الفكرة أو تذكر بهاغافان بدأت تصحبه في كل مكان، لتصبح من غير الممكن فصلها عنه.

طريق التعبد هو ذاته حقيقةً لطريق الإستسلام. الحمل كله يقع على الغورو. هذا ايضاً كان شري بهاغافان ينصح به. قال لأحد المريدين ، "سلم نفسك لي و سوف اضرب العقل." لآخر قال، "فقط كن صامت، بهاغافان سوف يقوم بالباقي." لقد قال لغيرهم، ديفاراجا موداليار، "عملك هو فقط الإستسلام و ترك كل شيء لي." و غالباً ما كان يقول، "هناك طريقان: إما أن تسأل نفسك "من أنا؟" أو الإستسلام الى الغورو."

و بالرغم من هذا، من أجل الإستسلام، للمحافظة على العقل صامتا و أن يكون المرء متقبل تماماً لبركة الغورو، الأمر ليس بالسهل. هو يتطلب جهداً مستمراً، تذكراً مستمراً، و فقط بركة الغورو تجعل الأمر ممكناً. العديدين استعملوا الممارسات التعبدية و غيرها لمساعدتهم في محاولتهم، و شري بهاغافان وافق و شرع استعمال هكذا وسائل، بالرغم من أنه قليلاً ما كان يصفهم لأحد.

قوة الساتسانغ هي الأكثر قوّة حتى وإن لم تكن مرئية، التي تعني حرفياً "المجالسة مع الكينونة"، و لكن كوسيلة للسادهانا وهي مستعملة في معنى "مجالسة شخص قد أدرك حقيقته أو كينونته". تحدث شري بهاغافان عنها بأسمى العبارات.

الخمسة الأولى من الآيات الأربعون الإضافية مكرسة لتمجيدها. قصة شمولهم هي وصفية. الفتاة المتبناة من قبل إيشامال وجدت أحداها مكتوبة بالسنسكريتي على ورقة بداخلها كانت علبة من الحلويات ملفوفة و تأثرت كثيراً بهاً لدرجة أنها تعلمتها و رددتها أمام شري بهاغافان، الذي بدوره، رأى أهميتها، و ترجمها الى التاميلي. و عندما كان يجمع الآيات الأربعون الإضافية، كاتباً للبعض و مترجماً لغيرها، و هذه الآية مع الأربعة الآخرين، أيضاً من السنسكريتي، كانوا مشمولين. الثالثة منها تعطي المجالسة مع المعلم أهمية فوق كل الوسائل الأخرى. "إن كان من الممكن الحصول على مجالسة الحكماء فلأي غاية الوسائل المختلفة لتهذيب النفس؟ قولوا لي، ما هي الحاجة لمروحة عندما تنفخ الريح الجنوبية الباردة و الناعمة؟"

مجالسة شري بهاغافان كانت تعمل عملية كيمياً لطيفة، بالرغم من أن مفاعيلها لم تكن ظاهرة الا بعد سنوات لاحقة. كان يقول في بعض الأحيان لمريديه بشكل صريح عن فائدتها بالنسبة لهم. بالنسبة لرانغا آييار، صديق المدرسة الذي تم الإشارة إليه في المقطع الثالث، لقد قال في احدى المرات، "إن بقيت مع الجناني فهو يعطيك ثيابك مخيطة جاهزة،" ما معناه أنه من خلال الوسائل الأخرى أنت تعطى الخيط و عليك أن تُخيط بنفسك.

سونداريسا آييار صار مريداً في عمر الثانية عشرة. في التاسعة عشرة من عمره نمى غير راضي بنفسه، شاعراً أن المزيد من الوعي و الجهد الحاد كان ما يحتاجه. كان رب منزل، لقد قرر، كقرار من التهذيب القاسي، أن لا يذهب مجدداً لحين ما يكون قد كون نوع من الترفع عن العالم و المثابرة في الهدف مما يجعله مستحقاً للمجالسة. لمدة مئة يوم بقي بعيداً، و من بعدها أتت الفكرة ، "كيف أكون أفضل ان لم أرى بهاغافان؟" فذهب من بعدها. قابله شري بهاغافان عند مدخل سكانداشرام و حياه مع السؤال، "كيف هو حالك أفضل كونك لم تزرني؟" تحدث عندها عن أهمية و قوة الساتسانغ بالرغم من أن المريد لم يكن يلاحظ فعالية الامر عليه أو لم يرى أي تقدم في نفسه. قارنه بوالدة تطعم ولدها خلال نومه عند الليل، لذا يعتقد الولد في اليوم التالي أنه لم يحصل على أي من الطعام، بالرغم من أنه يعلم أنه قد حصل و الطعام يغذيه.

هذا المثل ينطوي فيه أكثر من فائدة أوتوماتيكية عن العيش في جو الحكيم؛ هو يدلّ على التوجه الواعي للتأثير من قبله.

خلال أحد بالمناسبات قدم شري بهاغافان تأكيداً صارخاً حول هذا الموضوع، بالرغم من أن هؤلاء الذين اختبروه لم يكن لديهم أي حاجة لهذا الأمر. سونداريسا آييار ألف أغنية تاميلية تمجيداً للبركة التي تخرج من عيني شري بهاغافان لتغذية المريدين، و قام شري بهاغافان بتصحيحه، "كلا، ليست فائضة و لكنها مسقطة، لأنها عملية واعية، توجيه البركة نحو أشخاص مختارين."

على المريد أن يقوم أيضاً بجهد للإستفادة تماماً من بركة المعلم، و لهذا الأمر الوسيلة التي كان شري بهاغافان يتحدث عنها بإستمرار كانت الفيتشارا، السؤال "من أكون أنا؟" هذه هي السادهانا التي جلبها لتلاقي حاجات عصرنا و حول هذا الموضوع لم يكن هنالك من سرية أو إخفاء. كان يشدد كثيراً على أهميتها. "استفسار الذات هي الطريقة الوحيدة الناجحة، الوحيدة المباشرة، لإدراك غير المشروط، الكينونة المطلقة التي هي أنت حقيقةً... المحاولة لتدمير الأنا المغرورة أو العقل من خلال السادهانا غير استفسار الذات هي كالحرامي الذي يتحول إلى شرطي ليلتقط اللص الذي هو ذاته. استفسار الذات فقط لوحده من الممكن أن يظهر الحقيقة أن لا الأنا المغرورة و لا العقل هم موجودان و يمكن المرء من إدراك الكينونة الصافية من دون تمييز للذات المقدسة أو المطلق. بعد إدراك الذات، لا شيء يبقى ليتم معرفته، لأنها نعيم كامل، هي الكل." (إنجيل الماهارشي، الجزء الثاني.)

هدف إستفسار الذات هو تركيز العقل كاملاً على مصدره. هي ليست فإذاً قضية، "أنا" تبحث عن "أنا" أخرى.

تركيز العقل كاملاً على مصدره هو إدارته على نفسه. التعليم كان الجلوس في التأمل، و السؤال "من أكون أنا؟" و بنفس الوقت تركيز الإنتباه على القلب، ليس على العضو الجسدي على الشمال و لكن على القلب الروحي على اليمين. بناءً على طبيعة السائل، شري بهاغافان كان يشدد على المنحى الجسدي أو الفكري، التركيز على القلب أو السؤال "من أكون أنا؟"

القلب الروحي على ناحية اليمين من الصدر هو ليس ذلك الذي يتعلق بالشاكرات اليوغية (المراكز)؛ هو المركز و المصدر للأنا المغرورة و مسكن الذات الحقيقية و هو لهذا السبب مكان الإتحاد. عندما تم سؤاله حول ان كان هنالك من مخطوط او مصدر آخر حول تحديد القلب عند هذه النقطة، شري بهاغافان قال أنه وجد أن الامر هو كذلك و قد رأى تأكيداً على ذلك في وقت لاحق داخل كتاب بلغة المالايام حول الأيورفيدا ("قلب الرجل الحكيم هو في يده اليمين و لكن قلب المغفل هو في شماله.") (نظام طب هندي) هؤلاء الذين اتبعوا تعليماته قد اكتشفوا الامر ذاته ايضاً. هذا الأمر مهم جداً من أجل استعمال الفيتشارا لدرجة أنه من الجدير مشاركة محادثة هنا من إنجيل الماهارشي حيث شرح شري بهاغافان الامر بالتفصيل.

المريد: شري بهاغافان قد حدد موقعاً للقلب داخل الجسد، في الصدر حوالي أصبعين من الوسط على اليمين.

بهاغافان: أجل، هذا هو مركز الإختبار الروحي إستناداً لشهادة الحكماء. هذا القلب الروحي – المركز هو مختلف تماماً عن القلب المادي الذي يوزع الدماء والذي نعرفه بالاسم نفسه. القلب الروحي – المركز هو ليس عضواً في الجسد. كل ما بإمكانك قوله عن القلب هو أنه جوهر وجودك، ذلك الذي انت متعارف منه (كما تعني الكلمة في السنسكريتية تماماً) سواء إن كنت مستيقظاً، نائماً أو تحلم، إن كنت منخرطاً في العمل أو في السامادهي.

المريد: في تلك الحالة، كيف من الممكن تحديده في أي جزء من الجسد؟ تثبيت موقع للقلب يعني وضع حدود جسدية لذلك الذي هو فيما وراء المكان و الزمان.

بهاغافان: هذا صحيح، و لكن المرء الذي يطرح السؤال حول موقع القلب ينظر إلى نفسه على أنه موجود مع أو داخل الجسد... بما أنه، خلال الإختبار غير الجسدي، للقلب كوعي صافي، الحكيم هو غير واعي على الإطلاق لجسده، ذاك الإختبار المطلق يتم تحديده من قبله داخل حدود الجسد كنوع من التذكر الذي يتم القيام به و هو في وعي جسده.

المريد: بالنسبة للرجال مثلي الذين لم يحصلوا على إختبار مباشر للقلب و لا على القدرة لتذكر الأمر تباعاً، المسألة تبدو الى حدٍ ما صعبة الإدراك. حول موقع القلب نفسه، ربما، علينا أن نعتمد على نوع من التخمين.

بهاغافان: ان كان تحديد موقع القلب يعتمد على التخمين، حتى بالنسبة للجاهل، السؤال بالكاد سوف يكون جديراً بالإعتبار. كلا، الأمر ليس تخميناً عليك أن تعتمده و لكن حدس لا خطأ فيه.

المريد: من يملك هذا الحدس؟

بهاغافان: الجميع.

المريد: هل يمنحني شري بهاغافان المعرفة الحدسية للقلب؟

بهاغافان: كلا، ليس القلب و لكن موقع القلب إستناداً للعلاقة بهويتك.

المريد: هل قال شري بهاغافان أنني أعرف حدسياً موقع القلب في الجسد المادي؟

بهاغافان: لما لا؟

المريد: (مشيراً إلى نفسه) هل لي أنا شخصياً بهاغافان يشير؟

بهاغافان: أجل. هذا هو الحدس. كيف أشرت إلى نفسك من خلال الإشارة الآن للتو؟ ألم تدل بأصبعك على الجهة اليمين من صدرك؟ هذا هو تماماً موقع مركز القلب.

المريد: فإذاً، في ظل غياب المعرفة المباشرة للقلب-المركز، علي الإعتماد على هذا الحدس؟

بهاغافان: و ما الخطأ بذلك؟ عندما يقول تلميذ المدرسة، "أنا من قام بالجمع بالشكل الصحيح؟، أو عندما يسألك، "هل أذهب و أجلب الكتاب لك؟" هل هو يشير إلى الرأس الذي قام بعملية الجمع بالشكل الصحيح أو إلى قدميه اللتان سار بهما بسرعة لجلب الكتاب؟ كلا، في كل من الحالتين أصبعه كان يشير بشكل طبيعي نحو الجهة اليمنى من الصدر، هكذا مانحاً لتعبير بريء عن الحقيقة العميقة التي هي مصدر الأنا فيه .

هو حدس لا ريب فيه يجعله يشير إلى نفسه، إلى القلب الذي هو الذات الجوهرية، بتلك الطريقة. الفعل هو عملية أوتوماتيكية و كونية، أي بما معناه أن الامر ذاته ينطبق على كل فرد. أي دليل أقوى من هذا أنت بحاجة له لمعرفة موقع القلب-المركز داخل الجسد المادي؟

التعليم، عندها، كان الجلوس و التركيز على القلب عند الجهة اليمنى و طرح السؤال "من أنا؟" و عندما تبدأ الأفكار بالصعود خلال التأمل فعلى المرء عدم اتباعها و لكن مراقبتها و السؤال: "ما هي هذه الفكرة؟ من أين أتت؟ و لمن؟ لي أنا – و من أكون أنا؟" هكذا تختفي كل فكرة بعد التدقيق فيها و يعود المرء الى فكرة الأنا- الأساسية. ان صعدت أفكار غير نقية فيجب معاملتها بالطريقة ذاتها، لأن السادهانا تفعل حقيقةً ما يدعي علم تحليل النفس القيام به-هي تنظف الوسخ من اللا-وعي، تجلبه إلى ضوء النهار و تدمره. "أجل، كل أنواع الأفكار تصعد في التأمل. هذا الأمر فقط صحيحاً، لأن الذي هو متخفي في الداخل يتم جلبه إلى الخارج. إن لم يصعد فكيف من الممكن تدميره؟" (إنجيل الماهارشي,)

كل أشكال الفكر غريبة بالنسبة لهذا النوع من التأمل. في بعض الأوقات، المريد قد يسأل شري بهاغافان إن كان بإمكانه إستعمال عبارة مثل "أنا هو"، أو أي عبارة أخرى، خلال إستفسار الذات و لكنه كان دائماً يمنع ذلك. خلال احدى المناسبات عندما اقترح احد المريدين واحدة بعد التانية، لقد شرح: "جميع الأفكار هي غير ثابتة مع إدراك الذات الحقيقية. العمل المناسب القيام به هو محو كل الأفكار حول شخصنا و كافة الأفكار الأخرى. الفكر هو شيء أما إدراك الذات فهو امر آخر تماماً."

ليس هنالك جواب لسؤال من أكون أنا. لا يمكن أن يكون هنالك جواب، لأنه محو لفكرة الأنا، التي هي أب كافة الأفكار، و التبصر فيما يتعداها نحو السكون حيث لا وجود للفكر. "الأجوبة الإيحائية بالنسبة للاستفسار، مثل شيفوهام (أنا هو شيفا) هي لا يجب إعطائها للعقل خلال التأمل. الجواب الحقيقي سوف يأتي من تلقاء نفسه. ولا جواب من الممكن للأنا المغرورة أن تعطيه يكون صحيحاً." الجواب هو يقظة تيار الوعي الذي تم ذكره عند نهاية المقطع الأول، مشعاً كجوهر المرء و لكنه غير شخصي. من خلال الممارسة المتكررة يحصل هذا الامر اكثر لحين ما يصير مستمر بشكل غير منقطع، ليس فقط خلال التأمل و لكن تحت كافة الأحداث مثل الخطاب و الحركة أيضاً. حتى عندها لا يزال يجب إستعمال الفيتشارا، لأن الأنا المغرورة سوف تحاول القيام بهدنة مع تيار الوعي و ان تم التساهل معها فسوف تكبر قوةً تدريجياً لتحارب من أجل إعادة السيطرة من جديد. شري بهاغافان كان يصر (على سبيل المثال، في أجوبته لشيفا براكاسام بيلاي) أنه يجب المحافظة على إستفسار الذات حتى النهاية. مهما كانت الأحوال، القوى، الإدراكات أو الرؤى التي قد تصعد، هنالك دائماً السؤال لمن يصعدون لحين ما تبقى الذات الحقيقية فقط وحدها.

بالفعل، الرؤى و القوى قد تكون مصدر إلهاء، ممسكة بالعقل تماماً كما فعالية التعلق بالقوى الجسدية أو اللذة و إيهام المرء أنه قد تحول الى الذات المقدسة. و كما الحال مع القوى الأرضية و الملذات، الرغبة في الحصول عليها مؤذية أكثر من إمتلاكها. ناراسيمها سوامي كان في احدى المرات جالساً أمام شري بهاغافان، مترجماً إلى التاميلي حياة و أقوال فيفيكاناندا. و عند وصوله إلى الحادثة المعروفة عندما من خلال لمسة واحدة منح شري راماكريشنا معرفة كل شيء كمادة واحدة، الفكرة طرأت له حول أن كان هكذا إدراك غير مرغوب و ان كان من الممكن لشري رامانا أن يعطيه إياه أيضاً من خلال اللمس أو النظرة. و كما كان يحصل غالباً، السؤال الذي كان يقلقه تم رفعه في تلك اللحظة من قبل مريد آخر: ايشامال سألت ان كان من الممكن للسيدهيز (القوى الروحية) أن يحصل عليها المريدين. كانت الفترة عندما كان شري بهاغافان يؤلف الآيات الأربعون حول الحقيقة، العمل الذي، مع الإضافة عليه، من الممكن إعتماده كإعلانه للعقيدة، فقام بتأليف مقطع شعري كجواب على السؤال. "أن يسكن المرء بثبات في الحقيقة التي هي أبدية هو السيدهي الفعلية. كل تحصيل آخر هو كما الحصول عليه في الأحلام. هل يتم إثباتهم على أنهم حقيقيين خلال إستيقاظ المرء؟ هل هؤلاء الذين هم ثابتين في الحقيقة و أحرار من الوهم سوف يهتمون بهكذا أشياء؟"

الماورائيات هي عائق أمام الروحي. القوى، و حتى أكثر، الرغبة في الحصول على القوى، تُعيق المريد. ورد في الديفيكالوترام، الذي ترجمه شري بهاغافان من السنسكريتي إلى التاميلي: "على المرء عدم تقبل القوى الخارقة، الخ.، حتى عندما تعطى إليه مباشرة، لأنها كالحبال التي تجر الوحش و عاجلاً أم آجلاً سوف تجر المرء نزولاً. الموكتي المطلقة (التحرر) لا يكذب بتلك الطريقة؛ و لا يمكن إكتشافه في مكان آخر خارج الوعي المطلق.

للعودة عن هذا الإنحراف عن الدرب الصحيح: ليس فقط كتقنية للتأمل قدم شري بهاغافان طريقة استفسار الذات و لكن كتقنية للعيش أيضاً. و عندما طرح عليه السؤال إن كان يجب استعمالها فقط خلال ساعات محددة للتأمل أو بشكل دائم، لقد أجاب، "دائماً." هذا يلقي الضوء على رفضه للتنسك و الابتعاد عن الحياة العلمانية، لأن الأشياء التي كانت بحد ذاتها عائق للسادهانا كانت تتحول بهذا الشكل الى أدوات للسادهانا. في المطلق، السادهانا هي بكل بساطة هجوم على الأنا المغرورة، و لا أي قدر من النشوة أو التأمل من الممكن أن يأخذها الى النجاح طالما هي مترسخة في الأمل و الخوف، الطموح و الإمتعاض، و في أي نوع من العاطفة أو الرغبة. شري راما و الملك جاناكا كانا أحرار من التعلق بالرغم من أنهم عاشا في العالم؛ السادهو الذي حاول دحرجة الصخور على شري بهاغافان كان متعلقاً بها بالرغم من أنه كان قد تخلى عن العالم.

في الوقت ذاته، هذا لا يعني أن مجرد الأفعال الخالية من الأنانية هي كافية من دون أي خطة ضمن حملة، لأن الأنا المغرورة لطيفة و عنيدة و سوف تأخذ ملجأ حتى في تلك الأفعال التي هي معتمدة لتدميرها، متخذةً العزة في التواضع أو الإستمتاع بالزهد.

إستفسار الذات خلال النشاطات اليومية، و طرح السؤال على أنفسنا لمن تصعد هذه الأفكار، هي خطة لحملة و فعالة جداً. قد لا يبدو الأمر كذلك عندما يتم تطبيقه على فكرة خالية من العاطفة، فلنقل على رأي المرء في كتاب أو فيلم؛ و لكن إن تم إعتمادها على فكرة عاطفية فلها فعالية رهيبة و تضرب عند جذور العواطف. إن كان مرء قد تأذى و يشعر بالإمتعاض – فمن الذي تأذى و هو يشعر بالإمتعاض؟ من هو الراضي و الجزع، غاضب أو منتصر؟ المرء يقع في أحلام اليقظة أو يتخيل إنتصارات ممكنة و هكذا ينفخ الأنا المغرورة بالقوة ذاتها التي ينفسها التأمل؛ و في هكذا لحظات يتطلب الأمر القوة و اليقظة لسحب سيف الفيتشارا و قطع العقد.

في نشاطات الحياة أيضاً، شري بهاغافان كان ينصح بالإستسلام و الخضوع للإرادة المقدسة جنباً إلى جنب مع الفيتشارا.

كان يشبه المرء الذي يفكر أنه يحمل همومه و مسؤولياته كالراكب في قطار والذي يصر على حمل أمتعته بالرغم من أن القطار يأخذها معه أيضاً و في حين أن راكب آخر أكثر حكمة يضعها على الرف و يجلس مسترخياً براحة. كل التعاليم و الأمثلة التي كان يمنحها كانت تصب في نقطة واحدة والتي هي إضعاف المصلحة الذاتية و الإعتداء على وهم أنا الفاعل.

عامل مشهور في الكونغرس، جامنالال باجاج، أتى في احدى المرات إلى الأشرام و سأل، "هل الرغبة في السواراج (الإستقلال السياسي) صحيحة؟"

فأجابه شري بهاغافان: "أجل، العمل المستمر من أجل الهدف تدريجياً يوسع النظرة إلى حد أن الفرد يندمج مع البلد. هكذا إندماج للفرد هو أمر مرغوب و الكارما هي نيشكامياكارما."

متهللاً بالبهجة، لربما، كونه قد حصل على موافقة السوامي حول أهدافه السياسية و رغبته في تطمين نهائي أكثر بعد، جامنالال سأل الآن ما يبدو أنه يتبع منطقياً، "إن كان يتم الحصول على السواراج بعد صراع طويل و تضحية رهيبة، ألا يحق للمرء أن يستمتع بالنتيجة؟"

و لكن خاب أمله. "كلا، في سياق الصراع كان عليه أن يسلم نفسه إلى قوى أكثر والتي يجب الحفاظ على عظمتها في البال و عدم فقدان الإنتباه لها. كيف من الممكن له عندها أن يكون مبتهجاً؟ لا يجب عليه حتى أن يهتم بنتائج أفعاله. فقط عندها تصير نيشكاميا."

هذا بما معناه القول أن نتيجة أفعال المرء تقع بيد الله، و كل ما هو المرء مسؤول عنه هو النقاوة و عدم إهتمامه بالموضوع. بالإضافة الى هذا، من خلال القيام بما هو صحيح لمجرد أنه صحيح، من دون أي مصلحة شخصية، المرء يفيد الآخرين حتى جانب النتائج الظاهرة التي تم تحقيقها و بطريقة أكثر فعالية بالرغم من أنها أكثر لطافة مما تدل عليه النتائج. المرء أيضاً يفيد نفسه بطريقة مباشرة جداً. في الواقع، من الممكن القول عن النشاط من دون إهتمام أنه حساب المصرف الفعلي، تجميع الكارما الجيدة التي سوف تشكل مستقبل المرء.

في حالة كهذه، عندما تم طرح السؤال عليه من قبل زائر، قدم شري بهاغافان شرح حول الموقف الفكري الذي قد يجعل من النشاطات السياسية أو الإجتماعية كسادهانا صحيحة، و لكنه لا يشجع تلاميذه على تناول هكذا نشاطات.

كان من الكافي أن يقوموا بوظيفتهم الخاصة في الحياة بصفاء و عدم إهتمام، القيام بما هو صحيح لأنه صحيح. بالرغم من أن الحالة الحالية للعالم قد تبدو غير متناغمة، و لكنها جزئاً من التناغم الأوسع؛ و من خلال تنمية معرفة النفس من الممكن للمرء أن يعرف هذا التناغم و أن يقوم بتأثير متناغم أعظم أكثر من خلال محاولاته لتغيير نمط الأحداث. تعليم شري بهاغافان حول هذا الموضوع ملخص بالحديث التالي مع بول برانتون:

بول برانتون: هل سيقدم الماهارشي رأيه حول مستقبل العالم، كوننا نعيش في أوقات حرجة؟

بهاغافان: لماذا عليك أن تقلق حول المستقبل؟ أنت حتى لا تعرف الحاضر كما يجب. إهتم بالحاضر و سوف يهتم المستقبل بنفسه.

بول برانتون: هل سوف يدخل العالم قريباً في عصر من الصداقة و المساعدة المشتركة أو هل سوف يدخل في الفوضى و الحرب؟

بهاغافان: هنالك واحد يحكم العالم و وظيفته هي الإعتناء بالعالم. هو الذي أعطى الحياة للعالم يعرف كيف يهتم به أيضاً. هو يتحمل عبء هذا العالم و ليس أنت.

بول برانتون: بالرغم من هذا إن نظر المرء حواليه بعيون غير متحيزة فمن الصعب رؤية أين تقع نظرته المقدسة.

بهاغافان: كما أنت، كذلك العالم. من دون فهم نفسك ما هي فائدة فهم العالم؟ هذا سؤال لا يجب للباحث عن الحقيقة أن يأخذه في عين الإعتبار. الناس تصرف طاقتها وراء هكذا أسئلة. إكتشف أولاً الحقيقة وراء ذاتك، عندها سوف تصبح في موقع أفضل لتفهم العالم الذي أنت نفسك جزئاً منه.

يجب الإشارة على أنه في هذه الجملة الأخيرة شري بهاغافان أستعمل كلمة "ذاتك" ليعني الأنا المغرورة، الذي اتخذه السائل عند لحظة السؤال على أنه ذاته. الذات الحقيقية هي ليست جزء من العالم و لكن الذات الجوهرية و الخالق للعالم.

الوصية بإستعمال إستفسار الذات خلال النشاطات الحياتية كانت تمديد للإستعمال التقليدي و تأقلم مع حاجات عصرنا. في إستعمالها المباشر كتأمل هي السادهانا الأقدم و الأنقى. بالرغم من أنها أتت إلى شري بهاغافان تلقائياً و لم يتم تلقينه إياها، فهي في التقليد القديم للرائين. الحكيم فاشيستا كتب: "هذا الإستفسار "من أكون أنا؟" هو البحث عن الذات الحقيقية و يُقال أنه النار التي تحرق بذرة النمو السام للفكر الخيالي." و لكن، لقد كانت موجوداً سابقاً رسمياً كالجنانا مارغا الصافية (درب المعرفة)، بسيطة و أيضاً عميقة جداً، السر المطلق كان يُمنح فقط لهؤلاء الذين يملكون فهماً صافياً ليتبعوها في تأمل غير منقطع، بعيداً عن ملهيات العالم. الكارما مارغا (درب العمل)، من ناحية أخرى، كان درب هؤلاء الذين يستمرون في الحياة العلمانية و تشكلت حياتهم كما ورد في البهاغافاد غيتا على حياة من الخدمة و العمل من دون التعلق بثمار العمل، هذا بما معناه القول من دون مبالاة، دون أي أثر للإهتمام الذاتي (الأنا المغرورة). هذان الدربان قد التحما الآن في درب واحد، مما كون درباً جديداً متناسباً مع ظروف العصر الحالي، درباً من الممكن إتباعه بصمت، في المكتب أو في المعمل لا أقل من الأشرام أو الكهف، مع أو من دون أي مراسيم، بكل بساطة فقط وقت قليل للتأمل و التذكر خلال كافة أوقات النهار.

"في النهاية كل ما كان مخفياً سوف يصبح معروفاً." عقائدياً، هذا القول للسيد المسيح قد تحقق من خلال الإعلان للدرب المطلق و الأكثر سرية و من إعتماده بما يتناسب مع عصرنا. هذا هو ما فعله شري بهاغافان.

بالفعل، الدرب الجديد هو أكثر من صهر للجنانا مارغا و الكارما مارغا؛ هو البهاكتي (المحبة او التعبد) أيضاً، لأنه يولد الحب الصافي - الحب للذات الحقيقية، الغورو الداخلي، الذي هو محبة بهاغافان، محبة الله. قال شري بهاغافان في إنجيل الماهارشي: "الأبدية، غير المكسورة، الحالة الطبيعية للبقاء في الذات الحقيقية هو الجنانا. للبقاء في الذات الحقيقية يجب أن تحب هذه الذات. بما أن الله في الواقع هو الذات الحقيقية، الحب للذات الجوهرية هو الحب لله، و هذا هو التعبد. الجنانا و البهاكتي هما واحد و ذات الشيء."

طرق الجنانا و البهاكتي التي كان شري بهاغافان يوصي بها قد تبدو دروباً مختلفة و لكن في الواقع هي قريبة جداً من بعضها أكثر مما يبدو، و لا تزيل أحدها الآخر؛ في الواقع من الممكن أن ينصهرا الى الدرب المتكامل المفرد الذي تم وصفه للتو.

من ناحية، الخضوع للغورو الخارجي يقود، من خلال بركته، إلى الغورو الداخلي التي تسعى الفيتشارا لإكتشافه؛ و من الناحية الأخرى، الفيتشارا تقود إلى السكون و الإستسلام. كل من الوسيلتين تسعى وراء ترويض العقل، فقط في حالة واحدة أكثر أمام الخارجي و في الحالة التانية أكثر بعد أمام الغورو الداخلي. الطرق غير المباشرة للسادهانا تبحث بدلاً عن ذلك عن تقوية و بناء العقل في سبيل تمكنه بالنهاية من الحصول على قوة و زخم بما فيه الكفاية للإستسلام أمام الروح، و هذا هو ما أشار إليه شري بهاغافان على أنه "اللص الذي يتحول إلى رجل شرطة من أجل إلتقاط اللص الذي هو نفسه". الأمر بالطبع، حقيقي أن العقل يجب أن يتقوى و يتم تطهيره قبل أن يستسلم، و لكن مع إستعمال الفيتشارا في ظل بركة شري بهاغافان هذا الامر يحصل أوتوماتيكياً.

أحد المريدين، كريشنا جيفراجاني، سأل في أحدى المرات حول هذا الأمر، "يُقال في الكتب أنه على المرء تنمية كل الصفات الجيدة أو المقدسة في سبيل الإستعداد لإدراك الذات المقدسة."

فأجابه شري بهاغافان: "كل الصفات الجيدة أو المقدسة هي موجودة في الجنانا (المعرفة) و كل الصفات الشريرة و النجسة هي موجودة في الأجنانا (الجهل). عندما تأتي الجنانا فكل الأجنانا تذهب و كل الصفات المقدسة تأتي تلقائياً. إن كان مرئاً جناني فليس بإمكانه أن ينطق بكذبة أو أن يقوم بأي شيء خاطىء. من دون أي شك، لقد قيل ببعض الكتب أنه على المرء أن ينمي صفة جيدة تلو الأخرى و هكذا يحضر نفسه للموكشا المطلق (التحرر)، و لكن بالنسبة لهؤلاء الذين يتبعون الجنانا أو الفيتشارا مارغا كسادهانا خاصة بهم فهذا الامر كافي بحد نفسه من أجل إكتساب كل الصفات المقدسة؛ ليسوا بحاجة للقيام بأي شيء آخر."

قد يكون الأمر، على أية حال، كم أن الفيتشارا سهلة المنال في الواقع. لقد تم الذكر في "الإرشادات الروحية،" التي تم جمعها بعد فترة قصيرة من نزول شري بهاغافان من سكانداشرام، أن أحد المريدين سأل، "هل من الممكن لكل الباحثين، مهما كانت عدتهم الروحية، أن يعتمدوا مباشرةً و يضعوها قيد الإستعمال لوسيلة الإستفسار بحثاً عن الذات المقدسة؟" فأجاب: "كلا، الأمر مخصص فقط للأرواح الناضجة، على الآخرين أن يحصلوا على التدريب اللازم و الممارسة من خلال إعتماد وسائل أخرى مشابهة كما هو مناسب لتطورهم الروحي، الفكري و المعنوي."

من فترة فيروباكشا أيضاً أتى جواب مماثل قد تم ذكره في التوضيحات التي تم نشرها تحت عنوان شري رامانا غيتا. "الوسائل الأخرى" تشمل المراقبات الدينية و التعبدية، التأمل، التضرعات، المانترات، و أيضاً التحكم بعملية التنفس. هي ليست فقط مجرد تحضيرية من أجل إستعمال الفيتشارا مارغا و لكن من الممكن إستعمالها في نفس الوقت معها.

العديد من المريدين قالوا لشري بهاغافان أنهم كانوا يستعملون وسائل معينة قد نصحهم بها هذا الغورو أو ذاك أو طلبوا إذنه لإستعمالها، و كان يستمع إليهم بسماحة و يوافق. و لكن عندما كان يجد أي من هؤلاء المريدين أن تلك الوسائل قد سقطت بالنسبة لهم فكان يوافق أيضاً. أحد المريدين قال له أنه لم يعد يجد أي دعم له من خلال الوسائل الأخرى التي كان يستعملها سابقاً و طلب منه إذنه لتركها، فأجابه، "أجل، كل الوسائل الأخرى هي فقط تقود للفيتشارا."

خلال الفترة اللاحقة في الأشرام عند سفح التلة، ليس هنالك أي تدوين حول وضع حدود بخصوص إستعمال الفيتشارا كما هو منصوص عليه، في حين أن المرء كان يسمع بالنصح في إستعمالها تحديداً مع التركيز على القلب، بالنسبة لجميع من كان يسأل الطريق. هذا قد يؤدى إلى الإستنتاج أنه، في الشكل الجديد الذي قدمها فيه شري بهاغافان، الفيتشارا كانت قد أصبحت فقط عندها متوفرة لكل من يسعى لإستعمالها من خلال بركته.

من ناحية أخرى، لقد لوحظ أيضاً، لحد ما متوفر من دليل، قلةٌ هم من كانوا يسعون لإستعمالها، العديد ممن أتوا إلى الأشرام كانوا يطرحون أسئلة حول الأمور الغامضة في الحياة أو من أجل نظام معين يجلب لهم السلام أو يطهر أو يقوي شخصيتهم والذين كانوا بعيدين جداً عن فهم عقيدة الأدفايتا أو ممارسة سادهانا إستفسار الذات لدرجة أن الامر كان صعباً جداً بالنسبة للمراقب السطحي الحصول على الرضى أو عدم الشعور بخيبة الأمل حول التعزية التي بدا و أنها كانت تمنح.

و لكن فقط على الصعيد السطحي، لأنه إن راقب المرء عن قرب أكثر فهو يدرك أن الجواب الحقيقي لم يكن لفظي و لكنه التأثير الصامت الذي بدأ في التغلغل خلال عقل السائل.

في شروحاته، كان شري بهاغافان يشدد على الحقيقة التي فقط الجناني يدركها، تماماً كما كان يشدد على القول الفصل، أنه كونه فيما يتعدى وجود الآخر، فإن الجناني لا يملك أي علاقات و لهذا السبب لا ينادي أي أحد على أنه مريده؛ و لكن بركته الصامتة، التي كانت تعمل على العقل، كانت تسمح له بالبحث هو بنفسه عن الوسائل الأخرى الأكثر ملائمة من أجل تطوره، كما قيل سابقاً خلال التحدث عن هؤلاء الذين كانوا بكل بساطة يجاهدون للإستسلام و المحاولة على إبقاء العقل صامتاً. التوجيهات الحرفية لم تكن ضرورية. كل شخص كان يتم مساعدته بما يتلائم مع طبيعته، و بما يتناسب مع فهمه و تعبده. "بركة الغورو هي كالمحيط. إن أتى المرء و هو يحمل كوب فسوف ينال ما يملأ هذا الكوب فقط. لا فائدة من التذمر من شح المحيط. كلما كانت المركبة أكبر كلما كان المرء قادر على الحمل أكثر. الأمر يعتمد تماماً على المريد."

سيدة فرنسية مسنة، والدة أحد المريدين، أتت لزيارة الأشرام. لم تتمكن و لم تهتم في فهم الفلسفة، و لكن منذ لحظة زيارتها صارت كاثوليكية ملتزمة بالرغم من أنها كانت أُقل من عادية فيما يتعلق بالإلتزامات الدينية سابقاً؛ و أدركت أن التغير كان بسبب تأثير شري بهاغافان. لقد كانت التطورات أكثر من الشروحات اللفظية هي التي تشكل البناء الأساسي لتعليمه.

قد يكون الأمر أيضاً، أنه مع مرور الوقت، سماحة شري بهاغافان المتزايدة كانت تُقرب مريديه اليه بشكل لصيق و هكذا تحضر قلوبهم من أجل الفيتشارا من خلال التعبد. ليس فقط المريدين و لكن الكثير من الزوار غير المنتظمين لاحظوا كيف أن وجهه أصبح أكثر سماحة و تألقاً خلال السنوات الأخيرة. كان يقود إلى المعرفة من خلال الحب ، تماماً كما الفيتشارا تقود من خلال المعرفة إلى الحب. التعبد نحوه كان يدير العقل الى الداخل نحو الذات المقدسة الذي كان إنعكاسها، تماماً كما البحث عن الذات المقدسة في الداخل يوقظ حباً غير محدود للذات المقدسة المنعكسة من خلاله.

أحد المريدين عبر عن الأمر على الشكل التالي: "أن ينظر المرء إلى وجهه، ساطع جداً، سموح و حكيم، و لكن مع براءة مولود جديد – هو يعرف كل شي بحاجة لمعرفته. في بعض الأوقات كانت ذبذبة تبدأ في القلب – بهاغافان - هو جوهر كينونتي تأخذ شكلاً، قلبي المنعكس خارجاً – من أكون أنا؟ - و هكذا الحب يقود إلى الإستفسار."

لم يكن أمراً طبيعياً أن يقوم المعلم بوصف تقنية السادهانا بشكل مفتوح من خلال الكلام و الكتابة، كما فعل شري بهاغافان.

هذا الأمر هو كذلك لأن التقنية كانت فقط فعالة إن تم تلقينها مباشرةً من الغورو كأوباديسا للمريد. و لكن مبادرة شري بهاغافان في هذا الموضوع تطرح من وجهة نظر أخرى السؤال حول كم أن الفيتشارا متوفرة للمريدين: كم هو متوفر أي نوع من السادهانا لم يقدمه للمريد الغورو بشخصه؟

شري بهاغافان نفسه ساهم في التسويق للتقليد الكوني أن تقنية السادهانا هي فقط صحيحة إن كان قد تم تلقينها من قبل الغورو. عندما تم سؤاله في أحدى المرات حول إن كان المرء من الممكن أن يستفيد من المانترات التي التقطها في أي مكان، لقد أجاب، "كلا، يجب أن يتم تلقينه إياها."

كيف فإذاً، قام بشرح الفيتشارا بهذا الشكل العلني و في بعض الأوقات أحال زائرين إلى شروحات موضوع في كتبه؟ التفسير الوحيد هو أنه أكثر بكثير من ذلك الغورو الذي بإمكان بعض المريدين أن يقتربوا منه جسدياً في تيروفاناماالاي. السلطة له و هو أعطى الحكم. في هذا العصر الروحي المظلم، عندما يبحث الكثيرين و لكن الغورو نادر الوجود، بهاغافان نفسه اتخذ شكلاً على الأرض كالساتغورو، المرشد المقدس، لجميع هؤلاء الذين يستديرون نحوه و أعلن أن السادهانا هي متوفرة لجميع الذين من خلال بركته يجدونها متوفرة.

لم تكن فقط وسيلة الفيتشارا محصورة بهؤلاء الذين يأتون إلى الهند، بل كانت أيضاً غير محصورة بالهنود كذلك الأمر.

تعاليم شري بهاغافان هي جوهر كافة الديانات، التي تبيح بالملأ ما كان مخفياً. الأدفايتا هي المسلمة الأساسية للطاوية و البوذية؛ عقيدة الغورو الداخلي هي عقيدة "المسيح في داخلك" متممةً لمعناها الكامل؛ الفيتشارا تذهب الى الحقيقة المطلقة للشهادة لدى الإسلام، أنه ليس هنالك إله إلا الله – أنه ليس هنالك ذات إلا الذات الجوهرية. شري بهاغافان كان فيما يتعدى إختلافات الديانات. الكتب الهندية كانت متوفرة له، لذا كان يقرأها و يتوسع مستنداً لسياقها، و لكنه كان مستعداً أيضاً للتوسع في الديانات الأخرى إن كان يطرح السؤال عليه. السادهانا التي نصح بها لم تكن مرتكزة بدين معين. ليس فقط الهنود هم من كانوا يأتون إليه و لكن أيضاً البوذيين، المسيحيين، المسلمين، اليهود، الفارسيين، و لم يتوقع أبداً من أي احد أن يغير دينه. التعبد للغورو و فيضان بركته يقودان إلى الحقيقة الأعمق الكامنة في كل دين، و إستفسار الذات يقود الى الحقيقة التي ما وراء كل ديانة.

مريدي بهاغافان راماناـ ماهارشي

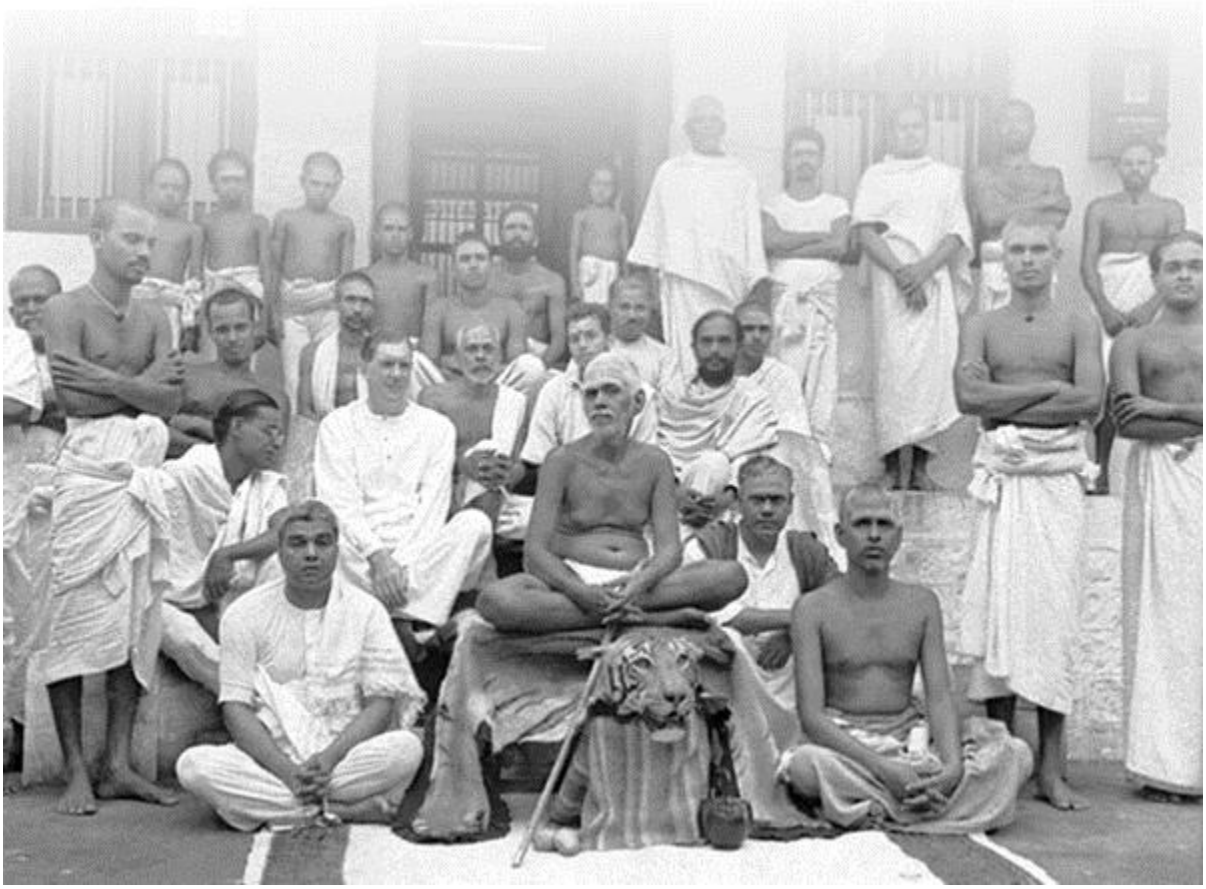

على صعيدٍ عام، كان المريدون أشخاصاً عاديين جداً. ولا بأي شكل من الأشكال كان الجميع من العلماء و المفكرين.

في الواقع، ما كان يحصل غالباً أن المفكر كان ينشغل بنظرياته الخاصة و يفشل في إدراك الحقيقة الحية و ينجرف بعيداً، في حين أن شخصاً بسيطاً يبقى و يعبد، و من خلال صدقه، يجذب إلى ذاته بركة بهاغافان. لأن إستفسار الذات يدعى بالجنانا-مارغا، درب المعرفة، يعتقد في بعض الأحيان أن المفكرين فقط هم قادرون على إتباعه، و لكن المقصود هو فهم القلب، و ليس المعرفة النظرية. المعرفة النظرية و العقائدية قد تساعد و لكنها قد تكون أيضاً عائق.

شري بهاغافان كتب: "ما الذي ينفع هؤلاء الذين لا يبحثون عن محي رسائل القدر من خلال السؤال، "من أين أتت ولادتنا نحن اللذين نعرف الرسائل؟" لقد جعلوا أنفسهم مثل الفونغراف الحاكي. ما هم غير ذلك، آه يا آروناتشالا؟ غير المتعلم هو الذي ينقذ بدل ذلك الذين لم تتنحى الأنا المغرورة لديهم بالرغم من علمهم" (الآيات الإضافية فف. ٣٥-٣٦). الكلمات حول محو رسائل القدر تشير المبدأ الهندي حول قدر المرء المكتوب على جبينه و لهذا السبب تعني الأمر ذاته كتجاوز الكارما. هي تأكيد إضافي لما قيل في المقطع الخامس، أن عقيدة القدر لا تأخذ من المرء إمكانية الجهد، أو بالفعل الحاجة لذلك.

لم يكن العلم مدان بحد ذاته، و كذلك الأمر الثروة المادية أو القوة الروحية لم يكونا كذلك؛ فقط، مع الثلاثة، الرغبة فيهم و الإنشغال فيهم كان ما هو مدان، إذ كانوا يعمون المرء و يلهوه عن الهدف الحقيقي. كما تم الحديث عن القوى الروحية في نص قديم تم الإستقراء منه سابقاً، هي كالحبال التي يقاد بها الحمار. الصدق كان ما هو مطلوب، ليس العبقرية؛ الفهم، و ليس النظرية؛ التواضع، و ليس الإعتزاز الفكري. بالأخص عندما كانت الأغاني ترنم في القاعة كان المرء يرى ذلك، ملاحظاً اللامبالاة التي كان يبديها شري بهاغافان في بعض الأحيان لأحد المشهورين و البركة التي كان يمطرها على المرء الذي يغني بتعبد حقيقي حتى و لو كان يملك القليل جداً من المهارة.

طبيعياً، كان الهنود الأكثر عدداً بين المريدين، و لكن كان هنالك آخرين كثيرين أيضاً. لم يفعل أي مرء لنشر المعرفة حول شري بهاغافان في كافة أنحاء العالم أكثر من شري بهاغافان خلال كتابه، بحث في الهند السرية.

فيما بين المقيمين الدائمين في داخل أو حول الأشرام خلال السنوات اللاحقة كان الرقيب شادويك، كبير البنية، عسكري و شخصيته قوية، و صوته عالي؛ السيدة تالييارخان، سيدة فارسية ذو طبيعة متعجرفة و هي سيدة كبيرة محترمة؛ س.س. كوهين من العراف، هادئ و غير بارز؛ الدكتور حافظ سيد، أستاذ جامعي متقاعد من بلاد فارس، مع شيء من سحر العالم القديم الأرستقراطي. كان الزائرون يأتون لفترات طويلة أو قصيرة من أميركا، فرنسا، المانيا، هولاند، شيكوسلوفاكيا، بولاندا، و العديد من الدول الأخرى.

فيشواناثان، أحد أقرباء شري بهاغافان الصغير سناً، أتى في العام ١٩٢٣ كشاب في التاسعة عشرة من العمر و بقيَّ. لم تكن تلك زيارته الأولى، و لكن هذه المرة منذ لحظة دخوله إلى القاعة شري بهاغافان سأله، "هل أعلمت أهلك برحيلك؟"

السؤال كان كإدراك أنه هذه المرة قد أتى ليبقى. لقد إعترف بهذا، كما شري بهاغافان نفسه، لقد ترك رسالة بكل بساطة، من دون القول أين كان ذاهباً. شري بهاغافان جعله يكتب رسالة، و لكن في أية حال تمكن والد الشاب من معرفة أين ذهب و أتى إلى الأشرام للتحدث حول الموضوع. كان لديه عقلاً منفتحاً و قد سمع كلاماً ايجابياً جداً حول السوامي و لكنه لم يكن يعرفه إلا في شبابه عندما كان فينكاتارامان و وجد أنه من الصعب جداً إستدراكه على أنه المقدس. و لكن عندما أتى إلى حضرته، إرتجف جسده بسبب هول الشهود و نزل على وجهه قبل أن يدرك حصول الامر.

"لا أرى شيئاً من الفينكاتارامان القديم هنا!" قال.

شري بهاغافان ضحك: "آه، ذلك الشخص! لقد إختفى منذ زمنٍ طويل."

متحدثاً مع فيشواناثان بطريقته المرحة. قال شري بهاغافان في أحدى المرات، "على الأقل كنت تعرف السنسكريتية عندما غادرت المنزل؛ عندما غادرت أنا المنزل لم أكن أعرف شيئاً."

كان هنالك آخرين أيضاً ممن كانوا يعرفون السنسكريتية و قد درسوا المخطوطات، فيما بينهم البروفيسور المتقاعد موناغالا فينكاترامياه (الذي جمع الأحاديث مع شري رامانا ماهارشي)، الذي عاش كسادهو و لبضعة سنوات احتفظ بدفتر مذكرات للأشرام، و مدير المدرسة سونداريسا آييار، الذي قد تم الإشارة اليه مسبقاً، والذي استمر في القيام بوظيفته في تيروفاناماالاي.

في السنة ذاتها كفيشواناثان، موروغانار أيضاً أتى، شاعر تاميلي من الطراز الأول. شري بهاغافان نفسه كان في بعض المرات يشير إلى أشعار أو يطلب من أحد المريدين قرأتها بصوت عالي.

هو من جمع الآيات الأربعون و جعلها كتاباً، و كتب أيضاً شرحاً حولها. الموسيقار مانافاشيراماسوامي آييار هو مريد أكبر سناً بعد. متقدم جداً بالسنين على شري بهاغافان، أتى إليه في البداية عام ١٩٠٧. قام أيضاً بتأليف أغاني جميلة تقديراً لمعلمه.

راماناسوامي بيللاي أتى كشاب من المدرسة عام ١٩١١ و بقيَّ. مثل فيشواناثان و موروغانار، بقي كسادهو؛ و لكن، في حالته كان الدرب من خلال التعبد و الخدمة. في أحدى المرات عام ١٩٤٧ جرح شري بهاغافان قدمه بحجر خلال سيره اليومي على التلة. في اليوم التالي راماناسوامي بيللاي، رمادي الشعر و لكن حيوياً، انطلق لتأسيس خطوات و طريق صعوداً على التلة. كان يعمل بمفرده، من الفجر إلى الغروب، يوماً بعد يوم لحين ما انتهى الدرب، الأطراف تم حفها بالصخر، و الخطوات تم تمليسها حيث كانت النتوءات، و تم ملء الفجوات أيضاً لتكون الارض متساوية. لقد تم البناء بشكل جيد و كامل، لدرجة أن موسم المطر لم يؤثر على الدرب منذ ذلك الحين؛ و لكن، لم يتم المحافظة على إصلاحها لأن صحة بهاغافان تدهورت بعد ذلك بقليل مما جبره على التخلي عن المشي على التلة.

رانغا آييار، رفيق المدرسة القديم الذي قد تم الإشارة إليه سابقاً، لم يستقر في تيروفاناماالاي و لكنه اعتاد هو و عائلته القيام بزيارات متكررة. درس في الصف ذاته مع شري بهاغافان ولعب و تصارع معه، و كان دائماً يتمتع بحرية كبيرة في الكلام و المزح. أتى في الأيام الأولى لكهف فيروباكشا لرؤية صديقه القديم الذي صار من حيث الشكل كسوامي، و أدرك مباشرةً أنه كان يقف أمام القدسية. لم يفعل هذا أخوه الأكبر سناً، ماني. اذ كان يقف بإزدراء أمام السوامي الشاب الذي كان يعرف على أنه مبتدئ في المدرسة. بعد هذا هو أيضاً صار من المريدين. أحد أولاد رانغا آييار كتب قصيدة تاميلية طويلة إحتفالاً بزواج شري بهاغافان مع المعرفة المقدسة (الجنانا).

جزء كبير من إنجيل الماهارشي كان قد تم تجميعه من أحاديث كان قد حصل تبادلها مع لاجيء بولندي، م. فريدمان. هنالك سيدتين بولنديتين معروفتين جداً في الأشرام. عندما اضطرت السيدة نّوي للعودة إلى وطنها أميركا لم تكن قادرة على كبح دموعها. قام شري بهاغافان بتعزيتها: "لماذا تبكين؟ أنا معكِ أينما تذهبين."

الأمر حقيقي مع كل مريدي بهاغافان. هو دائماً معهم؛ إن تذكروه قام هو بتذكرهم؛ حتى و لو قاموا بالتخلي عنه فهو لن يتخلى عنهم، بالرغم من هذا أن يسمع المرء ذلك شخصياً منه كان بركةً عظيمة.

أولادي الثلاثة، الأطفال الأوروبيين الوحيدين في تيروفاناماالاي، كانوا بارزين ما بين المريدين. خلال أحدى الأمسيات في ديسمر ١٩٤٦ قام شري بهاغافان بتلقين التأمل للإثنان الأكبر سناً، و إن كانت محاولاتهم

لوصف الأمر تفشل، كذلك الأمر بالنسبة للأشخاص الأكبر سناً. كيتي، التي كانت في العاشرة، كتبت: "عندما كنت جالسة في القاعة هذه الليلة، ابتسم لي بهاغافان و أغلقت عيناي و بدأت بالتأمل. في اللحظة التي أغلقت فيها عيني شعرت بأنني سعيدة جداً و شعرت أن بهاغافان، كان قريباً، قريباً جداً إلي و حقيقي و أنه كان في داخلي. لم يكن الأمر و كأنني سعيدة أو متحمسة حول شيءٍ ما. لا أعلم ماذا أقول، كنت بكل بساطة سعيدة جداً و أن بهاغافان هو محبوب كثيراً."

و آدم، الذي كان في السابعة، كتب، "عندما كنت جالساً في القاعة لم أكن أشعر بالسعادة فبدأت بالصلاة و شعرت بسعادة كبيرة، و لكن ليس مثل الحصول على لعبة جديدة، فقط حب بهاغافان و الجميع."

ليس أن الأطفال كانوا غالباً ما يجلسون في القاعة و لساعات طويلة. عندما كانوا يرغبون بذلك كانوا يدخلون و يجلسون؛ في أغلب الأحيان كانوا يلعبون في الأنحاء.

فرانيا، الطفلة الأصغر سناً، في السابعة، الإثنان الآخران كانا يتحدثان حول أصدقائهما و هي، كونها لم يكن لديها أصدقاء حقيقيين و لكن لم ترغب بإقصائها، قالت أن الدكتور سيد كان أفضل صديق لها في العالم. قيل هذا لشري بهاغافان.

الذي أجاب، "آه؟" مع إهتمام سطحي.

فقالت والدتها، "و ماذا عن بهاغافان؟"

"آه؟" هذه المرة أدار رأسه و أظهر إهتماماً حقيقياً.

"فرانيا قالت، "بهاغافان ليس في العالم."

"آه!" فاستقام بجلوسه و عليه تعبير من السرور، واضعا إصبع السبابة لديه على جانب أنفه بطريقة تدل على أنه كان يظهر التعجب. ترجم القصة إلى التاميلي و كررها بمتعة لهؤلاء الذين كانوا يدخلون القاعة.

لاحقاً، الدكتور السيد طرح على الطفلة السؤال، إن لم يكن شري بهاغافان في العالم فأين هو، فأجابته، "هو في كل مكان."

بالرغم من هذا استمر بالاستفسار، "كيف من الممكن أن نقول أنه ليس رجلاً مثلنا عندما نراه جالساً على الكنبة و هو يأكل و يشرب و يتمشى في الأنحاء؟"

فأجابته الطفلة، "لنتحدث عن شيءٍ آخر."

و بالرغم من هذا أي ذكر محدد للمريدين هو أمر غير عادل لأنه كان هنالك دائماً آخرون من الممكن ذكرهم. على سبيل المثال، قلةٌ كانوا من يتحدثون بحرية كما كان يفعل ديفاراجا موداليار أو ت.ب. راماشاندرا آييار، الذي قام جده أحدى المرات في أخذ رامانا بالقوة لتناول وجبة طقسية في منزله – المنزل الوحيد الذي تناول فيه الطعام بعد وصوله إلى تيروفانامالاي. العديد من الصور الجميلة لشري بهاغافان، تظهر تنوع مذهل من التعبير، قد أخذها الدكتور ت.ن. كريشناسوامي، الذي كان يأتي بين الحين و الاخر من مادراس. من الأحداث الأكثر متعةً و حيوية حول الأشرام، التي تتنفس سحر حضور شري بهاغافان، هي

موجودة في الرسائل التي تم كتابتها في التيلوغو من قبل احدى المريدات السيدات، ناغاما، لشقيقها د.س. شاستري، مدير مصرف في مادراس. مجدداً، كان هنالك مريدين نادراً ما يجدون الضرورة للتحدث مع شري بهاغافان أو لا يفعلوا أبداً. كان هنالك أرباب منزل يأتون كلما تسمح لهم الفرصة من أي بلدة أو بلد القدر وضعهم فيه و آخرون قاموا بمجرد زيارة صغيرة و بقوا كمريدين للمعلم بالرغم من أنهم ليسوا في حضوره الجسدي. و البعض لم يراه أبداً شخصياً و لكنهم قد نالوا التلقين السري عن بعد.

شري بهاغافان كان يُثني عن كل شيء يتعلق باللباس الغريب أو التصرف المتمايز و عرض مظاهر النشوة. لقد تمت الإشارة سابقاً كم أنه كان لا يوافق على الرغبة للحصول على الرؤى أو القوى و كيف أنه كان يفضل من أرباب المنزل السعي للكمال الروحي في ظل ظروفهم العائلية و حياتهم العملية. لم يؤدي إلى أي تغير راديكالي في الحياة الظاهرية لمريديه، لأن هكذا تغيرات قد تكون بناء خارق من دون أساس و قد تسقط لاحقاً. بالفعل، كان يحصل في بعض المرات أن أحد المريدين يُصاب بالإحباط، كونه لم يكن يرى أي تقدم على الإطلاق في نفسه و كان يتذمر على أنه لا يتقدم. في هكذا حالات كان شري بهاغافان يقدم بعض التعزية أو يرد بحجة معاكسة، "كيف تعلم أنه ليس هنالك من تقدم؟" و كان يشرح أن الغورو و ليس المريد هو من يرى التقدم الذي يحصل؛ على المريد الإستمرار بعمله على الدوام حتى و لو كان البناء الذي يتم إنشائه هو خارج عن رؤى العقل. قد يبدو الأمر كدرب شاق، و لكن حب المريدين لبهاغافان و سماحة إبتسامته كانا يعطيان الامر جمالاً.

أي سلوك مبالغ فيه كالمّونا أو الصمت التام كان يثنى عنه أيضاً. على الأقل في مناسبة واحدة جعل شري بهاغافان هذا الأمر واضحاً. بعد سماعه أن الرقيب شادويك كان يسعى إلى أن يصبح مّوني في اليوم التالي، فتحدث بإستفاضة ضد الممارسة، مشيراً إلى أن الحديث هو صمام أمان و من الأفضل التحكم فيه من التخلي عنه، و كان يسخر من الناس الذين يتخلون عن الحديث بالفم و يتحدثون بالقلم بدلاً عن ذلك. المّونا الحقيقي هو في القلب و من الممكن للمرء أن يظل صامتاً في وسط الكلام كما من الممكن له أن يكون منفرداً وسط الناس.

في بعض الأحيان، الأمر حقيقياً، كان هنالك سلوك مبالغ فيه. تلائماً مع الطبيعة المخفية للأوباديسا خاصته، الذي تم شرحها في مقطعٍ سابق، شري بهاغافان نادراً ما كان ينصح أو يمنع، و لكن بالرغم من هذا، هؤلاء الذين كانوا يتناولون أي مسار مبالغ فيه كانوا يشعرون بعدم رضاه من دون أي شك، حتى و لو كانوا لا يعترفون بذلك لأنفسهم، لأنهم كانوا يبدأون بالتغيب عن القاعة. أتذكر حالة مماثلة حيث كان الإتزان العقلي على المحك و شري بهاغافان قال بوضوح، "لماذا لا تأتي إلي؟" على المرء أن يعرف كم أنه كان يتجنب إعطاء التعاليم الخاصة بشخص محدد أو أن يقول للمرء تعال أو إرحل، و كيف كان يتجنب أي محاولة لجعله يقوم بذلك، و كم كانت تعتبر ثمينة و ملزمة أي إشارة على إرادته كانت تعتبر، في سبيل تقدير أهمية هكذا قول.

في هذه الحالة، المريد لم يأتِ و بعد ذلك بقليل صار عقلها مختلاً. لم تكن هذه الحالة الوحيدة. بالرغم من الجو الطبيعي، القوة الرهيبة التي كانت تشع من شري بهاغافان كانت قوية جداً بالنسبة لهؤلاء الذين يأتون. تمت الملاحظة على أنه، في أية حالة مماثلة، في اللحظة التي يتم فيها تدمير الإتزان العقلي، كان الشخصي يتوقف عن الإنفراد بنفسه و بالقدوم إلى الأشرام. لقد كان يلاحظ أيضاً أن شري بهاغافان في بعض المرات يؤنب هكذا شخص كطفل مشاكس كان قد سمح لنفسه بالقيام بعمل مشاغب ك قد توجب عليه مقاومته. في أغلب الحالات، كان يوضع العراك تحت تأثيره و المتعذب يثابر للعودة الى حالته الطبيعية. بالرغم من أن هذه

الحالات يجب أن يتم ذكرها لجعل الصورة كاملة، لا يجب التخيل، من المساحة التي تم تخصيصها لهم، أنهم كانوا متكررين على الإطلاق. كانوا دائماً حالات نادرة.

من الصعب التسليم بأي شيء محدد حول وسائل شري بهاغافان لأن الإستثناءات غالباً ما كان يمكن إكتشافها.

في حالات معينة كانت توجاهاته واضحة و محددة، بالأخص إن كان المرء يقترب منه بمفرده. آنانتارايان راو، جراح متقاعد كان قد بنى منزلاً بالقرب من الأشرام، تم إستدعائه عدة مرات على عجلة إلى مادراس حيث كان صهره مريضاً جداً. في احدى المناسبات تلقى رسالة تيليغرام حول هذا الموضوع، بالرغم من أن الوقت كان متأخراً عند المساء، أخذها مباشرةً إلى شري بهاغافان. في السابق، لم يعر الأمر أي إنتباه، و لكن هذه المرة قال، "أجل، أجل، عليك الذهاب." و بدأ بالتحدث عن عدم أهمية الموت. ذهب راو إلى المنزل و قال لزوجته أنه هذه المرة لا بد و أن المرض قاتلاً. وصلوا إلى مادراس قبل يومين من وفاة صهره. سمع المرء في بعض المرات عن أحداث أكثر ديناميكية أيضاً، كمريد تم توجيهه إلى استعمال اسم راماناً كأداة للذكر، و لكن لم يتم التحدث عنهم كثيراً.

عادةً ما كان المريد هو نفسه يأخذ قراراً و يعلن عنه. القرار كان جزء من السادهانا خاصته. إن تم بالأمر بالشكل المناسب، تصدر منه إبتسامة رضى تجعل القلب يغني، و ربما موافقة لفظية قصيرة. إن لم يتم الموافقة على القرار، هذا الأمر أيضاً كان عادةً ما يكون ظاهراً. رب منزل أعلن في أحدى المرات عن قراره بمغادرة تيروفاناماالاي إلى بلدةٍ أخرى حيث كان بإمكانه الحصول على عمل يؤمن له مردود مادي أفضل. فضحك شري بهاغافان، "الجميع حر بالقيام بالخطط." و لكن الخطة لم تنجح.

عندما أتى أحد القادة السياسيين الهنود إلى مادراس للقيام بندوات، أحد المرافقين لشري بهاغافان والذي كان من المعجبين بذلك السياسي طلب الإذن بالذهاب إلى أحد الندوات. جلس شري بهاغافان بوجه كالحجر، و كأنه لم يسمع. بالرغم من هذا ذهب المرافق. تنقل من إجتماع إلى إجتماع، و دائماً كان يصل متأخراً أو يفشل بالحصول على الإذن بالدخول. و عندما عاد قام شري بهاغافان بممازحته حول الموضوع. "فإذاً ذهبت إلى مادراس من دون إذن؟ هل كانت رحلتك ناجحة؟" كان متجرداً تماماً من الأنا المغرورة لحد أنه كان يتحدث أو يمزح حول أفعاله بطريقة طبيعية و غير شخصية تماماً كما كان يتكلم عن الآخرين.

هذا التأثير لشري بهاغافان كان من أجل إعادة توجيه المرء من اللذة و الألم، الأمل أو القلق، التي تحصل بسبب ظروف لها علاقة بالسعادة الداخلية التي هي طبيعة المرء، و مدركين لهذا، كان بعض المريدين لا يطلبون أو يسألون شيئاً، حتى في الصلاة الفكرية، و لكنهم كانوا يجاهدون بدلاً عن ذلك للتغلب على التعلق الذي يؤدي إلى صعود التمنيات. حتى بالرغم من أنهم لم ينجحوا تماماً، كان الأمر يبدو كنوع من الخيانة أن يذهبوا نحو شري بهاغافان و يطلبوا منه منافع خارجية، بدل حب أعظم، و ثبات أكثر، و فهم أكبر. إن أتت المصائب، السبيل كان في عدم إزالتها بل في طرح السؤال، "لمن أتت هذه المصائب؟ من أكون أنا؟" و هكذا الإقتراب أكثر نحو الهوية الواعية مع ذاك الذي لا يعاني لا من الولادة و لا من الموت و لا من أي مصيبة. و إن استدار أي أحد نحو شري بهاغافان بتلك النية فكان السلام و القوة يفيضان نحوه.

الطبيعة الإنسانية كونها كما هي، كان هنالك أيضاً مريدين يطلبون المساعدة من شري بهاغافان و الحماية خلال أحداث الحياة. متخذين وجهة نظر مختلفة، كانوا ينظرون إليه كالوالد أو الوالدة و يستديرون نحوه كلما كان يتهددهم أي نوع من المشاكل أو الخطر. كانوا إما يكتبون رسالة يتحدثون له فيها حول الموضوع أو بكل بساطة يصلون له، حيثما كانوا. و كانت صلواتهم تستجاب. المشكلة أو الخطر كان يتم تجنبه، أو في بعض الحالات حيث كان ذلك الأمر غير ممكن أو مفيد، السلام و الحظ كانا يفيضان نحوهم لكي يتحملوا المسألة

حتى تمر. كانت المساعدة تأتي إليهم تلقائياً، من دون أي تدخل اختياري من قبل شري بهاغافان. هذا لا يعني أن الأمر كان فقط بسبب إيمان المريد؛ كان بسبب البركة التي كانت تفيض منه إستجابةً لإيمان المريد.

كان بعض المريدين محتارين حول استعمال القوى هذا من دون اختيار و في بعض الأحيان حتى من دون وعي فكري للأحوال. دافاراجا موداليار قام بتسجيل كيف أنه سأل شري بهاغافان في أحدى المرات عن الموضوع.

"إن، في حالة بهاغافان كما في حالة كل جناني، العقل قد تدمر و هو لا يرى أي بهيدا (آخر) و لكن فقط الذات المقدسة، كيف بإمكانه أن يتعامل مع كل تابع منفصل أو مريد و يشعر معه أو يفعل أي شيء لأجله؟" لقد طرحت السؤال على شري بهاغافان حول هذا الموضوع و أضفت: "من الواضح بالنسبة لي و للكثيرين معي هنا أننا عندما نتفاعل بقوة مع أي من مشاكلنا و نحاول الإستعانة ببهاغافان فكرياً من حيثما كنا فإن المساعدة تأتي تقريباً تلقائياً.

أتى رجل لعند بهاغافان، مريد قديم له. و راح يسرد أمامه كافة أنواع المشاكل التي مر بها منذ حين ما إلتقى بهاغافان؛ استمع بهاغافان لقصته بصبر و تعاطف، و في بعض المناسبات حتى قام بالتعبير عن الدهشة و المقاطعة بعبارات مثل، "آه! الأمر حقاً كذلك؟" و إلى ما هنالك. و القصة غالباً ما كانت تنتهي" "عندما فشل كل شيء آخر، توجهت لشري بهاغافان، وبهاغافان وحده أنقذني." بهاغافان يصغي لكل هذا كما لو أنها كانت الأخبار بالنسبة له و حتى يشارك ذلك مع الآخرين الذين يأتون لاحقاً، "يبدو أن هكذا و هكذا أمر قد حدث لذلك أو ذاك الشخص منذ حين ما كان معنا." نعرف أن بهاغافان لا يتظاهر أبداً، فهو يبدو فإذاً بشكل ظاهر على أنه لم يكن واعي لأي شيءٍ مما حدث، على الأقل على بعد واحد، لحين ما يتم القول له. في الوقت ذاته، من الواضح بالنسبة لنا أنه في اللحظة التي نكون بها في ألم و ننادي للمساعدة فهو يسمعنا و يرسل المساعدة بطريقة أو بأخرى، على الأقل من خلال إعطاء الحظ السعيد أو التمكينات الأخرى لتحمل المتاعب التي قد أصابتنا إن لسبب ما لم يكن من الممكن تجنبها أو التعديل فيها. عندما وضعت كل هذا أمام بهاغافان، لقد أجاب. "أجل، كل هذا يحصل أوتوماتيكياً".

نادراً جداً ما كان شري بهاغافان يستعمل القوى الخارقة للطبيعة. أكثر من هذا، إن كان يفعل ذلك فكان الأمر مخفياً تماماً كما تلقينه أو الأوباديسا. في السنوات اللاحقة كان هنالك رب منزل بين المرافقين، راجاغوبالا آييار. كان لديه ابن عمره ثلاثة سنوات كان قد تم تسميته رامانا، طفل لطيف جداً يركض و ينحني أمام شري بهاغافان يومياً. خلال أحدى الأمسيات، بعد تفرق المريدين في الليل، قامت أفعى بلدغ الطفل. راجاغوبالا آييار حمله و ركض مباشرةً نحو القاعة. بالرغم من هذا كان الفتى قد صار لونه أزرق و يشهق بالوقت الذي وصل فيه إلى هناك. شري بهاغافان وضع يده عليه و قال، "أنت بخير، رامانا." و كان بخير. راجاغوبالا آييار تحدث عن الموضوع مع بعض المريدين و لكن الأمر لم يتم مداولته كثيراً.

بالرغم من أنهم يترافقان كالظل سوية، يجب القيام بتمييز فيما بين طلب إستفادة من شري بهاغافان و الإستعانة عليه من أجل الحماية و الراحة الشخصية. الأخير كان يوافق عليه بكل تأكيد. إن كان احد يلقي بحمله حول حسن سير أحواله عليه فكان يتقبله. في أكشارامانامالاي قام بالكتابة، واصفاً لموقف التابع للغورو: "ألم تناديني إلى الداخل؟ لقد أتيت و حسن الإهتمام بي هو الآن حملك." لقد قام في احدى المرات، بناءً على طلب أحد المريدين، بإختيار إثنان و أربعون آية من البهاغافاد غيتا و قام بترتيبهم في سياق مختلف من أجل التعبير عن تعليمه، و فيما بينهم كانت الآية، "أنا أتناول حماية و ضمان خير هؤلاء الذين، من دون

إثنينية، يتأملون علي و يعبدوني و يسكنون دائماً هكذا متوجهين." قد يكون هنالك إمتحانات قاسية و فترات من الإختبار للإيمان و عدم الأمان، و لكن المريد الذي يضع ثقته في شري بهاغافان دائماً ما يتم الإعتناء به.

الأعمال المكتوبة لشري بهاغافان

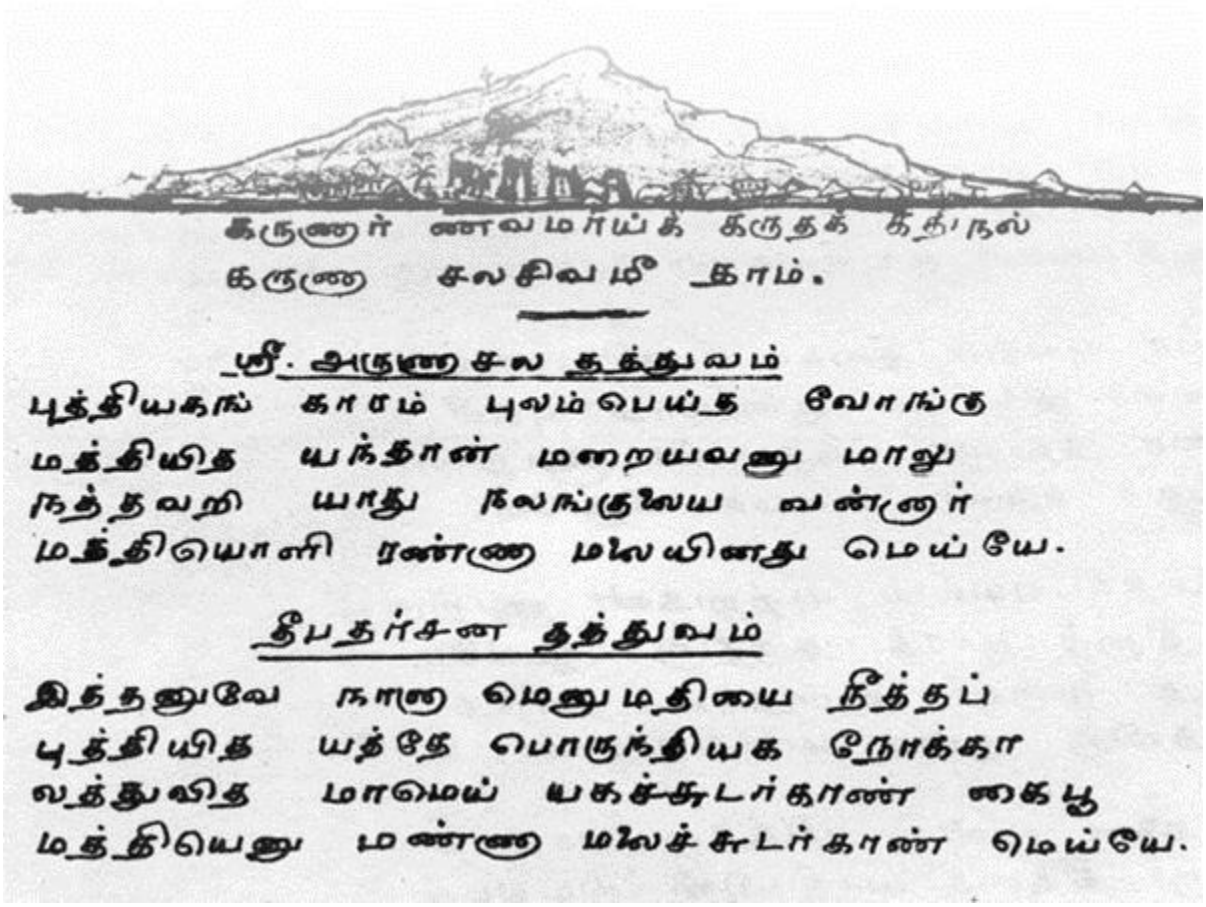

الكتابات الكاملة لشري بهاغافان صغيرة جداً من حيث الحجم، و(في حينها) معظمها قد تم كتابتها إستجابةً لحاجة المريدين. ديفاراجا موداليار سجل في مدوناته كيف أن شري بهاغافان قام بتقديم ملاحظة حول هذا الأمر عندما كان يتحدث مع شاعر يقوم بزيارته.

"كل هذا هو فقط نشاط للعقل. كلما مرنت العقل أكثر و كلما نجحت أكثر في تأليف الآيات كلما كان لديك سلام أقل. ما هي الفائدة من الحصول على هكذا تحقيقات إن كنت لن تحصل على السلام؟ و لكن ان قلت لهكذا نوع من الناس هذا الموضوع فهو لا يعجبهم؛ ليس بإمكانهم أن يكونوا هادئين. يجب أن يكونوا في سياق تأليف الأغاني... لسببٍ ما، لا يخطر لي كتابة كتاب أو تأليف قصائد. كل القصايد التي كونتها كانت بناء على طلب أحدهم أو تفاعلاً مع حدثٍ ما. حتى الآيات الأربعون حول الحقيقة، الذي يوجد حوله الكثير من

الترجمات و التعليقات الآن، لم يكن مخطط له أن يكون كتاباً بل هو يتألف من آيات تم تأليفها في أوقات مختلفة و لاحقاً تم جمعها و وضعها في كتاب من قبل موروغانار و آخرين.

القصائد الوحيدة التي أتت إلي تلقائياً و دفعتني على كتابتها كما حصل من دون أي تأثير من أحد، هي، المقاطع الشعرية الأحد عشر لأروناتشالا و المقاطع الشعرية الثمانية لأروناتشالا. كلمات الإفتتاح للمقاطع الشعرية الأحد عشر أتت إلي خلال أحد الصباحات و حتى أنني حاولت كبتها، قائلاً، ماذا لدي مع هذه الكلمات؟" لم يكن من الممكن حبسها لحين ما قمت بتأليف أغنية لجلبها إلى الداخل: و كل الكلمات فاضت بسهولة، من دون أي جهد. في الطريقة ذاتها، المقطع الشعري الثاني قد تم وضعه في اليوم التالي و المقاطع الشعرية التابعة في الأيام التالية، واحدة في كل يوم. فقط العاشرة و الحادية عشرة تم وضعها في يومٍ واحد."

واسترسل في الوصف بطريقته الخاصة الحية كيف قام بتأليف المقاطع الشعرية الثمانية.

"في اليوم التالي بدأت بالذهاب للسير حول التلة. كان بالانيسوامي يجري خلفي و بعد ذهابه في طريق معين، آيياسامي ناداه و أعطاه قلم و ورقة، قائلاً له، "لبضعة أيام الآن السوامي يؤلف مقطعاً شعرياً في كل يوم. قد يقوم بذلك اليوم كذلك الأمر، لذا من الأفضل لك أن تأخذ هذا القلم و الورقة معك."

"لقد علمت بالأمر فقط عندما لاحظت أن بالانيسوامي لم يكن معي لبعض الوقت و التحق بي لاحقاً. خلال ذلك اليوم، قبل عودتي إلى فيروباكشا، كتبت ستة إلى ثمانية مقاطع شعرية. أما خلال تلك الأمسية أو في اليوم التالي أتى نارايانا ريدي. كان في ذلك الوقت يعيش في فيللور كعميل لشركة سينغر و شركائها. و كان يأتي بين الحين و الأخر. آياسامي و بالانيسوامي تحدثا أمامه حول القصائد فقال، "أعطوني هذه المقاطع في الحال و سوف أذهب و أطبعها." كان قد قام بنشر بعض الكتب سابقاً. عندما أصر على أخذ القصائد قلت له أنه من الممكن له القيام بذلك و من الممكن له أن ينشر المقاطع الأحد عشر الأول كنوع واحد من القصائد، و الآخرين الذين هم على متون آخر كعمل ثاني. لتكوين العدد المطلوب، قمت على الفور بتأليف مقطعين آخرين فتناول المقاطع التسعة عشرة معه و أخذها للنشر."

قام العديد من الشعراء بتأليف الأغاني لشري بهاغافان في لغاتٍ مختلفة، المتميز فيما بينهم كان أعمال غاناباتي شاستري بالسنسكريتي و موروغانار بالتاميلي. بالرغم من ذلك، في الحديث الذي تم استنباطه ، انتقد شري بهاغافان كتابة الشعر على أنها إهدار للطاقة من الممكن توجيهه إلى الداخل نحو السادهانا، كان يستمع بتعاطف و يظهر اهتماماً عندما كانت بيوت الشعر تغنى أمامه. كتب نثرية و مقالات قد تم كتابتها أيضاً حوله، و كان غالباً ما يطلب قراءتها بصوت عالي و ترجمتها لكي يفهم الجميع. كان المرء ينصدم باهتمامه اللا شخصي الفائق للعادة، و براءة الأطفال لديه حول الموضوع.

هناك كتابان نثريان من الممكن أن يقول المرء أنه قد تم كتابتهما من قبل شري بهاغافان.

خلال السنوات الأولى في فيروباكشا، عندما كان لا يزال يحتفظ بصمته، قام بكتابة التوجيهات خلال مناسبات مختلفة من أجل غامبيرام سيشاييار، و بعد وفاة سيشاييار تم تنظيمها و نشرها في كتاب تحت عنوان استفسار الذات. بالمثل، أجوبته قد تم منحها خلال الفترة ذاتها لشيفابراكاسام بيللاي و تم تضخيمها و تنظيمها على شكل الكتاب تحت عنوان من أكون أنا؟ الكتب النثرية الأخرى التي قام الأشرام بنشرها لم تتم كتابتها من قبله هو و لكنها مدونات لأحاديث شفهية كان قد قدمها كجواب للأسئلة التي تطرح عليه و هي لهذا السبب جميعها على شكل نوع من الأحاديث.

قصائده تقع ضمن مجموعتين: تلك التي تظهر المقاربة من خلال البهاكتي، أي من خلال الحب و التعبد، و تلك التي هي أكثر عقائدية. المجموعة الأولى هي مؤلفة من التراتيل الخمسة لشري آروناتشالاو تم كتابتها جميعاً خلال فترة فيروباكشا. عنصر التعبد فيها لا يوحي بأي تخلي للأدفايتا و لكنه مدموج تماماً بالمعرفة. لقد تمت كتابتها من حيث موقع الساعي أو المريد، بالرغم من أن الذي كتبها كان مثبتاً في المعرفة المطلقة، في نعيم الإتحاد و ليس في ألام الشوق؛ و لهذا السبب هم متألفين جداً مع قلب المريد.

لقد تم ذكر إثنين منها بالفعل، المقاطع الشعرية الثمانية و الأحدى عشرة.

في الأخيرة شري بهاغافان لم يكتب فقط كساعي بل فعلاً إستعمل الكلمات، "الأحد الذي لم يحصل على المعرفة المطلقة." رغبةً منه بتأكيد واضح، أحد المريدين، أ. بوز، سأله لماذا كتب هكذا، و ان كان الامر من موقع المريدين و لمصلحتهم، فأقر شري بهاغافان بأن الامر كان كذلك.

المقاطع الشعرية الخمسة الأخيرة كتبها شري بهاغافان أولاً في السنسكريتية و من ثم ترجمها إلى التاميلي. قصة كتابتها مذهلة. غاناباتي شاستري طلب منه كتابة قصيدة سنسكريتية، فأجاب، ضاحكاً، أنه لم يكن يعرف أساسيات القواعد السنسكريتية أو أي من المتون السنسكريتية. شاستري شرح أحد المتون له و ترجاه المحاولة. خلال الأمسية ذاتها قام بتأليف خمسة آيات كاملة في السنسكريتي. و لقد تم ترجمتها كما التالي:

يا محيط الرحيق، الممتلىء بركة، الذي يغطي الكون بروعته، آه يا آروناتشالا، أيها المطلق! كن أنت الشمس وافتح زهرة إهليلج قلبي في النعيم.

آه يا آروناتشالا! فيك أنت تتشكل صورة الكون، تثبت و تتحلل. في هذا اللغز تسكن أعجوبة الحقيقة. أنت الذات الداخلية التي ترقص في القلوب كالأنا الحقيقة. "القلب" هو إسمك، أيها الرب!

ذاك الذي يستدير إلى الداخل مع عقل خالٍ من المشاكل حيث يصعد وعي "الأنا" يدرك الذات الحقيقية و يسكن فيك، آه يا آروناتشالا! كالنهر عندما يتحد في المحيط.

متخلياً عن العالم الخارجي، مع العقل و التنفس تحت التحكم، في سبيل التأمل عليك في الداخل، اليوغي يرى نورك، آه يا آروناتشالا! و يجد لذته فيك. ذاك الذي يكرس عقله لك، و يراك، دائماً يرى الكون كشكلك، الذي يمجدك في كافة الأوقات و يحبك ك-لا شيءٍ آخر إلا الذات المقدسة، هو السيد من دون أي نظير، كونه واحد معك، آه يا آروناتشالا! و ضائعاً في نعيمك.

هذه المقاطع الشعرية هي عقائدية أكثر من التراتيل الأربعة، مؤشرين بشكل واضح إلى المارغا الثلاثة الأساسية أو المقاربات نحو التحقق. و خلال تحدثه عنها في وقت لاحق، قام شري بهاغافان بالشرح: "المقطع الشعري الثالث يتعامل مع منحى السات (الكينونة)، الرابع مع الشيت (الوعي) و الخامس مع الأناندا (النعيم). الجناني يصير واحداً مع السات أو الحقيقة كما النهر الذي يتحد مع المحيط؛ اليوغي يرى نور الشيت؛ البهاكتا أو الكارما يوغي هو منغمس في فيضان الأناندا."

و لكن، الأكثر تأثيراً و تحبباً من المقاطع الشعرية الخمسة هو إكليل الزواج للمئة و ثمانية آيات لشري آروناتشالا، الذي يعرف بشكل عام ب "آروناتشالا شيفا." خلال السنوات الأولى عندما كان مسكن شري بهاغافان في فيروباكشا، بالانيسوامي و آخرين كانوا معتادين على الذهاب إلى البلدة لتسول الطعام من أجل مجموعة المريدين الصغيرة في حينه، و في أحد الأيام طلبوا من شري بهاغافان أغنية تعبدية لينشدوها خلال

جولتهم. فأجابهم أنه هنالك العديد من الأغاني الراقية التي تم تأليفها من قبل قديسين، و العديد منها قد تم إهماله، لذا لم يكن هنالك من حاجة لتأليف واحدة جديدة. و لكن، استمروا على حثّه و بضعة أيام لاحقة ذهب ليقوم بالبراداكشينا حول التلة، و كان يحمل قلماً و ورقة معه، و على الطريق قام بتأليف المئة و ثمانية آيات.

دموع النشوة راحت تتدفق على وجهه و هو يكتب، و كانت أحياناً تعمي عينيه و تخنق صوته. القصيدة صارت الملهم العظيم للمريدين. كل ألم الشوق و نعيم التحقق يشعان في رمزيتها البراقة. كمال المعرفة مختلط مع نشوة التعبد. و بالرغم من هذا، هذه القصيدة التي يشعر بها القلب قد تم تأليفها من موقع المريد، الذي لا يزال يبحث. هي أيضاً قصيدة ذات ترتيب خاص، آياتها المئة و ثمانية تبدأ من خلال الرسائل المتلاحقة للأبجدية التاميلية. بالرغم من هذا، ولا أي قصيدة من الممكن أن تكون تلقائية بهذا الشكل. بعض المريدين طلب تفسير بعض الآيات من شري بهاغافان فأجابهم: "فكروا أنتم فيها و أنا سوف أفعل ذلك أيضاً. لم أقم بالتفكير حينما كنت أقوم بالتأليف؛ فقط كتبت ما كتبت."

هنالك أسطورة قديمة أن مجموعة من الريشيين أو الحكماء الذين يعيشون مع عائلاتهم في الغابة، كانوا يمارسون الكارمات، أي الطقوس و الأفعال التعبدية، التي حصلوا من خلالها على القوى الخارقة و تمنوا في النهاية الحصول على التحرر الأسمى. في هذا، و لكن، كانوا مخطئين. في سبيل إقناعهم بخطأهم، ظهر أمامهم شيفا كمتسول، و بصحبته فيشنو متنكراً بزي موهيني، امرأة جميلة. كل الريشيين وقعوا في حب موهيني و زوجاتهم في شيفا، النتيجة التي أدت إلى إقلاق توازنهم و تهاون قواهم. بعد رؤيتهم لهذا، قرروا أن شيفا لا بد و أنه عدو فاستحضروا الأفاعي، و نمر و فيل و أرسلوهم ضده. و لكن شيفا، تناول الأفاعي و وضعهم كإكليل على رقبته، و قام بذبح النمر و الفيل و استعمل جلدة السابق كمئزر و الأخير كشال. الريشيين عندها أدركوا قواه العظيمة، انحنوا أمامه و ترجوه لإعطائهم الأوباديسا أو التوجيه. فقط عندها قام شيفا بشرح خطأهم، شارحاً أن الفعل لا يمكن أن يأتي بالحرية من الفعل، أن الكارما هي الميكانيكية، و ليست سبب الخلق، و أنه من الضروري الذهاب إلى ما يتعدى الفعل نحو التأمل.

الشاعر و المريد موروغانار كتب هذه القصة في آيات تاميلية، و لكن عندما وصل إلى الجزء في القصة حيث شيفا يعطي التعاليم إلى الريشيين توسل بهاغافان، الذي كان هو شيفا متجسداً، أن يكتب هذا الجزء. و بناءً على هذا قام شري بهاغافان بتأليف أوباديسا سارام أو التوجيه في ثلاثون آية الذي و من خلاله، مبتدياً بنشاط متعبد و غير متعلق، قام بالشرح، مفيداً كما هو، الذكر هو مفيد أكثر، و مفيداً أكثر الذكر الصامت من ذاك الذي يردد بصوت عالي، و مفيد أكثر أيضاً هو التأمل. شري بهاغافان قام بترجمة الآيات الثلاثون إلى السنسكريتي و ينظر إلى النسخة السنسكريتية على أنها مخطوط و كان يتم ترديدها يومياً أمام شري بهاغافان سوية مع الفيدا و هي ترنم الآن أيضاً لا تزال أمام مزار سامادهي البركة خاصته.

العقيدة التي كان يعلمها شري بهاغافان مذكورة بالشكل الأكثر وضوحاً في هذه القصيدة و في الأولادو نارادو أو الآيات الأربعون حول الحقيقة سوية مع إضافة أربعون آية ثانية.

تم القيام بالعديد من الترجمات حول الآيات الأربعون عن الحقيقة و كتابة الشروحات حولها. هي تحتوي على كونية و حكمة كبيرة لدرجة أنها تتطلب الشروحات. و بالرغم من هذا، كما علق شري بهاغافان في الحديث الذي تم وضعه فوق، لم تتم كتابتها كقصيدة متكاملة و لكن الآيات قد تم كتابتها من وقت لوقت عندما كانت تحين المناسبة. بعض الأربعون الإضافية لم تتم كتابتها حتى من قبل شري بهاغافان نفسه، و لكن تم سحبها من مصادر أخرى، لأنه عندما كان يجد آية مناسبة موجودة في مكان آخر فهو لم يكن يجد أنه من المناسب كتابة واحدة جديدة. بالرغم من هذا، العمل ككل هو التعبير الأكمل و الأكثر عمقاً لعقيدته.

بشكل منفصل عن هاتان المجموعتان هنالك بضعة قصائد قصيرة أيضاً. و لا تخلو من حس الفكاهة. واحدة منها تحتوي على التوجيهات حول السادهانا تحت رمزية وصفة للقيام بالبوبادوم، وجبة مفضلة في جنوب الهند. والدة بهاغافان كانت تحضرها في احد الأيام و طلبت المساعدة، و هو بناءً على هذا قام بكتابة الوصفة الرمزية لها تلقائياً.

الشاعر آفاييار قام في أحدى المرات بكتابة شكوى ضد معدته: "أنت لن تستمري من دون طعام حتى ليوم واحد، و لن تتناولي بما فيه الكفاية حتى ليومين في مرةٍ واحدة. ليس لديك أي فكرة عن المتاعب التي أعانيها بسببك، آه أيتها المعدة البائسة! من المستحيل الإستمرار معك!"

خلال أحد الايام كان الجميع يتناول الطعام في الأشرام و كان الجميع يشعر بعدم الراحة، فقام شري بهاغافان بتمثيل عرض المقطع الشعري الذي ألفه آفاييار. "أنت حتى لن تمنحيني ساعة من الراحة، أيتها المعدة. يوم بعد يوم، كل ساعة، أنت تستمرين بتناول الطعام. أنت لا تعرفين كم أعاني، أيتها الأنا المغرورة المثيرة للمشاكل! من المستحيل الإستمرار معكِ."

عام ١٩٤٧ قام شري بهاغافان بكتابة قصيدته الأخيرة. هذه المرة لم يكن الأمر كجواب لأي طلب، و لكن كان للأمر شيئاً من شكل دورة من القوة، بما أنه كتبه في البداية بالتيلوغو، و لكن على أساس متون تاميلي، و ثم قام بترجمته إلى التاميلي. لقد كان يدعى ايكاتمابانشاكام ("الآيات الخمسة حول الذات الحقيقية").

ناسياً الذات الحقيقية، و مخطئاً الجسد على أنه الذات، سائراً في ولادات لا تحصى و أخيراً إكتشافه و كينونته للذات – هذا الأمر هو تماماً كما الإستيقاظ من حلم كان المرء يتجول فيه في كافة أنحاء العالم.

ذاك الذي يسأل "من أكون أنا؟" بالرغم من تواجده كالذات الحقيقية، هو كالرجل السكران الذي يسأل حول هويته الخاصة و مكانها.

في حين أنه بالواقع الجسد هو في الذات، الظن بأن الذات هي موجودة في الجسد الزمني هو كالظن بأن شاشة السينما التي تعرض عليها الصور هي في داخل تلك الصور.

هل عِقْدُ الرقبة أي وجود بشكل منفصل عن الذهب (الذي هو منه مصنوع)؟ أين هو الجسد بشكل منفصل عن الذات الحقيقية؟ الجاهل يخطىء في إعتقاده الجسد على أنه الذات الحقيقية، و لكن الجناني، الذي يعرف الذات الحقيقية، يدرك الذات الحقيقية على أنها الذات.

تلك الذات الواحدة، الحقيقة، فقط هي موجودة و الى الأبد. ان كان الغورو الأول (أدي غورو، داكشينامورتي) كان يظهرها في الصمت، فمن بإمكانه إخفائها في الكلام؟

هنالك أيضاً بضعة ترجمات، بالأساس من شانكاراشاريا. قام أحد زوار كهف فيروباكشا أحدى المرات بترك نسخة عن فيفيكاشوداماني من مؤلفات شانكاراشاريا. و بعد التمعن فيها، نصح شري بهاغافان غامبيرام سيشاييا بقرأتها. و لكنه هو، لم يكن يعرف السنسكريتي، فأرادها بالتاميلي. حصل بالانيسوامي على قرض من أجل من نشر الآية بالتاميلية و عندما رأى سيشايا ذلك، قام بالكتابة للناشرين من أجل نسخة و لكنهم أجابوه بأنها غير متوفرة في الطبع. لهذا السبب طلب من شري بهاغافان أن يقوم بكتابة العمل بالطريقة النثرية التاميلية. فبدأ شري بهاغافان بكتابة أحدها و لكن سرعان ما بدأ بالأمر حصل سيشايار على النسخة التي كان قد طلبها من المطبعة، لذا بقي العمل غير مكتمل. بضعة سنوات لاحقة، بناء للطلب

الدؤوب لمريد آخر، تناول العمل مجدداً و أنهاه. فقط عندها قال المريد أن هدفه كان نشر العمل. بعد سماعه لهذا، قام شري بهاغافان بكتابة مقدمة قال فيها أنه من الممكن إستعمال نسخة حرة بالرغم من وجود نسخة تاميلية بالأصل. المقدمة نفسها كانت تحتوي على خلاصة الكتاب و على عرض دقيق للعقيدة و الدرب.

الأمر الأخير الذي قام بكتابته كان ترجمةً تاميلية للأتما بودا من تأليف شانكاراشاريا. لقد كان المخطوط معه في فيروباكشا منذ الأيام الأولى و لكن لم يخطر بباله ترجمته. عام ١٩٤٩، نسخة تاميلية، ربما لم تكن جيدة، تم إرسالها إلى الأشرام، و بعد فترة قليلة شعر شري بهاغافان بالدافع للقيام بترجمة المخطوط. لبضعة أيام تجاهل الموضوع، و لكن كلمات الترجمة صعدت أمامه، آية تلو آية، كما لو أنها كانت مكتوبة سابقاً، لذا طلب ورقة و قلم و قام بتدوينها. كان العمل من دون أي جهد لدرجة أنه قال ضاحكاً، لقد كنت خائفاً من أن يأتي مؤلف و يدعي أن العمل له و تم نسخه.

أيضاً، بين أعمال شري بهاغافان هناك مجموعة لإثنين و أربعون آية من البهاغافاد غيتا الذي، بناءً على طلب المريدين، قام بإختياره و إعادة تنظيمه من أجل التعبير عن تعاليمه. لقد تم ترجمة هذا العمل إلى الإنكليزية تحت إسم الأغنية السماوية.

الماها سامادهي لشري رامانا ماهارشي

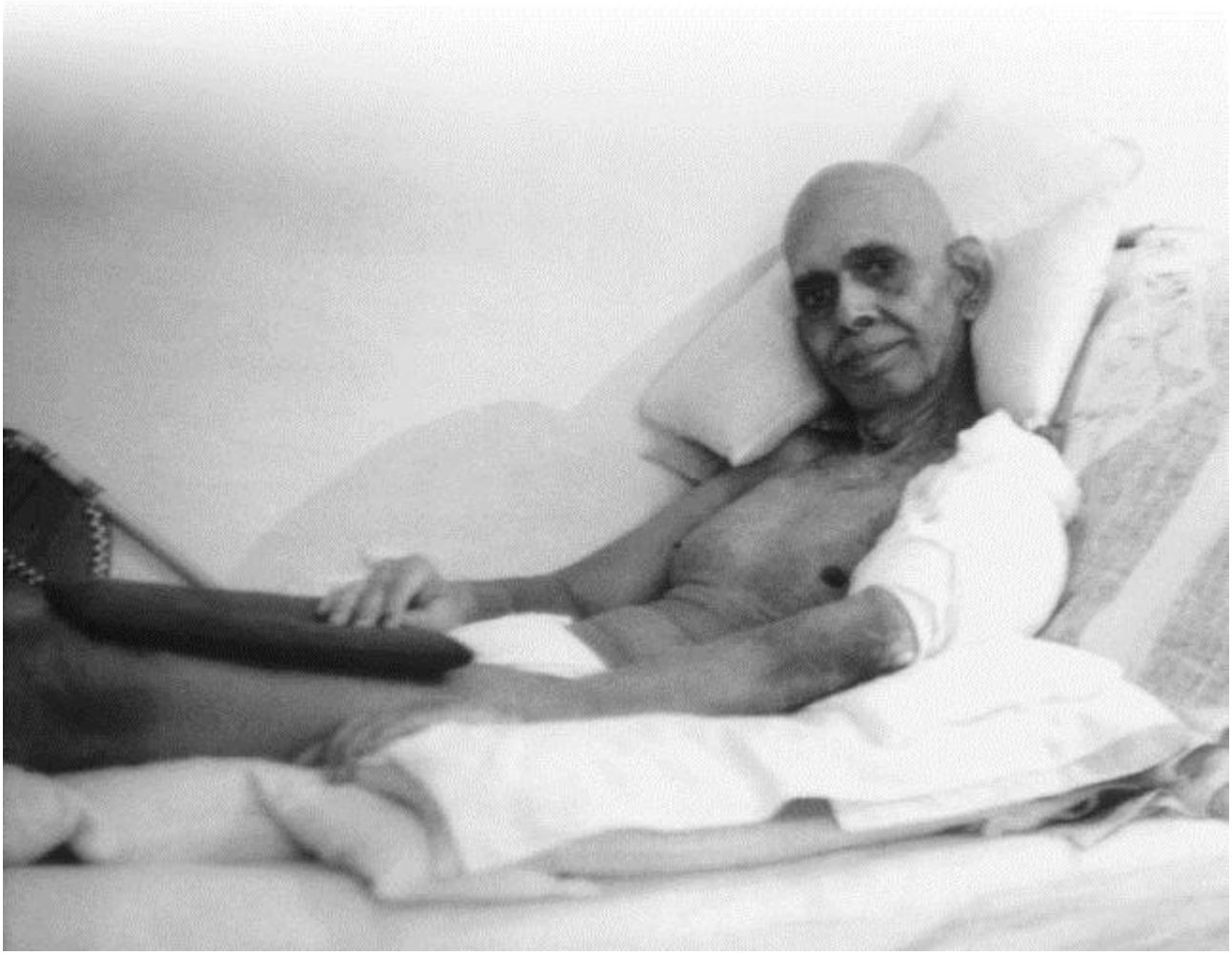

عدة سنوات قبل نهاية الجسد، على الأقل من العام ١٩٤٧ و صعوداً، بدأت صحة شري بهاغافان تشكل مصدر قلق. الروماتيزم لم يصب ساقيه بالعرج فقط و لكنه قد هاجم ظهره و كتفيه أيضاً. حتى بشكل منفصل عن هذا الأمر، كان هنالك الإنطباع بضعف جسدي كبير، بالرغم من أنه هو نفسه لم يأخذ الأمر بعين الاعتبار. لقد كان الشعور أنه بحاجة لحمية مغذية أكثر من طعام الأشرام، و لكنه لم يكن يوافق على تناول أي شيء إضافي.

لم يكن بعد قد وصل إلى عمر السبعين و لكنه بدى أكبر سناً بكثير. لم يكن منهكاً بسبب الهم، لأنه لم يكن يبدو عليه أي علامة قلق على الإطلاق – لم يكن قد عرف القلق أبداً. كان فقط مسناً و رقيقاً جداً. لماذا شخص مليء بالحيوية و لهذه الدرجة، لم يكن قد عرف إلا القليل جداً من المرض في الحياة و لم يكن لديه أي حزن او هم، كان قد شاخ هكذا فيما يتعدى سنوات عمره؟ لقد اتخذ على نفسه خطايا العالم – ذاك الذي يخفف

الكارما الخاصة بمريديه – فقط من خلال شرب السم الذي كان يحضر له كان شيفا قادراً على إنقاذ العالم من الدمار. شري شانكارا كتب: "آه يا سامبهو، (إسم لشيفا.) يا إله الحياة! أنت أيضاً تحمل عبء "الحياة المؤقتة" لمريديك.

لقد كان هنالك إشارات عديدة، دائماً غير بارزة، حتى جسدياً، كيف أن شري بهاغافان كان يحمل العبء. أحد المريدين، الذي يحمل إسم كريشنامورتي، قد شارك في مجلة تاميلية يصدرها جاناكي آمال، أحد السيدات المريدات، كيف قام بالذهاب و الجلوس في القاعة في أحد الأيام عندما راوده ألم حاد في أصبع السبابة خاصته. لم يخبر أحداً، و لكن لمفاجأته، رأى شري بهاغافان يرفع الأصبع ذاته و يفركه على يده هو، فاختفى الألم. العديد من الآخرين عرف راحة مماثلة.

بالنسبة لشري بهاغافان، الحياة على الأرض لم تكن كنزاً يجب الاقتصاد به؛ لقد كان غير مبالياً كم ستطول. حصل في أحدى المرات نقاش في القاعة حول الفترة التي سوف يعيشها. البعض اتفق مع قول علماء الفلك بقولهم أنه سوف يعيش ليبلغ الثمانين من العمر؛ الآخرين إما قاموا بإنكار دقة علم الفلك أو قاموا بالشك حول إن كان يمكن تطبيقه على شري بهاغافان الذي لم يعد لديه أي كارما لكي يحلها. لقد إستمع إلى الحديث، مبتسماً و لكنه لم يأخذ أي طرف فيه.

قادم جديد، أصيب بالحيرة ، قام بالسؤال، "ما رأي بهاغافان حول هذا الموضوع؟" لم يجب عليه و لكنه ابتسم موافقةً عندما سمع جواب ديفاراجا موداليار له، "بهاغافان لا يفكر بهذا الأمر." السنة الأخيرة من حياته كانت بأكملها عرض لهذا الأمر. المريدين حزنوا بسبب العذاب و خافوا من الموت المحدق؛ و لكنه لم يفعل.

باكراً في العام ١٩٤٩ ظهرت عقدة تحت مرفق يده اليسرى. لم ينظر إلى الأمر على أنه جدي، و لكن في شباط قام الطبيب في الأشرام بقطعها. خلال شهر عادت، أكبر و أكثر إيلاماً، و هذه المرة تم النظر إليها على أنها ورم خبيث و سبب قلق عام. نحو نهاية شهر أذار أتى الأطباء من مادراس و قاموا بمعالجته. الجرح لم يشفى كما يجب و بدأ الورم بالنمو مجدداً من بعدها، بشكل أكبر.

منذ ذاك الحين سادَ جوٌ من المأساة و الحتمية حول طريقة سير الأحداث. رجال الطب التقليديين جعلوه من المعروف أنه لا يمكن شفاء الورم و لكن من الممكن أن يجروا له عملية و قد يعود مجدداً، و لو تمت معالجتها بالأشعة، فلن تنتج نتائج جيدة عن الموضوع. هؤلاء الذين من مدارس أخرى أمنوا أنهم بإمكانهم شفائها و أن إجراء عملية جراحية سوف يقوم فقط بإعادتها لاحقاً بشكل أسوأ، كما حصل في الواقع، و لكن لم يسمح لهم المحاولة في الوقت المناسب.

عندما عاد الورم بعد العملية في شهر أذار، اقترح الأطباء بتر الذراع، و لكن التقليد يقول أن جسد الجناني لا يجب تشويهه . بالفعل، لا يجب ثغره بالحديد و حتى العملية كانت خرقاً للتقليد. شري بهاغافان وافق عليها و لكنه رفض عملية البتر. "ليس هنالك من داعٍ للقلق. الجسد هو نفسه مرض؛ دعوه يحصل على نهايته الطبيعية. لماذا تشويهه؟ مجرد ضمادة الجزء أمر كافٍ."

قوله "أنه ليس هنالك من داعٍ للقلق" قاد إلى الأمل أنه قد يشفى، بالرغم من كلماته التي تبعت و بالرغم من الرأي الطبي؛ و لكن بالنسبة له الموت لم يكن داعٍ للقلق.

لقد أعطى أيضاً الأمل من خلال قوله، "كل شيء سيكون صحيحاً في السياق المناسب." و لكن في الواقع كان علينا نحن أن ندرك صحة ما حصل؛ هو لم يشك بالأمر ابداً.

خلال هذا الوقت قام بالترجمة إلى التاميلي لمقطع من البهاغافاد غيتا (سكاندا ١١، المقطع ١٣، السطر ٣٦)، "دع الجسد، الذي هو نتيجة ثمار الكارما، يبقى ساكناً أو يتحرك، يعيش أو يموت، الحكيم الذي أدرك الذات الحقيقية هو غير واعٍ له، تماماً كما مرء سكران في ذهول هو غير واعٍ لثيابه."

قام بعدها بشرح آية من اليوغا فاشيستام: "الجناني الذي وجد نفسه كوعي صافٍ هو لا يتأثر بالجسد حتى لو شقه سيف. قصب السكر لا يفقد حلاوته حتى و لو تم كسره أو سحقه."

هل تألم شري بهاغافان فعلاً؟ لقد قال لأحد مريديه: "هم يأخذون الجسد على أنه بهاغافان و يربطون الألم به. يا للاسف!" و لأحد المرافقين لقد قال، "أين هو الألم إن لم يكن هنالك عقل؟" و بالرغم من هذا لقد أظهر علامات و ردات فعل جسدية عادية حساسية عادية للحرارة و البرد، و أحد المريدين س.س. كوهين، قام بتدوين كلامه على أنه قال خلال سنوات سابقة، "إن تم قطع يد الجناني بسكين فسوف يكون هنالك ألم تماماً كما مع أي شخص آخر و لكن لأن عقله في نعيم فهو لا يشعر بالألم تماماً كما يفعل الآخرين. "ليس الامر أن جسد الجناني لا يعاني من الإصابة و لكنه لا يتعارف نفسه مع الجسد. الأطباء و بعض المرافقين كانوا قد اقتنعوا أنه كان هنالك ألم، و أنه في المراحل اللاحقة كان قوياً جداً. بالفعل، الأطباء كانوا مذهولين بلا مبالاة بهاغافان للألم، و حيال عدم همه الكامل، حتى خلال العملية.

السؤال حول عذابه، تماماً كما السؤال حول الكارما، هو موجود فقط من ناحية الثنائية؛ من وجهة نظره، وجهة نظر الأدفايتا، لم يكن كذلك الأمر أي واقع حيث قال أكثر من مرة لمريديه، "أنا فقط مريض ان كنتم تظنون أنني كذلك؛ إن كنتم تظنون أنني بخير فسوف أكون بخير." طالما أن احد المريدين كان يعتقد بحقيقة جسده و عذابه، طالما، بالنسبة له، جسد المعلم كان حقيقياً و يتعذب أيضاً.

لأسبوع أو اثنين بعد عملية شهر أذار تم السماح لعالم أعشاب من البلدة بمحاولة تطبيق علاجه هو، و لكنه لم يجلب أي شفاء: شري بهاغافان قال لأحد المتأملين الذين تم إستقدامهم، "أتمنى أن لا تمانع عندما تكون قد مررت بالكثير من المتاعب مع أدويتك." لم يكن عنده أبداً أي فكرة حول حالته، فقط الإعتبار لهؤلاء الذين كانوا يتمنون علاجه و الوفاء لأي طبيب كان يتولى زمام الأمور في حينها. في بعض الأوقات كان يحتج حول كمية الإنتباه التي كانت تعطى لجسده.

وعندما كان يبدو أنه تحسّن كان يعلن أنه لم يكن يريد أي معالجة بعد الآن.

الورم، الذي تم تشخيصه الآن كسرقوم (ورم خبيث)، امتص الحيوية القليلة التي كانت متبقية لديه؛ و بالرغم من هذا و حتى و هو يضعف كان وجهه يزداد لطفاً، و بركةً، و يشع جمالاً أكثر. في بعض الأحيان كان من المؤلم التأمل بجماله.

الذراع كانت ثقيلة و منتفخة و الورم ينمو. في بعض الأوقات كان يعترف "أنه هنالك ألم" و لكنه لم يقل أبداً "أنا أعاني من الألم." في شهر آب تم إجراء عملية ثالثة و معالجة الجرح بالراديوم على أمل تدمير الأنسجة المتضررة و منع الورم من العودة. خلال فترة بعد الظهر ذاتها، بضعة ساعات بعد العملية، كان شري بهاغافان لبقاً جداً من حيث الجلوس على شرفة المستوصف حيث تم إجراء العملية، حيث من الممكن للمريدين أن يمروا و يحصلوا على الدارشان. كان بإمكان المرء أن يرى أنه منهكاً و لكن لم يكن هنالك أي علامة حول العذاب على وجهه. لقد أتيت من أجل ذاك اليوم من مادراس، و خلال وقوفي أمامه كان إشعاع إبتسامته لدرجة أن حتى الإنهاك كان من الصعب ملاحظته. خلال الظهيرة في اليوم التالي قام بالعودة إلى القاعة لكي لا يزعج أي مرضى آخرين بسبب وجوده في المستوصف.

لقد كان هنالك أيضاً حس عميق بالحتمية، فيما يتعدى الطبي: أن شري بهاغافان كان يعرف ما هو مناسب و كان يسعى لمنحنا القوة من أجل تحمل موت جسده. بالفعل، هذه المرض المؤلم و الطويل أتى كوسيلة لتحضيرنا من أجل الوداع الحتمي الذي شعر الكثيرون في البداية أنهم لن يتمكنوا من تحمله. كيتي، التي كانت في مدرسة على التلة، تم إخبارها بالأمر فقامت بالكتابة، "أنا متأسفة جداً لسماع هذا الموضوع، و لكن بهاغافان يعرف ما هو الأفضل لنا." لقد تم عرض رسالتها أمامه و كان وجهه مشعاً بالسرور خلال تثنيته على حكمتها في قولها، "ما هو الأفضل لنا"، ليس "ما هو الأفضل له".

كان لديه تعاطف كبير نحو هؤلاء الذين كانوا حزينين بسبب العذاب و سعى للتخفيف عن حزنهم، و لكن ليس من خلال الطريقة السهلة عبر إزالة العذاب و تأجيل الموت لبضعة سنوات لاحقة، و لكن من خلال الطريقة الرئيسية عبر جعلهم يدركون أن الجسد لم يكن بهاغافان. "هم يأخذون هذا الجسد على أنه بهاغافان و يربطون الألم به. يا للأسف! هم حزينين لأن بهاغافان سوف يرحل – أين من الممكن أن يذهب، و كيف؟"

لبضعة أسابيع بعد عملية شهر آب بدا و أنه تحسن، و لكن في شهر تشرين الثاني ظهر الورم من جديد، في مكان أعلى من الذراع، بالقرب من الكتف. في شهر ديسمبر تم القيام بالعملية الرابعة و الأخيرة. الجرح بسبب هذه العملية لم يشفى أبداً. الأطباء أقروا الآن أنهم لا يمكنهم أن يقوموا بما هو أكثر. الحالة ميؤوس منها، و إن عاد الورم من جديد فليس بإمكانهم سوى إعطائه المسكنات.

كان عيد إحتفال الجايانتي في الخامس من شهر يناير ١٩٥٠. الحشود الحزينة اجتمعت لعيده السبعون، والذي كان يشعر معظم الناس أنه الأخير. منح الدارشان و استمع للعديد من الأغاني الجديدة التي تم تأليفها تقديراً له. البعض قرأها. الفيل التابع للمعبد أتى من البلدة وانحنى أمامه و لمس قدمه بخرطومه. ملكة (زوجة راجا) من شمال الهند تم السماح لها بتصوير فيديو عن المشهد. كان هنالك جو من الاحتفال و لكن مع حزن مبطن بسبب حاله.

كان العديد يشعرون أنها مسألة أسابيع أو أيام. الآن و قد تم الإعلان عن الحالة على أنها ميؤوس منها. تم الطلب من شري بهاغافان أن يقول هو نفسه ما العلاج الذي يجب محاولته. لقد قال: "هل طلبت أي علاج من قبل؟ أنتم من يريد هذا و ذاك لي، لذا عليكم أنتم أن تتفقوا على الموضوع فيما بينكم. لو تم سؤالي فيجب علي القول دائماً، كما قلت من البداية، أن لا علاج ضروري. دعوا الأمور تأخذ مجراها."

فقط من بعد تمت محاولة العلاج عبر الهوموبياثي و الأيورفيدا، و لكن الأمر كان متأخراً.

حافظ شري بهاغافان على روتينه اليومي لحين ما صار الأمر مستحيل جسدياً. كان يأخذ حمامه الصباحي ساعةً ما قبل شروق الشمس، يجلس لإعطاء الدارشان في ساعات محددة، صباحاً و مساءً، و يتناول مراسلات الأشرام و من ثم يشرف على منشورات الأشرام، و غالباً ما كان يقدم الإقتراحات. بعد شهر يناير صار ضعيفاً جداً للجلوس في القاعة و إعطاء الدارشان. حمام صغير و غرفة متواضعة تم إنشائهما على جانب الطريق عند شرق القاعة و بالقرب من النهاية بقي هناك. كانت هنالك شرفة ضيقة جداً في الخارج حيث تم وضع كنبته و حتى نهاية مرضه كان المريدين لا يزالون يأتون بالمئات إلى تيروفاناماالاي من أجل الحصول على الدارشان. لم يكن يترك أي شيء يعيق هذا الأمر طالما كان لا يزال ممكناً.

كان المريدون يجلسون صباحاً و بعد الظهيرة على شرفة القاعة قبالته. لاحقاً، عندما صار ضعيفاً لدرجة لم تسمح له القيام بهذا، كانوا يمرون بالدور بالقرب من الباب المفتوح لغرفته، صباحاً و مساءً. في أحد الأيام

سببت حالته القلق و تم إيقاف الدارشان، و لكن في اللحظة التي تمكن فيها من الإنتباه للموضوع قام بالتعبير عن عدم رضاه و أمر بالإستمرار بالسماح للأشخاص برؤيته.

مجموعة من المريدين كانوا يرددون يومياً الصلوات و الأغاني التعبدية من أجل شفائه. تم سؤاله حول فعاليتهم، فأجاب مبتسماً، "بالتأكيد من المرغوب أن يكون المرء منخرطاً في نشاطات جيدة؛ دعوهم يكملون."

عاد الورم فوق الجرح. بالقرب من الكتف الآن و النظام بأكمله مسمم، لذا أصيب بفقر دم حاد. قال الأطباء أنه و لا بد أن الألم رهيب. كان بالكاد بإمكانه تناول أي غذاء. في بعض الأحيان كان يُقال أنه من الممكن سماعه و هو يئن خلال نومه و لكن عدا عن ذلك لم يعطِ أي علامة عن تألمه. من وقت لوقت كان الأطباء يأتون من مادراس لرؤيته و كان لبقاً و مرحباً كما كان دائماً. حتى النهاية كان سؤاله الأول إن كانوا قد حصلوا على الطعام و قد تم الأعتناء جيداً بهم.

حس الفكاهة لديه بقي أيضاً. كان يمزح حول الورم كما لو أنه كان شيئاً لا يخصه. امرأة، في حزنها، ضربت رأسها على عمود بالقرب من الغرفة فبدا متفاجئاً و قال عندها، "آه، ظنيت أنها تحاول كسر جوزة هند."

متحدثاً إلى المرافقين و إلى ت.ن. كريشناسوامي، الطبيب و المريد، لقد قام بالشرح: "الجسد هو كقشرة موز حيث قد تم تقديم كافة أنواع الأطعمة اللذيذة عليها. بعد تناولنا الطعام عنها فهل نأخذ القشرة و نحافظ عليها؟ ألا نرميها الآن و قد أدت غايتها؟"

في مناسبة أخرى قال لمرافقيه: "من سوف يحمل حمولة الجسد هذه بعد حاجتها للمساعدة في كل شيء؟ هل تتوقعون مني تحمل هذا الحمل الذي يتطلب أربعة رجال لرفعه؟"

و لبعض المريدين: "إفترضوا أنكم ذهبتم إلى مستودع للحطب واشتريتم مجموعة من الحطب و قمتم بإستئجار عامل ليحملها إلى منزلكم. خلال سيركم معه فسوف ينظر إلى الأمام بترقب نحو وجهته لكي يتمكن من رمي حمله و الحصول على الراحة. في الطريقة ذاتها، الجناني يترقب رمي جسده الفاني." و من بعدها صحح الشرح: "هذا الطرح هو صحيح في سياقه، و لكن من حيث الحديث بحزم فحتى هذا ليس دقيقاً تماماً. الجناني ليس مترقباً حتى لترك جسده؛ هو غير مبالي لا لوجود جسده أو عدمه، كونه بالكاد واعي له."

في احدى المرات، من دون أن يُسأل، قام بتعريف الموكشا (التحرر) لأحد المرافقين. "هل تريد أن تعرف ما هي الموكشا؟ التخلص من اليأس غيرالموجود و الحصول على النعيم الذي هو دائماً هنا، هذا هو الموكشا."

لقد كان من الصعب التخلي عن الأمل بأنه حتى و لو فشل الأطباء فهو يضع المرض جانباً من خلال قواه. ترجاه أحد المريدين في سبيل إعطاء فكرة واحدة حول تحسنه، كون هذا يكون كافياً، و لكنه أجاب، تقريباً منتقداً، "من بإمكانه الحصول على هكذا فكرة!"

و للآخرين الذين طلبوا منه أن يريد الشفاء لنفسه فلقد قال، "من هنالك ليريد هذا؟" الآخر، الفرد الذي من الممكن أن يواجه مسار القدر، لم يعد موجوداً فيه؛ لقد كان اليأس غير الموجود هو الذي تخلص منه.

بعض المريدين جعلوا الأمر كنداء للنجدة من أجل مصلحتهم. "ماذا سوف يحصل بنا من دون بهاغافان؟ نحن ضعيفين جداً للاهتمام بأنفسنا؛ نحن نعتمد على بركته في كل شيء." فأجاب، "أنتم تعطون أهمية كبيرة للجسد،" ملمحاً بشكل واضح أن البركة و الإرشاد لن يتوقفا بنهاية جسده.

في المسعى ذاته قال: "هم يقولون أنني أموت و لكنني لن أذهب بعيداً. أين من الممكن لي أن أذهب؟ أنا هنا."

السيدة تالييارخان، مريدة فارسية، ترجته: "بهاغافان! أعطي هذا المرض لي بدلاً عنك. دعني أتحمله!" فأجاب، "و من أعطاني اياه؟"

فمن أعطاه له؟ ألم يكن سم الكارما خاصتنا؟

سادهو من السويد راوده حلم رأى فيه أن الذراع المصابة كانت مفتوحة و رأى في داخلها رأس امرأة شعرها رمادي و أشعث. هذا كان ما معناه أن قد اتخذ عليه كارما والدته عندما أعطاها الموكشا، و لكن الآخرين رأوا أن المرأة تدل على الإنسانية بأكملها أو المايا بحد ذاتها.

نهار الخميس، في ١٣ نيسان، قام طبيب بجلب مسكن من أجل تخفيف الإحتقان في الروايا فقام برفضه. "ليس ضرورياً؛ كل شيء سوف يتم كما يجب خلال يومان."

تلك الليلة طلب من مرافقيه الذهاب و النوم أو التأمل و تركه لوحده.

نهار الجمعة علم الأطباء و المريدين أن هذا النهار كان الأخير. عند الصباح طلب منهم مجدداً الذهاب و التأمل. حوالي الظهيرة، عندما تم جلب الطعام السائل له، سأل عن الوقت، بدقة كما دائماً، و لكنه أضاف من بعدها، "و لكن من الآن و صاعداً الوقت لن يهم."

برقة قام بالتعبير عن تقديره لسنواتهم الطويلة من الخدمة، قال لمرافقيه، "لدى الإنكليز كلمة

"THANKS"

و لكننا فقط نقول سانتوشام (أنا راضي)."

عند الصباح قام الحشد الكبير بالمرور بالقرب من الباب المفتوح صامتين و بحزن و تعقل، و لاحقاً فيما بين الرابعة و الخامسة عند المساء. الجسد المصاب بالمرض الذي رأوه هناك كان قد انكمش، الأضلع ظاهرة، الجلدة مسودة، كان بقايا يرثى لها من الألم. و بالرغم من هذا عند وقت محدد خلال تلك الأيام القليلة الأخيرة كل مريد حصل على نظرة مباشرة و منيرة و ثاقبة من الإدراك، اعتبرها كأنها سكب وداعي للبركة.

بعد الدارشان عند المساء، لم يتفرق المريدين إلى منازلهم. الخشية أبقتهم هناك. عند مغيب الشمس طلب شري بهاغافان من المريدين رفعه ليجلس. كانوا يعلمون مسبقاً أن كل خطوة، كل لمسة كانت مؤلمة، و لكنه طلب منهم أن لا يقلقوا حول هذا الموضوع.

جلس مع أحد مرافقيه الذي كان يدعم له وضعية رأسه. بدأ أحد الأطباء بإعطائه الأوكسيجين و لكن من خلال تحريك يده اليمنى أشار له بالرحيل. كان هنالك حوالي إثني عشرة شخصاً في الغرفة الصغيرة، الأطباء و المرافقين.

إثنان من المرافقين كانا يقومان بتهوئته عبر مراوح القش، و المريدين في الخارج كانوا يقومون بمراقبة المراوح و هي تتحرك من خلال النافذة، علامة على أنه كان لا يزال هنالك جسد حّي من أجل تهوئته. صحافي تابع لمجلة أميركية كبيرة كان يتحرك في كافة الأنحاء بقلق، و غير مرتاح كونه تأثر بالرغم عن ذاته و كان مصمماً على عدم الكتابة إلا بعد رحيله من تيروفانامالاي إلى ظروف كانت بنظره طبيعية. و معه كان مصور صحافي فرنسي.

من دون أي توقع، كانت مجموعة من المريدين جالسين على الشرفة خارج القاعة بدأوا بالغناء "آروناتشالا شيفا" (أكشاراناماناماالاي). عند سماعه لها، قام شري بهاغافان بفتح عينيه و راح يشع. أعطى ابتسامة لامحة تحتوي على رقة لا توصف. من الحدود الخارجية لعينيه بدأت دموع النعيم بالنزيف. نفس عميق آخر، و لا أكثر. لم يكن هنالك نزاع، لا تشنجات، و لا أي علامة أخرى عن الموت: فقط أن النفّس التالي لم يأتِ.

لبعض اللحظات وقف الناس مدهوشين. الغناء إستمر. الصحافي الفرنسي المصور أتى إلي و سألني عند أي لحظة تحديداً حصل الأمر. ممتعضاً للأمر كونه قساوة صحافية، أجبت عليه بفظاظة على أنني لم أكن أعرف، و من بعدها فجأة تذكرت لباقة شري بهاغافان التي كانت دائماً للجميع و أجبته تحديداً عند الساعة ٨:٤٧. فقال، و كنت قادر على السماع أنه كان متحمساً، أنه كان يسير على الطريق في الخارج و عند تلك اللحظة تحديداً مّر نجم كبير في السماء. العديد من الأشخاص رأوه، حتى عند منطقة مادراس، و شعروا بما كان يبشر به. لقد مر إلى الشمال الشرقي نحو قمة آروناتشالا.

بعد الشعور بالتخدير في البداية كان إنفجار للحزن. تم حمل الجسد إلى الشرفة في وضعية الجلوس. الرجال و النساء بدأوا يجتمعون حول الشرفة لرؤيته. أحدى النساء غابت عن الوعي و العديد من الآخرين راحوا بالنواح بصوت عالي.

تم وضع أكاليل الزهور على الجسد و وضعه على الكنبة في القاعة و اندفع المريدين إلى هناك و جلسوا حوله. كان المرء يتوقع للوجه أن يكون متجمداً كالصخر في السامادهي، و لكنه وجده بدلاً عن ذلك محفور كثيراً بالألم لدرجة أن قلب المرء كان ينقبض. فقط تدريجياً خلال الليل بدأ نفّس الوقفة الصوفية يعود إليه.

خلال كل ذلك الليل كان المريدين يجلسون في القاعة الكبرى و أهل البلدة يمرون بصمت و رهبة أمامه. كان المسيرات من البلدة و عودةً كلها تغني "آروناتشالا شيفا". بعض المريدين في القاعة قاموا بترنيم أغاني تقدير و حزن؛ الآخرون جلسوا بصمت. الأمر الذي كان ملحوظاً أكثر شيء لم يكن الحزن بل الهدوء الذي كان في قلب كل شيء، لأنهم كانوا رجال و نساء حرموا منه ذاك الذي كانت بركته هي معنى حياتهم بذاته. بالفعل عند تلك الليلة الأولى و أكثر بكثير خلال الأيام التي تبعت، صار من الواضح كم أن كلماته كانت حيوية: "أنا لست ذاهباً إلى أي مكان. أين من الممكن أن أذهب؟ أنا هنا." الكلمة "هنا" لا تدل على أي حدود و لكن على أن الذات الحقيقية هي، أنه ليس هنالك من رحيل، لا تغيير، لذلك الذي هو كوني. بالرغم من هذا، عندما بدأ المريدين يشعرون بالحضور الداخلي لبهاغافان و عندما بدأوا يشعرون بالحضور المقدس المستمر في تيروفانامالاي، بدأوا في إعتبار الأمر على أنه وعد كامل من المحبة و المواساة.

خلال ليل اليقظة تم إتخاذ القرار في عملية الدفن. لقد تم التخطيط على أنه من الممكن إدخال الجسد إلى القاعة الجديدة، و لكن العديدين من المريدين عارضوا الفكرة. شعروا أن القاعة كانت، بمعنى، كملحق بالمعبد و ستجعل من مقام شري بهاغافان يبدو و كأنه أدنى رتبةً من مقام الوالدة، مما يقلب النظام الحقيقي للأمور. في اليوم التالي، من خلال الإتفاق العام، تم نبش حفرة و إدخال الجسد مع الطقوس المقدسة و المشرفة في المساحة ما بين القاعة القديمة و المعبد. الحشد، الذي كان مجتمعاً بكثرة، كان يراقب بحزن صامت. لم يكن هنالك المزيد من الوجه المحب، و لا المزيد من صوته؛ منذ ذلك الحين و صاعداً، اللينغام الأسود اللون، رمز شيفا، فوق السامادهي كان هو العلامة الخارجية، و في الداخل بصماته على القلب.

الحضور المستمر لرامانا بهاغافان

تفرقت الحشود و بدا الأشرام كأنه مكان مهجور، كموقد إنطفأت شعلته. و بالرغم من هذا لم يكن هنالك الحزن و القلق الذي غالباً ما كان يتبع رحيل معلم روحي عن الأرض. الحالة الطبيعية للأمور التي كانت ظاهرة جداً كانت لا تزال مستمرة. لقد بدأت تظهر كمية الإهتمام و الحنان التي حضر شري بهاغافان من خلال تلاميذه من أجل هذا. بالرغم من كل شيء، خلال تلك الأيام و الأسابيع الأولى من الحزن، قلةٌ هم من كانوا يهتمون في البقاء في تيروفاناماالاي، و بعض اللذين كانوا يرغبون بذلك لم يكونوا قادرين.

بعض هؤلاء الذين كان تعبدهم يبحث عن طريقة للتعبير قاموا بتكوين لجنة من أجل إدارة الأشرام.
نيرانجاناندا سوامي وافق على العمل معهم، و هم، من ناحيتهم، وافقوا على القبول به كرئيس دائم للجنة.
البعض الآخر قام بتكوين مجموعات أو سبحات في البلدات المختلفة حيث كانوا يعيشون، و كانوا يقيمون اللقاءات المتكررة.

لسوء الحظ، لا يمكن القول أنه لم يكن هنالك من كان يحاول القيام بالمشاكل أو تكوين شهرة لنفسه؛ هذا الامر يحصل دائماً عندما يترك معلم روحي جسده، و لكن على الأقل كان هنالك القليل من هذا و معظم المريدين بقوا ثابتين.

منذ سنوات عديدة سابقاً، تم تحضير وصية تنص على كيفية إدارة الأشرام بعد الرحيل الجسدي للمعلم. مجموعة من المريدين قاموا بأخذها إلى شري بهاغافان و قرأها بتأني و وافق عليها، و بعد هذا قاموا جميعهم بالتوقيع كشهود على ذلك. بشكل مختصر، نصت على أن البوجا (العبادة الطقسية) يجب أن تتم على السامادهي خاصته و ذلك الذي يتعلق بالوالدة، و أنه يجب دعم عائلة إبن نيرانجانداندا سوامي، و أن المركز الروحي في تيروفاناماالاي يجب الإبقاء عليه حياً. كانت هنالك محاولات لاحقاً لوضع وصية أخرى مغايرة و لكن شري بهاغافان لم يأخذ الأمر بعين الإعتبار أبداً.

الغرض الثالث هو الإرث العظيم و الواجب. المريدون كانوا يساهمون بناءً على طبيعتهم و قدرتهم. البعض هناك هم من يقومون بما هو ليس أكثر من الجلوس في التأمل و من يأتي فقط حسب ما تسمح له ظروفه للقدوم و تلقي التعزية و سكب المحبة و الإمتنان الكامنان في قلبهم. هم أتباع المعلم الذي قال، "القراءات قد تسلي الأفراد لساعات من دون تحسينهم؛ الصمت، من ناحية أخرى، هو دائم و يُفيد كل البشرية." بالرغم من أن تأملهم يقصر أمام الصمت الروحي العظيم لبهاغافان، فهو لا ينال فقط بل يُسقط بركته و من المقدر أن يكون له تأثير. و إن كان العديدين يعبدون أو يتأملون سوية فإن الأثر يكون أقوى.

الآخرين من خلال الكلام أو الكتابة قد يساعدوا في تكوين مسار يساهم في نضج و تعميق الفهم لدى غيرهم.

هؤلاء الذين هم مجذوبين نحو النشاط الخارجي يقع حمل التنظيم عليهم، الذي هو أيضاً سادها موافق عليها من قبل شري بهاغافان و فقط إن تم القيام بها في هذه الروح. و يتمنون في النهاية ببناء قاعة للتأمل. في الحاضر هنالك صخرة سامادهي متواضعة محاطة بلينغام و مغطاة بسقف من ورق النخيل، ما بين المعبد و القاعة القديمة.

في كل مكان، حضرته محسوس بها، و بالرغم من هذا هنالك إختلاف في الأجواء. عند الصباح و المساء هنالك برانايام (ترنيم كتب الفيدا) أمام السامادهي، كما كان الوضع خلال حضوره الجسدي، و في الأوقات نفسها. و خلال جلوس المريدين هناك في التأمل الأمر ذاته كما كان عندما كانوا يجلسون أمامه في القاعة، القوة ذاتها، نفس التوجيه الصامت اللطيف. خلال البارايانام، يتم أداء البوجا عند السامادهي و إنشاد ال١٠٨ إسم لبهاغافان. و لكن في القاعة القديمة هنالك جو أنعم و ألطف يتنفس حميمية سكونه الطويل في المكان. خلال بضعة أشهر بعد الماهاسامادهي (ترك الجسد) هذه القاعة قد تضررت بسبب حريق شّب فيها، و لكن لحسن الحظ لم تتدمر.

هنالك أيضاً غرفة صغيرة حيث تم قضاء الأيام و الساعات الأخيرين. صورة كبيرة هي معلقة هناك تبدو حية و تستجيب للتعبد. هنا تقع الأغراض المختلفة التي شري بهاغافان إستعملها أو لمسها – عصاه و وعاء الماء خاصته، مروحة من ريش الطاووس، صندوق الكتب الدائري، و العديد من الأشياء الصغيرة. و الكنبة، الآن فارغة إلى الأبد. هنالك أمر مؤثر جداً و ليس من الممكن التعبير عنه حول هذه الغرفة.

في القاعة الجديدة، تم وضع تمثال لشري بهاغافان. أحد البنود في الوصية كان ينص على ذلك، و لكن لم يتم التوفيق بأي نحات بعد للقيام بالعمل المناسب. كان عليه الشعور بصوفية بهاغافان، أن يكون ملهماً به، لأن الأمر لا يتعلق فقط بإستنساخ سماته البشرية و لكن بالقوة الروحية و الجمال الذين يشعون من خلالهم.

ليست فقط ملحقات الأشرام مقدسة و لكن الشارع المجاور بأكمله. السلام الذي كان يشمل و يغمر كل شيء: هو ليس سلاماً جامد و لكن تعبير حّي. الهواء نفسه هو يفوح بحضوره.

حقيقةً، حضوره ليس محصوراً بتيروفانامالاي. لم يكن كذلك أبداً. المريدين، أينما كانوا، يجدون بركته و دعمه، حضوره الداخلي، ليس فقط قوياً و لكنه أكثر قوةً من قبل. و بالرغم من هذا، الآن كما قبل، مواساة الزيارة إلى تيروفانامالاي تغرق في الروح و السكن هناك له جمال من الممكن وصفه.

كان هنالك قديسين قد وعدوا في العودة إلى الأرض من أجل الإرشاد المجدد لمريديهم حياة تلو الحياة، و لكن شري بهاغافان كان جناني كامل حيث في داخله لم يكن هنالك أي ذرة من الأنا المغرورة التي قد تدل على الولادة من جديد، و المريدين فهموا هذا. وعده كان مختلفاً. "أنا لن أذهب بعيداً. أين من الممكن لي أن أذهب؟ أنا هنا." ليس حتى "سوف أكون هنا" و لكن "أنا هنا"، بالنسبة للجناني ليس هنالك من تغيير، لا وقت، و لا إختلاف ما بين الماضي و المستقبل، لا ذهاب بعيداً، فقط الأبدي "الآن" حيث تكوينة الوقت كله موجودة، الكون، "الهنا" من دون حدود. ما أكد عليه، كان حضوره المستمر و الغير منقطع، و توجيهه المستمر. منذ زمنٍ طويل، لقد قال لشيفابراكاسام بيللاي، "ذاك الذي ربح بركة الغورو سوف يتم خلاصه من دون أي شك و لن يتم التخلي عنه،" و عندما تحدث المريدين خلال المرض الأخير كما و أنه كان سوف يتركهم و شكوه ضعفهم و حاجتهم المستمرة له، فأجاب كما تم ذكره سابقاً، "أنتم تعلقون أهمية كبيرة على الجسد."

اكتشفوا بسرعة كم كان هذا الأمر صحيحاً. أكثر من أي وقت مضى لقد أصبح المعلم الداخلي. هؤلاء الذين كانوا يعتمدون عليه يشعرون بتوجيهه بطريقة أكثر فعالية، و أكثر قوةً الآن. أفكارهم هي متمحورة حوله و بثبات دائم أكثر. الفيتشارا، التي تقود إلى الغورو الداخلي، قد أصبحت أكثر سهولة و من الممكن الولوج إليها أكثر. التأمل يجلب فيض مباشر من البركة. إرتداد الأعمال، الجيدة و السيئة سواء، هو أكثر سرعةً و قوة.

بعد صدمة الحزن الأولى بدأ المريدين بالعودة إلى تيروفانامالاي. ليس فقط النوع المتأمل هو من يشعر بالحضور المستمر. أحد المريدين، الدكتور ت.ن. كريشناسوامي، كان يشعر أنه مقيد بشري بهاغافان فقط من خلال الحب و التعبد، و قال بحزن بعد الماهاسامادهي، "بالنسبة للأشخاص مثلي كل شيء إنتهى." بعد بضعة أشهر، عند عودته من زيارة إلى تيروفانامالاي، لقد قال، "حتى في تلك الأيام السابقة لم يكن هنالك سلام و جمال كما كان هنالك الآن." و ليس فقط النوع المتأمل هو من يشعر بالتوجيه المستمر؛ إنه جواب مباشر للتعبد.

المريدين كانوا دائماً كعائلة كبيرة، و لكن الآن نمت صحبة أقوى فيما بينهم. كانوا يجتمعون في القاعة القديمة و يناقشون تعاليم شري بهاغافان و يتبادلون الذكريات، جالبين إلى الضوء اختباراتهم و أقوالهم حول شري بهاغافان التي لم يكن يشعر أحد بالحاجة للتحدث عنها سابقاً.

غموض و تصوف جبل آروناتشالا قد أصبح من الممكن الولوج إليه أكثر. كان هنالك العديد سابقاً ممن كانوا لا يشعرون بأي شيء من قوته، الذين بالنسبة لهم لم تكن سوى تلة من الحجارة و الأرض و الشجيرات كما غيرها. السيدة تالييارخان، أحد المريدين الذين تم ذكرهم في المقطع السابق، كانت جالسة في أحد المرات على التلة مع أحد ضيوفها، و كانت في سياق الحديث عن شري بهاغافان. لقد قالت: "بهاغافان هو إله يمشي و كل صلواتنا مستجابة. هذا هو إختباري. بهاغافان يقول أن هذا الجبل هو الله نفسه. ليس بإمكاني تفهم كل هذا، و لكن بهاغافان يقول هذا، فأنا أصدقه." صديقها، مسلم كانت العادات الفارسية اللبقة لا تزال مداومة معه، أجاب، "بناءً على إعتقاداتنا الفارسية سوف أعتبرها إشارة لو أمطرت." و تقريباً مباشرة كان هنالك فيض من المطر و نزلوا من التلة مبلولين من أجل مشاركة القصة.

و لكن منذ الوقت حيث الروح غادرت الجسد و ظهر نجم مشع فوق الجبل، شعر المريدين بطريقة أكثر مباشرة أن التلة هي أرض مقدسة؛ لقد شعروا بذلك في صوفية بهاغافان.

التقليد القديم هو أن جبل آروناتشالا يحقق الأماني و أن الحجاج كانوا يذهبون إليه عبر العصور من أجل الصلاة للبركات؛ و لكن هؤلاء الذين يشعرون بسلامه في عمق أكثر لا يتمنون، لأن طريقة آروناتشالا هي طريقة بهاغافان التي تحرر المرء من الأمنيات، و هذا هو التحقق الأعظم.

"عندما أنحني قريباً، ناظراً إليك على أنك تملك شكل، أنت تقف كجبل على الأرض. ذاك الذي يسعى إلى شكلك من دون شكل هو كالذي يسافر على الأرض بحثاً عن الفضاء من دون شكل. أن يسكن المرء من دون فكر على طبيعتك هو فقدانه لطبيعته كما تذوب دمية السكر في المحيط. عندما أصل إلى إدراك من أكون أنا، ماذا (غيرك) تكون هويتي هذه. آه أنت الذي تقف كجبل آرونا؟" (من المقاطع الشعرية التسعة لشري آروناتشالا).

ليس فقط هؤلاء الذين كانوا هنا سابقاً و قد رأوا جمال شري بهاغافان في شكله الجسدي هم الذين من يشعرون بالإنجذاب. ثروتهم لا تقدر بثمن و لكن الآخرين أيضاً هم مجذوبون إليه، إلى آروناتشالا. سوف يكون من الكافي ذكر حالتين من هذا المثيل. السيدة هويز التي كانت تنتظر أربعة سنة احتمال الذهاب، بعد قرأتها لكتاب بول برانتون "البحث في الهند السرية." الظروف جعلت الأمر ممكناً فقط بعد الماهاسامادهي. تخلت عن وظيفتها و باعت أغراضها من أجل جمع المصاريف اللازمة. كانت قادرة فقط على البقاء لبضعة أسابيع؛ و لكن، بعد شعورها ببركة حضوره، لقد قالت: "كنت أظن أنني سوف أصاب بخيبة أمل عندما علمت أنه ميت، و لكنني لم أكن كذلك. لقد كان الأمر يستحق كل لحظة منه. الآن أستطيع النظر إلى الأمام إلى اليوم حيث سوف أعود مجدداً."

العودة هي في يد بهاغافان. الآن، كما سابقاً، هو يجذب إلى نفسه و إلى تيروفانامالاي من يشاء. السيدة هويز كانت واثقة من خلال خبرتها السابقة أنها لن تعاني من الصعوبة في الحصول على عمل جديد عند عودتها، و لكن هذه المرة لم يتم الأمر هكذا. أسبوع تلى الأسبوع من دون توفر شيء مناسب. و من ثم سمعت بوظيفة شاغرة جيدة، تم مقابلتها و قيل لها أنه من الممكن الحصول على العمل إن كانت ترغب به و لكن كان في الهند. لذا عودتها كانت سهلة.

الدكتور د.د. آشاريا إستقال بعد مهنة طويلة و مثمرة في وسط الهند و قرر الذهاب و تكريس نهاية حياته للبحث الروحي. قام بالترحال في كافة أنحاء الهند، يزور معبداً و أشرام تلو التالي، من دون إكتشاف السلام الذي كان يبحث عنه، لحين وصوله إلى تيروفانامالاي. على الفور شعر، "أن هذا هو المنزل"، واستقر هناك كطبيب الأشرام.

عند مرور بعض الوقت، شعر بالقنوط كما فعل الكثيرين قبله، عندما لم يرى أي تقدم في ذاته و بكى من أجل السامادهي، "لماذا جلبتني إلى هنا، بهاغافان، إن كنت لن تمنحني السلام الذي أسعى إليه؟"

في تلك الليلة ذاتها رأى في الحلم بهاغافان جالساً على الكنبة، فاقترب منه وانحنى أمامه. اتخذ شري بهاغافان الرأس المنحني في يديه و سأله لماذا كان حزيناً. عندها، جواباً على الإشتكاء، أجابه، تقريباً كما كان يفعل مع المريدين خلال وجوده بالجسد، "ليس صحيحاً أنك لا تقوم بالتقدم؛ أنا من يعرف ذلك، و ليس أنت."

الطبيب آشاريا ترجى بحرارة: "و لكن يجب أن أحصل على معرفة الذات الآن في هذه الحياة! لماذا علي الإنتظار؟ لماذا يجب أن يسير الأمر بهذا البطء؟"

فأجابه شري بهاغافان ضاحكاً. "هذا هو قدرك (البارابدهاكارما)."

في هذا الحلم من قبل شخص لم يرى بهاغافان من قبل في حياته، الأجوبة كانت كما كان قد يقوم بها سابقاً. تماماً كما عندما كان في الجسد، كانت الكلمات المحكية أقل مواساةً من بركة حضوره التي لا توصف.

الآخرون أيضاً سوف يأتون. آناندا مايي ما، امرأة قديسة معروفة جداً في شمال الهند، أتت إلى السامادهي، و رافضةً لمقعد الشرف المخصص لها، قالت: "لماذا هذه الضجة كلها؟ أتيت لأقدم الإحترام و التقدير لأبي و بإمكاني الجلوس على الأرض مع الآخرين." إمرأة قديسة من جنوب الهند قد تم سؤالها من قبل السيدة تالبيارخان حول ذاتها و آخرين لا يزالون أحياء في الجسد فأجابت، "لقد كان الشمس و نحن أشعتها." القصة لم تنتهي تماماً كما لم تنتهي قصة المسيح على الصليب. هي في الواقع، فعلاً، ليست ديانة جديدة قد قام شري بهاغافان بإنشائها على الأرض، و لكن أمل جديد، درب جديد، بالنسبة لهؤلاء الذين يفهمون و يسعون من كل بلاد و ديانة في هذا العصر المظلم روحياً. لم يكن فقط لفترة حياته في الجسد. لهؤلاء الذين كانوا يخشون أنَ توجيهه سوف يتوقف مع الموت لقد أجاب بلباقة، "أنتم تعلقون الكثير من الأهمية للجسد." الآن، كما في وقتها، هو يوجه كل من يقترب منه و كل من يقدم نفسه له فهو يدعمه. لكل من يبحث، "هو هنا."